في ميدان الدعوة

الشيخ محمد الغزالى

منهجه وقضاياه الكبرى

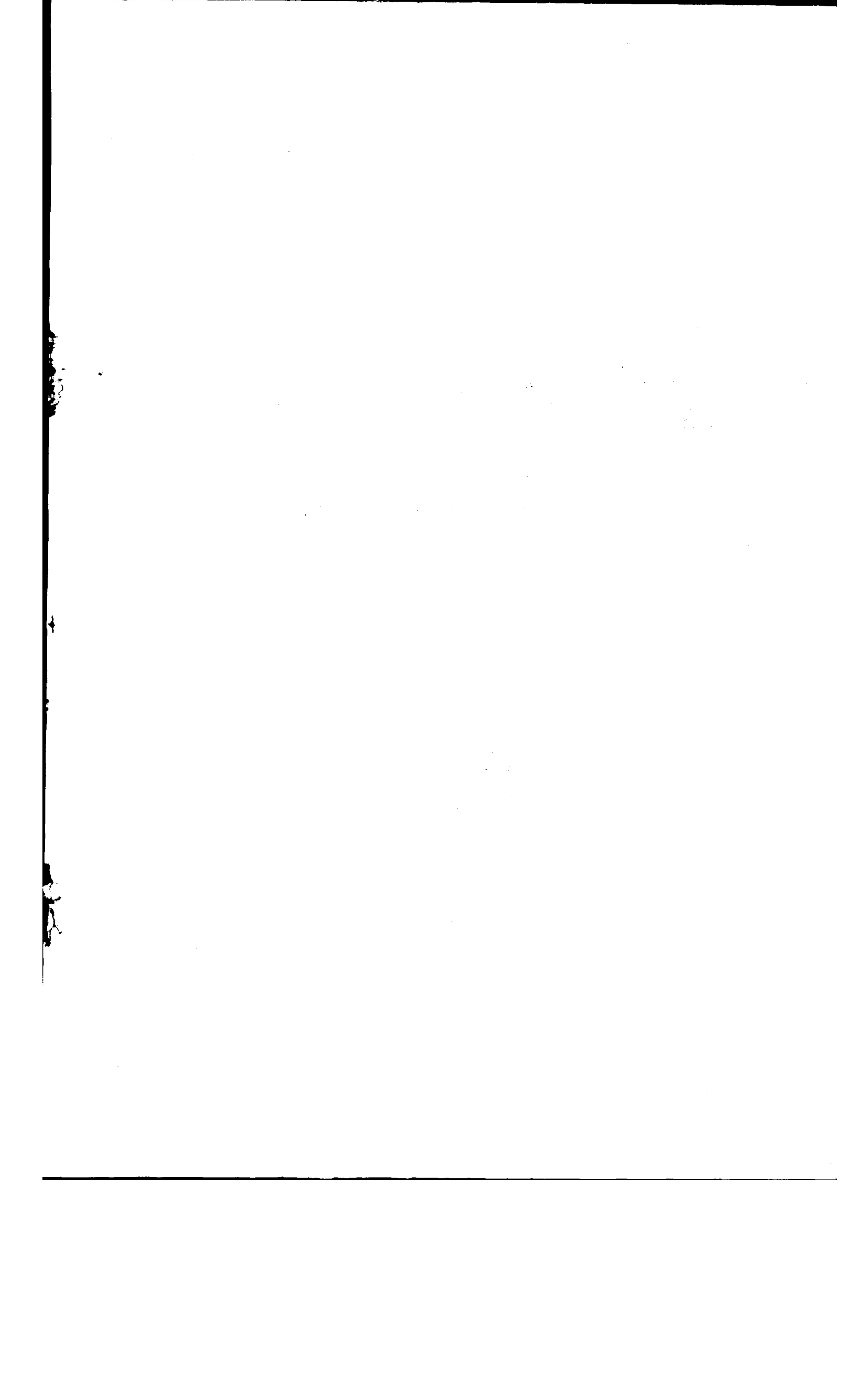
تأليف

د. محمد ابوزيد الفقى

أستاذ الدعوة م. جامعة الأزهر

طبعة ثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

"مُقَدِّمَة"

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبيـــاء والمرسـلين سيدنا محمد بن عبد الله النبي الهادي الأمين ، اللهم صلى عليه وعلى آلـــه وأصحابة ، ومن نهج نهجه وسلك طريقهم الى يوم البعث العظيم .

وبعد

فقد كان الشيخ محمد الغزالى - يرحمه الله تعالى - من أبرز الدعـاة الى الله تعالى فى العصر الحديث . فقد كان فريدا فى جـــهاده وفكـــره ، ولا أغالى إن قلت : إن كل عالم فـــى مجـــال الدعـــوة الإســـلامية ، يوصـــف بالاستنارة ، قد نهل من نبع الدعوة عند الشيخ ، ورشف من فكره ، وقـــد طال عمر الشيخ ، وكثر عمله وتعددت مؤلفاته ، ومواقفـــه فـــى الدعـــوة الإسلامية .

وحينما طفقت أجمع المادة العلمية لهذا الكتاب أخذتنـــي الرهبـــة ، فكيف لى أنا من الذين يشرفون بالانتساب إلى مدرسته فـــى الدعـــوة ، أن أُجمع فكره ، وأقيم منهجه ، وأُضعه فى ميزان الإسلام الحنيف ، وقد تغلبت على هذه المشاعر الوجدانية بسبب رغبتي فى تقديم منـــاهج الشـــيخ فـــى صورته العلمية الدعوية لأن الشيخ - يرحمه الله تعالى - انشغل بالجهاد فى الدعوة وكثرة الترحال لهذا الغرض ، عن تنظيـــم كتبـــه ، والفصـــل بيـــن الموضوعات فى هذه الكتب ، وأدى هذا الى كثرة التكرار ، وطمس معـــالم المنهج البحثى للشيخ ، وأصبحت الفائدة التى يحصل عليها القارئ من كتب الشيخ تتوقف على جهده وصبره فى متابعة الفكرة الواحدة فى عدة مؤلفات للشيخ . ولما كان الدعاة فى حاجة الى معرفة منهاج الشـــيخ ، بطريقـــة

واضحة ، كى يقتدوا به - على بصيره - فى دعوتهم حاولت تجليـــة هـــذا المناهج ، وتحديد معالمه على النحو التالي :-

١-لجأت لأسلوب الجمع النسقى : حيث قمت بتحديد القضايا الكبرى التـــى اهتم بها الشيخ ، وجمعت كل ما سجله فى كتبه عـــن كـل قضيــة ، ووضعت ذلك فى نسق واحد ، ثم عقبت بعد كل قضية بمتابعة تـــهدف إلى مقابلة فكره بما جاء فى الكتاب والسنه ، وفهم العلماء لهما ، ثـــم بيان مناهج الشيخ .

٢-حاولت الوصول إلى المنهج الذى على أساسه تصدى الشيخ لكل قضية فى مؤلفاته ، واتضح لى - بعد لأي - أن الشيخ رحمة الله تعالى - قـــد ركز فى تناوله لكل قضاياه على منهج فريد فى مجال البحث فقد كـــان يدرس كل قضية من خلال بعدها المكـــانى والزمـــانى ، والمحلـــى ، والعالمي وهذه الأبعاد الأربعة كونت تميز الشيخ عن غيره فى مجـــال البحوث الدعوية ، لان الباحثين فى الأزهـــر الشـــريف وفـــى غـــيره يسجلون رسائلهم العلمية على أساس بحث الموضوع المســـجل مـــن زاوية واحدة ، أو زاويتين على الأكثر ، اما الشيخ - يرحمه الله تعـــالى - فقد كان يبحث قضيته التى يتصدى لها من أبعادها الأربعة ، ويمكـــن فهم هذا المنهاج وتجليته إذا ما تابع الباحث قضية واحدة عند الغزالـــى فى كل مؤلفاته .وسوف يجد بعد البحث أن التكرار - المظنون - فـــى مؤلفات الشيخ ، ليس تكرارا بغرض التكرار ، أو بسبب النسيان، وإنما كل تكرار لقضية ما ، هو إضافة لبعد من أبعادها .

٣-أخذت من تراث الشيخ أربع قضايا رئيسة ، وطبقـــت هـــذا المنـــهج - النسقى - عليها فأتتأكلها ولم تظلم منه شيئا ، وتتجلى فيها منـــهاج الأبعاد الأربعة عند الغزالى - وهذه القضايا هى :

- الاستعمار الأجنبي فى بلاد المسلمين .

- الاقتصاد عند المسلمين

- قضية المرأة .

- قضية موقفه من السنة النبوية الشريفة .

هذه هى القضايا التى اهتم بها الشيخ وأوقف عليها جزءا كبيرا من وقته ومؤلفاته وهذا لا يعنى أنه لم يتصدى لقضايا أخرى ، بل ناقش كـــل القضايا التى تهم المسلمين وقد أخذت هذه القضايا لكـــثرة حديثـــه عنـــها ولتحقق منهاجه - دراسة الأبعاد الأربعة لكل قضية منها .

إن مثلى ومثل الشيخ محمد الغزالى كمثل سباح صغير يســبح فـــى محيط كبير . ليبحث عن لآلئه وصدفاته فإن عثر على مبتغاة فقد فـــاز ، وإن خرج من غير شئ فقد نجا وإن أدركه الغرق ، فحسبه شرفا انه ســبح إلى حين فى هذا المحيط العظيم .

د. محمد محمد أبو زيد الفقى

الباب الأول

قضية الإستعمار فى بلاد المسلمين

(الباب الأول)

قضية الاستعمار فى بلاد المسلمين

قضية القضايا عند الشـيخ - يرحمه الله تعالى - قضية احتلال بلاد المسلمين والسيطرة عليها من الغرب ، وقد خص الشيخ هذه القضية بكثير من البحث والدراسة ، والحديث عنها فى معظم كتبه ، وكان للشيخ حس يقظ تجاه هذه القضية ، وكان يعى أبعاد الصراع بين المسلمين وأعدائهم من نقطة البداية فى يثرب إلى بداية النهاية فى القدس فى فلسطين المحتلة ، وكان يعتبر هذا الصراع صرعاً حيحاً متجدداً متمحوراً حول مستقبل الإسلام والمسلمين .

وقد عالج الشيخ قضية الاستعمار من زوايا متعددة : أحقاد وأطماع الاستعمار فى بلاد المسلمين والسيطرة الاقتصادية على المسلمين وعلى مصادر ثرواتهم ، والقضاء على الإسلام من ناحية العقيدة عن طريق التبشير والاستشراق ، وهيكلة الدين وإعادة صياغته عن طريق بعض الحكام العملاء ومن يدور فى فلكهم ، من أعوانُ الاستعمار ومعتنقى فكره ، ومنتهجى أسلوبه فى الحياة .

وقد تصدى الشيخ لهذه القضايا بالقوة ، حاملاً روحه على كفه واضعاً عنقه تحت السيف إذا جد المسير ، مبرهناً على حيوية الدعوة إذا تصدى لها داعية أصيل ، ولا نستطيع أن نقدر الأثر الذى أحدثه الشيخ فى مواجهة الاستعمار ، إلا إذا تخيلنا وجود الاستعمار بمكره ودهائه من غير داعية مخلص يكشف هذا المكر ويعرى ذلك الدهاء.

لو حدث هذا لوجد الاستعمار بـــلاد المســـلمين لقمـــه ســـهله يأكلـــها أنى شاء ومتى شـــاء .

ولكن الشيخ ومن على شاكلته من الدعـــاة المخلصيـــن قـــد صعبـــوا مهمة الاستعمار فى بلاد المسلمين إن لم يكونوا هـــم حجـــر الزاويـــة فـــى القضاء عليه وعلى الصفحات التالية تتضح جـــهود الشـــيخ فـــى مقاومـــة الاســـتعمار .

الفصل الأول

(ماهية الاستعمار)

لخص الشيخ - يرحمه الله تعالى - تكـون الاسـتعمار وماهيتـه بأنـه أحقاد وأطماع - وشرح ذلك بقولـه: إن الصليبيـة التـى تـهيمن علـى الأوربيين والأمريكيين شيء أخر يغاير تعـاليم عيسـى أشـد المغـايرة ، وإن كان جمهور القساوسة والرهبان يمـارى فـى هـذه الحقيقيـة لأنـه ينسج صلته بعيسى بـن مريـم علـى نحـو يوائـم الصليبيـة المحدثـة الجامحة ، ثم ينسب هذا الدين المحرف إلـى عيسـى نفسـه .. وعيسـى برئ من هـذه الشـرور ، أن الله تعـالى يقـول فـى رسـالة عيسـى : (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقـاً لمـا بيـن يديـه مـن التـوراة وهدى وموعظة للمتقيـن) [١].

وتلك كلها معان فقدت أوضاع منبعها فـى الصليبيـة التـى تعـرف الآن ، والتى يزعم أنها النصرانيـة الأولـى ،.

ولهذه الصليبية الغالبة خواص لابد مـن كشـفها :

أ - أنها انسجمت مع طبائع الغربيين الذيـن اعتنقوهـا وأرخـت العِنـان لما يكمن فيها (الطبائع) من قسـوة .

ب - أنها نقضت الإحساس بمعنى الجريمـة وعقباهـا السـيئة ، وذلـك أن نظرية الفداء وما تضمنته من أن عيسى قتل كفـارة لخطايـا بنـى آدم ، جعلـت الألـوف المؤلفـة مـن مصدقيـها يسـتهينون بالآثـام

---

[١] - المائدة : ٤٦ .

المحظورة ، ويقدمون عليها وهم آملون أن تحمل عنهم ، وهذه العقيدة كانت سبب مصائب كثيرة حلت بالأمم المهزومة .

جـ - أن الصليبية كانت تعانى ما يسميه علماء النفس (عقدة الضعة) فهى تعرف مجافاتها للعقل وبعدها الساحق عن منطقه السليم ، ومن ثم فهى تستعير عن الهدوء فى عرض نفسها ، والجدال بالتى هى أحسن ، بغضب ظاهر على الأديان والمذاهب الأخرى ، كأن عاطفة الحنق على المخالفين ، سوف تضفى عليها حقاً فاتها من ضعف الدليل وانهيار الحجة .

وهذا يفسر سياسة البطش الشنيع التى أتبعتها الصليبية ضد غيرها ، بل التى أتبعتها ضد الإسلام خاصة .

وقد التقت الطبيعتان ، طبيعة الغربيين الهمجية وطبيعة الصليبية هذه ، التقتا فى الغزو الاستعمارى الأخير للأقطار الإسلامية ..

وبعد أن يتحدث الشيخ عن الظلم الفادح الذى وقع على المسلمين فى الجزائر من الفرنسيين يقول : مطلوب من المسلمين (فى الجزائرأيام الاحتلال) أن يكفروا بدينهم .. ان النفس ليست سواء بازاء الضغط الذى يعرض لها ، وكم يختلف رد الفعل للعمل الواحد .. وجماهير المسلمين تحت ضغط الاستعمار الصليبى العاتى ، تفاوتت معادنهم فى تلقى أوصابه ، وتحمل فتنه ، منهم من زادته البأساء قوة يقين ، فنفخ الاضطهاد فى روحه ، كما تنفخ الرياح فى الجمر المتقد ، لا تزيده الا لهيباً وأولئك والحمد لله كثير .. ومنهم من أصابه الوهن ، وأخذت شكيمته تنتشر تحت اللطمات التى تناولته من

كل جهة .. ومنهم من رأى الابتعاد عــن الاســلام إن ظــاهراً وأن باطنــاً ، يحسب أن هذا الابتعاد قد يخفف البــلاء النــازل بــه .. " ولــم ينفعــهم ذلـك".

يقول ممثل فرنسا فى الجزائر - فى المســجد الـذى تحـول إلــى كنيسة: أما العرب فلن يكونوا ملكــا لفرنســا إلا إذا أصبحــوا مسـيحيين جميعا .. أى أنهم إذا تنصروا فسوف يسمح لــهم أن يبقــوا فى الجزائــر رقيقا لفرنسا .. إن الفرنسيين قد يتفضلون علـــى العــرب - إذا تنصــروا بأن يجعلوهم ملكـاً لـــهم ، وهــذا شــرف عظيــم ، وهــذا هـو منطــق الصليبية والصليبيين ، هو منطقها فى كـــل مكــان . [١]

طبيعــة الغــدر والفتــك

يقول الشــيخ : هــذه الفظــائع المروعــة ليســت فــى الصليبيــة الغربية سجية محدثة ، إن القــوم يسـيرون علــى المنــهج الــذى ســلكه آباؤهم من قبل ، فــالخلف والســلف علــى اختــلاف الأمكنــة والأزمنــة تحركهم طبائع واحدة ، وتحدوهم غاية واحــدة ، أنــهم مــع خصومــهم لا يعرفون للحــرب أدبــاً ، ولا للرحمــة موقعــاً ، إلا إذا تكافــأت القــوى وخافوا الثأر العاجل ، فهم عندئذ يعاملون العــدو بحــذر ، اتقــاء للعقوبــة لا اتقاء لله تعالى ، أما إذا أمنــوا الثــأر ، فلــن يتوقــع منــهم الا بطــش الجبابرة ، هل اســتخدام القنبلــة الذريــة يومــئ إلــى ذرة مــن الحــس الانسانى ؟ أن هذه القنبلة تنزل فتحصد الرجـــال المقــاتلين ، ثـم تحصــد معهم الشيوح الفانين ، وجماهير النســوة والأطفــال ممــن لا شــأن لــهم

---

١ - الشيخ محمد الغزالى : الاستعمار أحقاد وأطماع ص٢١ وما بعدها

بالحرب أبداً ، ثم قطعان البقـر والغنـم والدواجـن التـى تعيـش لسـوء حظها مع هؤلاء ، بل الحشرات وأنـواع النبـات ، أنـها تجتـث الحيـاة اجتثاثاً حيث تنزل بلعنتـها الماحقـة ومـع هـذا الشـر المسـتطير فـإن الأمريكان أنزلوه بمدينتين يابانيتين فـى الحـرب الأخـيرة ، وهـو نـوع من القتال لم يعرفه أدب الحـروب مـن بـدء الخليقـة ، ولـولا أن سـر الذرة فضح ، وعرفه الآخرون لاستخدام هذا التفوق فـى قـهر النـاس ، وتغليب الـهوى ، (ولـولا دفـع الله النـاس بعضـهم ببعـض لفسـدت الأرض) [١].

إن وحشية الفرنسـيين فـى الجزائـر لا تزيـد ولا تنقـص عـن وحشية غيرهم فى شـتى المسـتعمرات ، وخاصـة التـى يعيـش فيـها المسلمون وهى تجديد للأساليب القديمة التـى أتبعـها آبـاؤهم فـى إبـادة الأجناس ، واستئصال المخالفين فى الـرأى والعقيـدة .

وهل محى الإسلام من الأندلس محـوا إلا بـالحديد والنـار ، ومـا سجله التاريخ لمحاكم التفتيش من همجية وعار ؟ هـل حـدث مثـل ذلـك أو بعضه أو شيء منه فى تاريخنـا .

الطبيعـة الوحشيـة الداخليـة :

ثم يتحدى الشيخ وحشيتهم مع بعـض فيقـول : (محـاكم التفتيـش التى قامت فى بلاد عديدة من أوربـا ، مثـل أسـبانيا وإيطاليـا وفرنسـا والبرتغـال وألمانيـا .. وإصـدار أحكـام منـها : الإماتـة حرقـاً فـى احتفالات عامة يحضرها الملـوك والـوزراء والأعيـان والدفـن بالحيـاة

- البقرة : ٢٥١ .

بوضع المحكوم عليهم فى مقابر ، تترك فيـــها فتحــات صغــيرة لــيراهم الناس منها وهم يدنــــون مـــن المـــوت رويـــدا رويـدا ، ٠٠فـــان كـــان المحكوم علية امراة ، عريت وشدت الى مقـــبرة وتركـــت ليـــلا ونـــهارا حتى تموت او تجـــن ٠

ومن الأساليب أيضـــا :

= استعمال السياط فى الاقضيـــة ٠

= التعليق فى السقف وربط كل يد وكل قدم الى حبل يشـــدها فـــى اتجـــاه مضاد .

= غرز المسامير الــــرؤس٠

= سل اللسان من الحلق بالآت خاصـــة٠

= تهشيم بأجهزة معينــــة ٠

وضع الإقدام فى أحذية حديدية عرضت للنار حتـــى حميـــت واحمـــرت٠

= الكى فى أي مكان الجســـد ٠

= استعمال أحذية ذات مسامير داخليـــة حـــادة ٠

= مشانق تشنق المتهم نصف شــــنق ٠

= تسديد حربتين الى عينى المتهم تنفذ ان مـــن مؤخـــرة الجمجمـــة :

= توجية حربة الى القلب ، وأخرى الـــى المعـــدة او الأمعـــاء ٠

= كي الجسم وكسر عظامه بـــالآت خاصـــة ٠

= سلق مواضع من الجسم او سلخها بوضع إســـفنج مغمـــوس فـــى مـــاء مغلى عليـــها ٠

= تعريض الرؤوس لمطارق ثقيلـــة ســاحقة ٠

= صب الماء فـــى الجــوف مـــن الفــم اثنـــاء الوخـــز بالدبـــابيس فـــى الاعصاب والشـــرايين ٠

= وضع الة على فم المذنب حتى لا يخـــرج انينـــة ، فـــإذا اغمـــى عليـــة انعش بشراب معين ٠ ثم أعيد إلى التعذيـــب مـــن جديـــد ٠ وإذا مـــات فى أثناء التعذيـــب ألقي به بين المعذبين الاخرين زيادة في إيلامهم وإرهابهم

هل صنع انسان فى الشرق مثل هذا ؟ ان الإنسان لـــم ينحـــط فـــى الشرق قط كما انحط فـــي الغـــرب فـــي أزمنـــة مختلفـــة ، وفـــي دورات متعددة من التاريخ ، ولا علا فيه جانبه الحيوانـــي المفـــترس ، كمـــا عـــلا في ربوع الغرب واستبد وســـــيطر . (١)

الهجـــوم علـــي الإســـلام :

يقول الشيخ : الواقع أن الحملة الصليبية علـــي أرض الإســـلام فـــي هـــذه الأيام النحسات اســـتخدمت أســـلحة جديـــدة ، وحققـــت أهدافنـــا رهيبـــة ، واستغلت أسوأ اســـتغلال الفوضـــى الثقافيـــة والاجتماعيـــة التـــي تســـود عالمنا الاسلامى ، لقد اختبأت وراء الشعار القومـــي لتفتـــك بالإســـلام . (٢)

---

[١] – المصدر السابق ص ٣٢ .

[٢] – الشيخ محمد الغزالي : جهاد الدعوة ص ١١١ ط دار الصحوة ١٩٨٧ م .

الأهـــداف الحاقـــدة :

يقول الشيخ : والأعداء إذا شنوا غـــارة علـــي بلـــد مـــا ، فـــهم لا ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجيـــن ، وإنمـــا يـــنزلون بـــه مستبيحين بيضتـــه ، وكاســـرين شـــوكته ، فـــان كـــانوا طـــلاب مغـــانم استنزفوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتـــات ، وان كـــانت لـــهم أغـــراض دينية أو اجتماعية أوضعوا الخطـــط القريبـــة والبعيـــدة لمحـــو شـــخصية الأمة ، وتغير ملامحها وكما ينقل النهر من مجـــري إلـــي مجـــري آخـــر ، تنقل الأمة رويدا رويدا من مجراها الفعلـــي الأول إلـــي مجـــري آخـــر يرسمه خصومها ويدفعونها اليه دفعـــا .

والاستعمار الغربي الـــذي هـــاجم العـــالم الإســـلامي مـــن بضعـــة قرون كان مزدوج الهدف ، فهو طامع فـــي خـــيرات الشـــرق الكثـــيرة ، يراها ميراثا لا صاحب له ، وهـــو فـــي الوقـــت نفســـه مثقـــل بضغـــائن قديمة يكره إلا سلام كراهية شـــديدة ويضيـــق بكـــل مـــن ينتمـــي إليـــه ، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة ، فهم قـــوم محمـــد وحملـــة رســـالته ، ومـــا تزال لغتهم مستودع كتابة وسنته ، فلمـــا واتتـــه الفرصـــة ووضـــع يـــده علي أقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكـــر ، ومضـــي دون هـــوادة يجهز علي قلوله الثقافية الهائرة بعدمـــا دحـــر جيوشـــه العســـكرية فـــي مواطن كثـــيرة .[١]

---

(١) الشيخ محمد الغزالي الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ص ٤٤ ط دار الشرق ٩٨٥ م

*** اليهودية تستفيد من عداء الصليبية والمادية للإسلام:**

يقول الشيخ : إن الأماني - عند - اليهود - التي دفنت في تراب الذل نحو ثلاثين قرنا ، انتفضت بالحياة بغتة ، وجرت معها عداء الصليبية لرسالة التوحيد ، وعداء المادية لرسالات السماء ، ولوحي الله تعالي جملة وتفصيلا ، ثم هجمت علي العرب المنقسمين علي أنفسهم ، الزائغين عن رسالتهم ، واستطاعت أن تكسو وجوههم بالقار ، أو أن تملأ ديارهم بالعار ، تلك حال اليهود ومن والاهم . (١)

*** الصليبية والإسلام في العصر الحاضر :**

وعن خطورة الصليبية علي الإسلام في العصر الحاضر يقول الشيخ:

(أما الصليبية فقد قررت الإجهاز علي هذا الدين والخلاص منه بأي ثمن وقد مضت القرون وهى تحاول ونحن نقاوم ولا نستعرض الآن الماضى وإنما ننظر في حاضرنا الدامي ، وما يتربص بنا من أحداث جسام ، فالعالم الصليبي الآن راجح الكفة ، بالغ القوة ، تسود أرجاؤه حضارة بشرية متفوقة في ميادين الصناعة ، بعيدة السبق في إستغلال التقدم العلمي لخدمة مآربها المادية والمعنوية .. وصادف ذلك كله أن الأمة الإسلامية كانت تتلوى مكانها من علل فادحة ، برّحت بها وعطلت حراكها ، ومن ثم أخذت تتلقى الضربات من كل ناحية .. والذي يدعو للغرابة أن الضربات لاتفتر، والكميان لا يسقط ، ترى كم سيبقى ؟ إن الأعداء ماضون في الهجوم ، وقد أصابهم في

---

١ - الشيخ محمد الغزالي : حصاد الغرور ص ١٩ ط مكتبة وهبة ١٩٨٧ م

الأيام الأخيرة لون من الهوس ، لأنـــه خيـل إليـهم أن الديـن الضحيـة غالب آلامه وعاودته العافيـة ، ولذلـك فـإن العـدوان زاد .. ولا يـزال الدين الجلد صامدا بل بدا كأنه يتـأهب لأمرهـا ..

*** مصادر الحقد على الإسلام :**

إن انسلاخ المرء عـن ماضيـه صعـب مـهما أرتفـع مسـتواه الثقافي والعالم الصليبي ضائق بالإسلام منذ ظـهر ، وقـد اشـتبك معـه في حروب طويلة ، اشتركت فيـها شـعوب أوربـا جمعـاء ، وترادفـت حملاتها حينا من الدهر ، وإذا كـانت هـذه الحـروب لـم تقـض علـى الإسـلام . فـإن مخلفاتـها الداميـة رسـبت فـي نفـوس الصليبيـن ، والتصقت بأفئدتهم ، وأمست ذكريات متعمقة فـي السـرائر .. ورؤسـاء الكنيسة يسرهم بين فترة وأخري أن يصبوا الزيـت علـي النـار لـتزداد اشتعالاً ، ولا تدع مكانا لتراحم أو سـماح ... بـل إن أولئـك الرؤسـاء تدخلوا في صياغة التاريخ ودفع العلاقات الدوليـة فـي مجـار رسـموها بعناية حتى لا تتـاح فرصـة يلتقـط الإسـلام فيـها أنفاسـه ، ومنطـق الصليبية هنا يصرخ بالثـأر ، وينـادي بـالموت علـي عكـس منطـق النصرانية القديمة القائم علي العفـو والرحمـة .

*** كراهية اليهود للإسلام :**

وكراهية اليهود للإسلام معروفة ، فـهم يـرون مغتصبيـن للنبـوة التي كانت حكراً في بنـي إسـرائيل كمـا يرونـهم المطـاردين الأوائـل ليهود الحجاز ووارثي أملاكهم ، وقد وجد هـذا الضغـن متنفسـه عندمـا تمهدت ميادين العمـل لليـهود فـي العـالم الصليبـي .. فتلاقـي الحقـد

اليهودي علي الحقد الصليبي في تشويه سمعة الإسلام ، وتحريف قضاياه كلها .

*** اليقظة :**

إن كل ساعة تمر دون يقظة منا ندفع ثمنها باهظا ، وتتحقق لخصومنا انتصارات رخيصة ، وما أظن العالم - في عصرها هذا - امتهن حقوقا ولا ازدري قضايا مثل ما فعل في حقوقنا وقضايانا ، وخطته الموضوعية ألا تقوم لنا قائمة .[١]

يقول وزير المستعمرات لبريطانية عن سياسة بريطانيا في الدول الإسلامية : إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي علي الإمبراطورية أن تحذوه وتحاربه .. وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك ، بل فرنسا أيضا . ومن دواعي فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلي غير رجعة ، إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً إلي منع الوحدة الإسلامية ، أو التضامن الإسلامى ، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك.أن خطة العالم الصليبى تداولتها أجناس شتى وفى هذه الأيام انتقلت من قارة إلى قارة ، بيد أن الخطة هى هى ، ومن ورائها حقد رهيب ، وتربص عنيد ، والشيء الذى يدعوا للأسف أن الفريسة غافلة ، لا تعرف ما يبيت لها ولا ما تكاد به - يدبر لها فى النهار نحن المسلمين نجنى العلقم من أقوام لا يعرفون فى معاملتنا إلا الفتك والاستئصال ، فإذا لم يباشروه بأيديهم ، أعانوا من يباشر ذلك من

---

١ - الوزير " اورمسى غو" في رسالته لرئيس الحكومة البريطانية ١٩٣٨/١/٩

اليهود والوثنين والملاحدة ووضعوا فى أيديهم السلاح وأشاروا عليهم بالرأي .

علينا أن نعتمد على الله تعالى ، ونيأس من طهارة هذه النفوس ، فإن صدقنا الله صدقنا [١] . (والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) .[٢]

* تنوع أدوات الحرب ضد الإسلام

يقول الشيخ عن أدوات الحرب المختلفة ضد الإسلام : (ولا بأس من كل وسائل البطش والفتك حتى يمكن الخلاص من هذا الدين ، والمتشبثين به ، وشرعت الأمة اليتيمة المهزومة تجابه حرب الاستئصال وحرب الخيانة وحرب الخيانة ، واشترك فى ضربها الشيوعيون والصليبيون والوثنيون واليهود ، وشارك فى ضربها متفرجون استهواهم الخطف من ترات لا صاحب له ، وكان ميدان المعركة من الرحابة بحيث لا يمكن إحصاء الخسائر فى النفوس والأموال والأعراض فالحرب لسحق الإسلام تدور رحاها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، والذين يلفظون أرواحهم سراً ، أكثر من الذين يلفظونها علانية ، والذين يغتالون فى المنافى والسجون ، أكثر من الذين يغتالون فى البيوت والشوارع ، والحرب تبدأ لتتدلع ، وقد مر أكثر من قرن على هذا البلاء الموصول ، ومع هذا كله فقد أبى المسلمون نسيان ربهم ونبيهم ، ولا تزال بين الأنقاض والآلام جماعات غفيرة تعلن بقاءها على الإسلام ، واستمساكها بكتابه وسنته

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : هموم داعية ص٩١ وما بعدها ط دار الاعتصام ١٩٨٣م .

[٢] - سورة النساء : ٤٥ .

ولغته وقيمه .. إن المدافعين لـم يستكينوا ولكـن المـهاجمين مصـرون على الحنث العظيـم ، ومـاضون فـى طريـق العـدوان كـأى وحـش مفترس لا يوقفه إلا العجـز أو المـوت . [١]

تنوع عناوين الحروب ضد الإسلام:

يقول الشيخ : (أما الصليبية فإن مقاومتـها للإسـلام ظلـت متقـدة النار خلال القرون التى عاشها ، منـذ ظـهر إلـى الآن ، أربعـة عشـر قرناً والخصام لا تفتر حدتـه ، ولا تنقـص شـدته ، أخـذ هـذا القتـال عنوان الحرب مع الروم ، ثم أخذ عنوان الحـروب الصليبيـة ، ثـم أخـذ عنوان الحرب بيـن الأتـراك وأوربـا ، ثـم أخـذ عنـوان الاسـتعمار العـالمى .

واختفت العنـاوين وبقيـت الحقـائق فـى الكشـوف الجغرافيـة ، التى قادتها المصادقات الى الأمريكيتين من ناحيـة ، وقـادت إلـى الـهند وشرق آسيا عن طريق رأس الرجاء الصـالح مـن ناحيـة أخـرى . ثـم جاء العصر الأخير ومعه الغزو الثقـافى والتيـارات الدوليـة المختلفـة ، والتفاف الكنيسة حول الإسلام ، تريد أن توجـه إليـه الضربـة القاتلـة .. أربعة عشر قرناً تساقطت حولنا نحـل شـتى وبقيـت الصليبيـة وحدهـا تحاول إخمـاد أنفاسـنا .. والـدول الاسـتعمارية هـى التىصنعـت ولا تزال تصنع إسرائيل إن الجحر الذى نلدغ منه لـم يتغـير والعـدو الـذى قاتلنا أيام الرسول فى (مؤتة)[٢] هو الـذى يقاتلنـا الآن ، وقـد أمسـى لا يخفى ضغائنه ولا أغراضه اسـتهانة بنـا .[١]

---

[١] – الشيخ محمد الغزالى : هموم داعية ص١٠٠ .

[٢] – دارت الحرب فيها بين المسلمين والروم وبعض العرب المشركين وكانت فى السنة الثامنة للهجرة

*** حـرب الابــادة :**

يقول الشـيخ : أن حـرب الإبـادة قـد وضعـت خطتـها لافنـاء الجنس العربى ، وإحلال بنـى اسـرائيل مكانــه ، والحقيقـة ان الإسـلام بالنسبة للعرب مليس فقط البداية العليا لعبـاد الله تعـالى ، ولكنـه طريـق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة إلـى هـؤلاء العـرب والخيـط البـاقى ليظلوا على قيد الحيـاة ، أن أرادوا الحيـاة .[٢]

اختلاف طريق الابـادة :

يقول الشـيخ : (اسـتغل الغـرب تفوقـه السياسـى والعسـكرى وسقوط أغلب الأقطـار الإسـلامية فـى قبضتـه ليمحـو مـن النفـوس والأذهان كل إعزار لـهذا الديـن ، أو إحيـاء لتعاليمـه ، ورسـم خطـة شاملة واعية للقضاء عليه نظرياً وعمليـاً ، واجتثـاث جـذوره ، عنوانـاً وموضوعـاً ، وتوهيـن روابطـه فـى الأفـراد والجماعـات ، وأثـارة فوضى عامة فى كيانه العـادى والأدبـى تنتـهى - حتمـاً - بزوالـه وأن استغرق زمناً طويلاً أو قصـيراً .

واختلفت دول الغـرب فـى طرائـق اجـهازها علـى الإسـلام ، فمنهما المتعجل الذى يريد ذبحه بالسكين والقضاء علـى أهلـه بالسـرعة التى تقرب الغاية المنشودة ، ومنها المتأنى الـذى يذبـح بغـير سـكين ،

ابن كثير : البداية والنهاية ٤/٦٣٢ .

[١] - الشيخ محمد الغزالى : الطريق من هنا ص٩٧ دار البشير ١٩٨٧

[٢] - الشيخ محمد الغزالى : حصاد الغور ص٤٩

ويقتل من غير أن يسفك الدماء ، ويلجأ إلى العنف في الفترات التي تستعص فيها الضحية ولا يبقى من التكشير عن الناب بد .[١]

*** علاقة التدين بمقاومة الاستعمار :**

يقول الشيخ : إندفعت الصليبية الغربية في غل دفين وتوحش مريع ، اندفاع العواصف المدمرة ، ورجفت شتي بلاد الإسلام من عنف الويلات التي إنزالها بها أولئك الغزاة السفهاء ، وانتصبت مصر أمام هذا الروع ، وظلت مائتي عام تقاوم حتى ارتد خاسئا ذليلا .

إن التدين هو مفتاح الشخصية المصرية ، فإذا وجدت هذه النفس الطيبة متنفسها العميق في الإسلام من حيث أنه عقيدة ، وسياجها المتين من حيث أنه نظام . وإذا وجد الإسلام من هذه الأمة الطيبة أفئدة تهوي إليه ، وتنفذ تعاليمه وتحقق أهدافه ، فانتظر نهضة ناجحة ومستقبلا مشرقا وخيرا غزيرا ، لا لمصر وحدها ولا للعروبة وحدها ، ولكن للعالم أجمع ... والمستعمرين للشرق الإسلامي يعرفون هذه الحقيقة ، ولا يتوجسون شرا من شيء توجسهم من قيام حركة إسلامية تصل ما انقطع من تاريخنا ، وتتصل اتصالا مباشرا بفطرتنا وميولنا وترشحنا للقيام بواجبنا العتيد ... ومن ثم ركز الإنجليز والفرنسيون ، وغيرهم من كهنة السياسة ، وزبانية الاستعمار ركزوا قواهم في فصل الدين عن الدولة ، وإبعاد الإسلام عن ميادين التشريع والتنفيذ ... ولا ننسي جهود الاستعمار الداخلي - أعوان الاستعمار _ فهي تعمل دائبة علي إفساد معني التدين ، وخلق

---

[١] - الشيخ محمد الغزالي : كفاح دين ص١٥٨ ط دار الكتب الإسلامي

جيل يأكل بالإسلام ويعين عليه ، ويصرف عواطف الشعب المؤمن إلي مجال الخرافة والبدعة والجهل ، وكما تضيع مياه النيل هباء في أعماق البحر الأبيض ، لا يستفاد منها في إخصاب ولا إثمار ، تضيع مشاعر الإيمان المستكن في قلوب العامة والخاصة [١]

الشر المتربص :

يقول الشيخ : أن ألف مليون مسلم بدعوا القرن الخامس عشر من تاريخهم فى ظروف عاصفة ، أعداؤهم يعالنون حيناً ، ويواريون أحياناً بنيتهم ، أنهم يريدون القضاء عليه ، وقد رسموا الخطط وبدعوا التنفيذ والليالى الحبالى تتمخض عن أحداث كئيبة فأطرافنا تنتقص يوماً بعد يوم ، بل صميمنا مهدد بالضياع والاستعمار الثقافى ملح فى محو شرائعنا وشراعنا ، يعينه كتاب مرتدون أو ساسة مبغضون لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

إن كل مسلك يجعل المجتمع الإسلامى أضعف من نظيره الشيوعى أو اليهودى أو الصليبى بعد خيانة أو ارتداد ، وكل تفريط مدنى أو عسكرى فى خدمة الإسلام فهو عصيان .

إن الكدح لله هنا يتجاوز المسجد إلى الحقل ، والمصنع والمرصد ، والدكان ، والبر والبحر ، وما يكتب وما يسمع ، وقد يتناول خطوات النفوس وأحلام النيام .. الإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أجدر بالحياة ، وأقدر على النجاح . [٢]

١ - الشيخ محمد الغزالي : من هنا نعلم ص ١٠، ١١ ط دار الكتب الحديثة [illegible]

٢ - الشيخ محمد الغزالى : مشكلات فى الطريق الحياة الإسلامية ص١٤ ، ١٥ ط دار البشير ١٩٨٩ .

حاول المستعمرون بكل وسائل البطش ، فتنة المصرين عن دينهم ، رسالة الدم غزيراً فى المدائن والقرى ، ومع ذلك كله تكسرت أمواج القوة أمام صلابة المعتقد ، وبقى المصريون على دينهم الذى ارتضوا . [١] .

الحقد والقتل :

يقول الشيخ : أن كراهيتهم - الصليبيين - للإسلام ترضح من معين لا يفيض ، وجمهرتهم تود لو خسف بنا وخلت الأرض منا ، هؤلاء الصليبيون ، ما إن تمكنوا قديماً من دخول بيت المقدس ، حتى ذبحوا سبعين ألف مسلم ، وحديثاً أحتموا بالجيش اليهودى ، وقتلوا بأفحش الأساليب أربعة ألف مسلم فى مخيمات الفلسطينيين بصبراً وشاتيلا ولم تتحرر الجزائر من ارجاسهم ألا بعد أن ضحت بمليون ونصف مليون شهيد كى تستعيد المساجد التى حولها الفرنسيون إلى كنائس ، وتستنقذ جيلاً من البشر سرقت عقائده ومعالمه جهرة ، واغتيالاً ، لقد أشترك المستعمرون الفرنسيون ورجال الجيش والشرطة فى قتل قريب من أربعة آلاف مسلم ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى مدينة (سطيف) ثم جاء دور اليهود ليبيدوا شعباً ، وينشئوا على أنقاضه دولة لهم تحت سمع المؤسسات العالمية وبصرها ، وبين موافقتها ومعاونتها .[٢]

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : نظرة على واقعنا الإسلامى ص٥ ط دار ثابت ١٩٨٣ .

[٢] - الشيخ محمد الغزالى : سر تأخر العرب والمسلمين ص٦٠ ط دار الريان ١٩٨٧ .

الصليبية خطر على الروحانية فى العالم :

يقول الشيخ : ولو أن المسيحية بقيت كما بدأت - لا ريب فيها ولا دخيل عليها - لما أمكنها أن تقوم بالوظيفة التى ندبت نفسهم لها وظيفة توجيه العالم أجمع وإرشاده ، وذلك لأنها ديانة محلية موقوته بزمان ومكان .. ولو استعرضنا أدوار الصراع بين المسيحية واتجاهات البشرية الخاطئة أو الصائبة ، لوجدنا أن تصرف المسيحية أضر بالأديان ، أكثر مما أضر بهذه الاتجاهات ... إننا حريصون على أن يأخذ الإسلام نصيبه الكامل فى عرض حقائقه وبيان مناهجه ... وإن كنا نذكر - فى معرض السخط والاشمئزاز - أن الصليبية الغربية تأبى ذلك كل الأباء ، وتوحى إلى أوليائها من الحكام فى الشرق الإسلامى ، أن يقفوا بالمرصاد ، لكل دعوة من هذا القبيل .. ومن الظلم القبيح للمسلمين ، بل من الإساءة البالغة لهذا العالم المسكين ، أن يحرم من وجود أمة تحترم كتاب ربها وسنة نبيها ، وتحتكم إليهما فيما يعرض لها من أحداث وشئون ، وتعتبر التدين شرفاً لا عاراً ، والإيمان بالله واليوم الآخر جداً لا لغواً ، أن أوربا تأبى علينا ذلك ، ونحن نأبى إلا ذلك ، وسنرى ما يكون والسلطة القائمة .. ولكن الحاجة ماسة إلى عمل منظم قوى ، يخضع سياسة الحكم وسياسة المال لتعاليم الدين ، خضوعاً لا فكاك لها منه مهما أختلف الأوطان ، وتطاولت العصور.[1]

[1] - الشيخ محمد الغزالى : الإسلام المفترى عليه ص ٣٠ وما بعدها ط مكتبة وهبة

الصليبية تـتربص بالإسـلام :

يقول الشيخ / أن كـل عمـل لتوهيـن قـوى الإسـلام وإضعـاف العلاقة به ، وجعل الأمة مضطربـة فـى الأخـذ مـن الكتـاب والسـنة يتملكنى شعور بـأن هـذا العمـل خيانـة عظمـى ، ومشـاركة لأعـداء كثيرين يلتفون حولنا ويتربصون بنا ،إن قـارب النجـاة الوحيـد وسـط طوفان من البلايا التى تهب على العالم الإسـلامى مـن يميـن ، ويسـار ، هو الإسـلام ...

هناك خمس جهات تقاتل الإسلام الآن :

الجهة الأولى : جهة الفاتيكان أو الكـاثوليك .. أن الحلفـاء فـى الحـرب العالمية الأولى أوعزوا إلى عميل لهم هـو مصطفـى كمـال أتـاتورك فرمى بالخلافة التركية فى البحر .. كانت رمـزاً وكـانت تمثـل أبـوة روحيـة وثقافيـة للمسـلمين .. ولقـد روا بالخلافـة الإسـلامية فـى البحـر..

الجهة الثانية : جهة العـالم البروتسـتانتي .. وهـذه الجهـة مـن وراء مجيء اليهود إلى فلسـطين ، البروتسـتانت هـم الكـثرة الكـاثرة فـى إنجلترا والكثرة العظمـى فـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ، واثـر هؤلاء فى قيام إسرائيل معـروف .

الجهة الثالثة : هى الجهة اليهودية : أن عـدد اليـهود فـى العـالم سـتة عشر مليوناً ، ولهم قدرات علميـة وماليـة ودعائيـة وفنيـة ، تجعلـهم يصنعون الأعـاجيب .

الجهة الرابعة : هى الجهة الشـيوعية : وهـى جهـة ورثـت الأمـلاك التى كسبتها روسـيا القيصريـة ، وهـى - الأمـلاك - نصـف العـالم

الإسلامى الشرقى ، والعرب فى غفلـــــة . (كأنـــهم يبلعـــون حشيشـــاً أو بنجا).

الجهة الخامسة : هى الجهـــة الوثنيـــة . جهـــة عبـــاد الصنـــم ، وعبـــاد الصنم لهم قتلى - من المســلمين - كـــل ســـنة بالمئـــات والألـــوف فـــى الهند وفى أيام التقسيم إلى باكستان وهند قتل نحـــو مليـــون مســـلم . [١]

الصليبيون يكرهـون الخير إذا جـاء عـن طريـق الإسـلام :

يقـــول الشـــيخ : أن المســـيحيين لا يريـــدون أن يـــأخذوا حكمـــاً إسلامياً ، يدفعهم إلـــى تحريـــم الخمـــر مـــع أنـــهم يعرفـــون أن أخطـــار الطريق أغلبها من السكارى ، حـــوادث الإجـــرام والحـــوادث الأخلاقيـــة أغلبها من السكارى ، فساد الآلات فى المصـــانع أغلبـــها مـــن الســـكارى هم يريدون تحريم الخمـــر ، ولكنـــهم يكرهـــون أن يـــأخذوا حكمـــاً مـــن الإسلام ، وتعدد الزوجات : كانوا يتمنون لو أبيـــح هـــذا عندهـــم ، لكـــن كرههم للإسلام جعلهم - فى أوربا - يرفضـــون هـــذا . والكنيســـة وهـــى ضد تعدد الزوجـــات تســـامحت فـــى هـــذا الموضـــوع وهـــى تعـــرض المسيحية على زنـــوج أفريقيـــا .. وتتغـــاضى الآن عـــن الجيـــل القـــائم بحيث أنها تستدرجهم للمسيحية ثم تبدأ تعليمـــهم المســـيحية الكاملـــة.[٢]

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : محاضرات فى إصلاح الفرد والمجتمع : إعداد قطب عبد الحميد ص٤٣ وما بعدها ط دار البشير ١٩٨٩م .

[٢] - الشيخ محمد الغزالى · كيف نتعامل مع القرآن ص٩٦ ، ٩٧ ط: دار الوفاء ١٩٩٢ .

لا قانون لعلاقات الصليبية بالعالم :

يقول الشيخ : الناس يعرفون عن دول أوربا أنها كل أثارة للشرف والخلق ، فى علاقاتها السياسية بأمم الشرق . وأن الحضارة الغربية قد أسقطت جملة مكانة الضمير الإنساني سواء فيما يدور بينها من منازعات ، أم فيما يدور بينها وبين غيرها ، من مشاكل

و خصومات. والسياسة الأوربية هى صاحبة مبدأ الويل للمغلوب ، ومبدأ الغاية تبرر الواسطة ومبدأ ا المعاهدات قصاصات ورق ونحن نقول إن إنجلترا حلفت بشرفها سبعين مرة وحنثت كذلك سبعين مرة ، ونعرف إن إنجلترا فى ذلك تمثل النفسية العامة لدول الغرب فليست خيراً ولا شراً من فرنسا وإيطاليا .. وأمريكا .[1]

الاستعمار يزرع الطائفية فى بلاد المسلمين : يقول الشيخ : جاء الاستعمار الحديث فشرع يشحن أفئدة الطوائف الدينية في العالم الاسلامى ، بالحقد و الغش على أخواتهم الطيبين ، و يختلق حكايات مفتريات عن ظلم الأكثرية المسلمة للأقلية الدينية ، و يغرى نفرا من الغلاة بمطالب مجنونة لا حصيلة لها الا زرع الفتن .

*** لا للخضوع :**

يقول الشيخ : مما يثير قلق الأمة الإسلامية و يجرح كبرياءها ، هو خضوع المسلمين واحتلال أراضيهم فى بعض أجزاء معينة من العالم وأ ن أشد ما يؤلمها وأقساه مرارة فى نفسها هو احتلال مدينة القدس الشريف ، واغتصاب مقدساتها ، إن على الأمة

---

[1] – الشيخ محمد الغزالى : تأملات فى الدين والحياة ص٥٤ ط دار الدعوة ١٩٩٠ .

الإسلامية أن تعبي قواها مــن أجـل الجـهاد المقـدس لاسـتعادة مدينــة القدس الشريف وتحرير كافة الاراضـــى الإســلامية المغتصبــة) .[١]

تحذيــر مــن اليهـــود :

يقول الشيخ : ما انتهت الحروب الصليبيـــة .. وإنمــا هــى الأيــام مد وجزر ،عاد هؤلاء ليســلموا الأرض مــرة أخــرى إلــى اليــهود .. والغدر اليــهودى طبيعــة جنــس وخصــائص أمــة ومــيراث أجيــال ' وحقيقة لا يمكن إنكارها ' ولا التغاضي عنــها ' واليــهود يعلمــون مــن أنفسهم هذا .. وهم يؤكدون أنهم إذا كــانوا قــد ضربــوا مفــاعلا ذريــا عراقيا ,, فهم مستعدون أن يضربوا أى بلد عربــى لــه قــاعدة يخشــونها ' أوله قوة يرهبونــها ' هــذه طبيعتــهم ولســت ألومــهم ' لكنــى ألــوم الصف المختل ألوم العين النائمة وسط العيــون الخائنــة ' ألــوم العــرب الذين نسوا الله فأنساهم أنفســـهم) .[٢]

(متابعـــــة) :

كان الشيخ يرحمــــه الله تعــالى يملــك إحساســاً كونيــاً ، وأفقيــاً عالمياً فى معالجته لمشــاكل الدعــوة الإســلامية ، وهــذا مــا يجــب أن يتحلى به كــل داعيــة يتصــدى لقضايــا الدعــوة الإســلامية ، فالرؤيــا المحدودة ، والأفق الضيق ، والمحلية فى الفكر ، كــل هــذا يــؤدى إلــى ضعف فى حركة الدعوة فى حاضرهـــا ، ويؤثــر ســلباً علــى مســتقبلنا ولذلك كان للمكانة التى تبوأها الشيخ أسبابها ، ومــن أهــم هــذه الأســباب

---

١ - الشيخ محمد الغزالى : الإسلام والطاقات المعطلة ص١١٢

٢ - الشيخ / محمد العزالى : خطب الشيخ محمد الغزالى ص٧٦ ط دار الاعتصام ١٩٨٨م .

تركيزه على ما ينسف الدعوة فى داخل البلاد الإسلامية ، وفى خارجها ، والتحذير مما يضر بها فى الداخل والخارج .

ومن خلال معالجة الشيخ لقضية الاستعمار تتضح عالميته الفكرية التى بوأته مكانة لم يصل إليها داعية فى العصر الحديث . فقد عالج قضية الاستعمار من زوايا متعددة تتجلى فيما يلى :

١- ماهية الاستعمار الصليبى :

عندما يتحدث الشيخ فى الدعوة الإسلامية فإنه يستحضر سنن الله تعالى فى الكون ، ويستحضر التاريخ ، وينظر بدقة إلى حركة الحياة ، وتضارب مصالح الناس فيها ، ومن ثم فإنه يحدد علاقة الاستعمار الغربى الصليبى بالمسلمين ويردها إلى أصلها الأصيل وهو الحقد على الإسلام والمسلمين من بداية الصراع فى يثرب وفى نهاية الحياة على الأرض ، ثم يزاوج بن أحقاد الاستعمار القديمة المتجددة ، وبين أطماعه فى بلاد المسلمين ، ويرى أنه من واجب كل داعية يتصدى لتوجيه الجماهير المسلمة أن يضع نصب عينيه هذا التزاوج - أحقاد وأطماع - لتحديد علاقة الاستعمار بالمسلم محدداً الهوية ملماً بالماهية ، ومن خلال ذلك يستطيع أن يوجه الجماهير المسلمة توجيهاً نافعاً ينفعها فى يومها ، ويؤمن لها غدها الذى تتزاحم عليه دول العالم الغربى لسرقته اقتصادياً وعسكرياً ومحوه من سجل الزمن لفظاً ومعنى ، وأثراً وتأثيراً .

يقول د/ قاسم عبده عن امتزاج الحقد على الإسلام بدم الصليبيين كما ظلت للحروب الصليبية جاذبيتها فى أوربا الغربية

حتى القرن الثامن عشـــر . فبالنســـبة لخمســـة عشـــر جيـــلاً مـــن أبنـــاء الغرب الأوربى كانت الحرب الصليبية تشكل جـــزءاً حيـــاً وحيويـــاً مـــن عالمهم ، إذ أن مئات الألوف منهم قـــد شـــاركوا بأنفســـهم فـــى حملـــة أو أكثر من الحملات الصليبية ، كما أن آلافـــا عديـــدة مـــن أبنـــاء الغـــرب الأوربى ساهموا بأموالهم فى تمويل حملة أو أكـــثر مـــن هـــذه الحمـــلات ، ومن ناحية أخـــرى كـــانت أحـــداث الحـــروب الصليبيـــة تشـــغل بـــال الكثيرين ممن لم يشاركوا بـــالنفس أو بالمـــال [1].

فى الفقرة السابقة يصور المؤلـــف حقـــد أوربـــا الصليبيـــة علـــى الإسلام ، فمنهم من مول هذه الحمـــلات بالمـــال ، ومنـــهم مـــن شـــارك بالنفس من قتل منهم كان له أبناء يرجـــون ثـــأره ، مضافـــاً إليـــه الحقـــد العام على الإسلام والمســـلمين .

وعن التزاوج بين الأحقـــاد والأطمـــاع يقـــول د/ قاســـم عبـــده : (ولمـــا كانت الحركة الصليبية فى التحليل الأخير إفـــرازا للتفـــاعل بيـــن الكنيســـة والإقطاع ، فإنها كانت تسعى بالضرورة إلـــى تحقيـــق الأهـــداف الكنســـية التى كانت البابوية قد بلورتها مـــن خـــلال نزاعـــها مـــع الإمبراطوريـــة وهى أهداف كانت تتركز أساســـاً حـــول الســـيادة المطلقـــة للبابـــا علـــى العالم المسيحى ، كما أن الحركة الصليبيـــة كـــانت مـــن ناحيـــة أخـــرى محاولة لتحقيـــق أهـــداف النـــاس العلمـــانيين الذيـــن خضعـــوا للتنظيـــم الإقطاعى سواء كانوا من النبـــلاء وفرســـانهم أو مـــن الفلاحيـــن ، لقـــد كان الفرسان يرغبون فى توسيع ســـلطانهم وأملاكـــهم .

---

[1] - قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية ص١٠ ط المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ١٩٩٠ .

أما البرجوازية الناشئة ، ممثلة في القوى التجارية الإيطالية على وجه الخصوص ، فقد رأت في المشروع الصليبي فرصة هائلة للسيطرة على تجارة البحر المتوسط وتجارة العالم ، ولهذا سارعت بالإنضِمام للمشروع بعد أن صار حقيقة واقعة). [١]

وبهذا تستكمل حلقات الصراع - صراع الأحقاد والأطماع - أدى فيما بعد صراعات طويلة ومريرة قضت على عافية الأمة الإسلامية وعلى دورها المنوط بها في إقامة العدل في العالم ، والرقي بالمستوى الأخلاقي والحضاري .

وبداية الحقد على الأمة الإسلامية سجلها القرآن الكريم عند نزوله ، وليس شيئاً ابتدعه الشيخ من عنده ، يقول الله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم...) [٢] .

ولماذا أهل الكتاب بالذات ؟ لأن الحضارات تقوم داخل سياج من الإيمان والأخلاق وهزيمة أهل دين ، وتحويلهم عن دينهم تعتبر قضاء على حضارتهم وهذا هو جوهر الصراع بين أهل الأديان ظاهره الدين ، وباطنه السياسة والاقتصاد والثقافة ، ومن العجب أن بعض المسلمين يتسامح في هذه الأشياء ، ويظن أن الصراع مع الأعداء ينصب على قضية الإيمان ، والإيمان لا يعني الصليبيين في شيء لأنهم يقاتلوننا على الدنيا لا على الآخرة ، وإنما يستهدفون الدين لأنه السياج الذي يحمي دنيا المسلمين وحضارتهم ، وبعض

---

١ - المرجع السابق ص٥٧ ، ٥٨.

٢ - سورة البقرة الآية : ١٠٩ .

الناس فى العالم الإسلامى يظن أن التسامح فى القيم الإسلامية نوع من التقدم والتحضر ، ولا يعلم أن هذا التسامح سوف يدمر له التقدم والتحضر وكل ما يبتغيه من خير .

طبيعة الغدر والفتك :

يرى الشيخ أن الحقد الذى يسكن قلوب الصليبيين على الإسلام والمسلمين ، ويؤدى بهم إلى نوع من الشراسة والقسوة ليس معهودا من البشر حين يتغلبون على المسلمين فى أى صراع ، وكتب التاريخ حبلى بالمذابح التى جرت للمسلمين من الصليبيين والتنكيل الذى حدث لهم ، ومع هذا فالحاضر يشهد بقسوة ما يحدث للمسلمين من الصليبيين فى كل مكان فى العالم يدور فيه صراع بينهما وتكون الهزيمة فى صف المسلمين ، وما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك خير شاهد على هذا، فهم لم يكتفوا بالمذابح الجماعية وبقر بطون النساء الحوامل إنما أضافوا إلى الصراع ألواناً جديدة من القتل المعنوى ، فقد اغتصبوا كل امرأة وقعت أيديهم عليها ، وبعض الناس يظن أن هذه شهوة عند الجند و أحداث فردية ، ولكن التحقيقات كشفت أن هذه سياسة الغرض منها قتل معنويات المسلمين فى الداخل والخارج على السواء ، وأعتقد أنهم وصلوا إلى شي مما يريدون ، فقد كان كل ذلك يحدث والحياة تسير طبيعية فى بلدان العالم الاسلامى ، باستثناء بعض العقول التى استشعرت الخطر ، وبعض القلوب التى وجلت رحمة وخوفا على مستقبل الإسلام والمسلمين .

وفى كوسوفا حدثت مجازر للمسلمين واغتصاب لنسائهن ' ويحدث ذلك للمسلمين فى الفلبين ويحدث للفلسطينيين من اليهود ما يشيب له الولدان ' ويكفى فى ذلك رفض إحدى محاكم إسرائيل للقسوة التى تتعامل بها الشرطة الإسرائيلية مع الفلسطينيين .

وقد سجل الشيخ كل ذلك فى كتبه ورصده رصدا دقيقا ' وقد سبق ذكر جانب من ذلك فى هذا الفصل . ويرى الشيخ أن طبيعة الغدر والفتك طبيعة متصلة عند الصليبية فى كل صدام مع الغير ' فقد استخدم الأمريكيون القنابل النووية ضد اليابان وقتلوا مئات الألوف فى لحظات . ويرى الشيخ أيضا أنهم فى صراعهم الداخلى لا يتراحمون ' وقد وضعوا قوانين لذلك منها " ويل للمغلوب " والشيخ بذلك لا يقدم تاريخا مسليا للناس - على عادة العرب - بل يقدم إنذار صادقا للمسلمين يحذرهم به من عدو لا يملك أى مشاعر إنسانية تجاه الغير ' خاصة إذا كان هذا الغير من المسلمين ' ويستنهض همة المسلمين لتحصين أنفسهم من يوم يقعون فيه تحت طائلة هذا العدو الشرس الذى لا تعرف الرحمة طريقا إلى قلبه ' ولا يعرف العدل طريقا إلي عقلة ' إنما رحمته وعقله سياسة ' فإذا انتفت أسبابهم انقلب وحشا شرسا مدمرا قاتلا مغتصبا ' ويحذر الشيخ الذين يخدعون أنفسهم بالألفاظ المعسولة التى تصدر عن الصليبين ' بأن خداع النفس هذا لن ينفعهم حين تقع الواقعة لآن العدو متربص ' وإذا تركنا نعيش فى سلام فترة ' فليس معنى هذا أنة صافى القلب وخالى الذهن وانما معناه أن الوقت الذى حدده للانقضاض لم يحن بعد .

٣ - تنوع العناوين واختلاف طرق الإبادة :

من القضايا الهامة التى أبرزها الشيخ قضيـــة ذكـا الغربييـن فـى تعاملهم مع المسلمين ' ويضاف لهذا الذكاء ربـح الغـدر والخـداع التـى يملكونها ' ولذلك فهم يقسون دول العالم الاســلامى طـولا وعرضـا ولا تجد لذلك معارضة ' ويستخدمون العنــاوين الخادعــة ' فتحـت عنـوان التعاون الاقتصادي يتم استخراج البترول ونقلـــة الـى بلادهـم بواسـطة شركاتهم تاركين لأصحاب البـترول الفتـات ' والعنـاوين البراقــة التــى يعيشون عليها وينخدعون بها ' والمحصلــة النهائيــة لموضـوع البـترول فى بلاد العالم الاســلامى ' ان هــذه البــلاد تعتــبر - عمليـا- محطـات تقوية تساعد على نزوح ثــروة المســلمين وكنوزهــم التـى أودعــها الله سبحانه وتعـــالى أرضــهم ' ونقلــها إلــى أعدائــهم ' بحجـة التعـاون الاقتصادي والتجارة العالميـــة إلــى آخـر هــذه العنـاوين ' " الشــعوب الاسلامية زمنــا طويـلا ومـازالت تغتصـب ثرواتـها مـن الشـعوب الاسـتعمارية " . [1]

وفى بداية هذا القرن هجم الغربيون علـــى كنـوز مصـر بحجـة الثقافة والبحث العلمى عـن الآثـار وسـرقوها ، وهــى موجـودة فـى معارضهم ومتاحفـــهم إلــى الآن ' وهـم الآن بحجـة الثقافـة والتبـادل الثقــافى يرسـلون إلينــا الأفـلام والمسلسـلات التـى تحمـل أفكـارهم وحضارتهم وتوطن لهم فى المشاعر والنفـــوس ' وكـل ذلـك مخصــوم من ديننا وأخلاقنا ' وهى سرقة من نوع جديـد وبعنـوان جديـد .

---

[1] - د/ مصطفى محمد رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث ص٨ مكتبة الجامعة ١٩٨٣ .

واختلقت أيضا طرف الإبادة المستعملة ضد المسلمين ، فقد كانت قديما بالسلاح ، ولكنهم اكتشفوا السلاح يشحذ همة الأمة ، ويقوى أخلاقها ويعظم دينها ، فلجأوا إلى طرق جديدة منها : تهريب المخدرات بكل أنواعها ، وتهريب أفلام الجنس المكشوف ، وتخريب برامج التعليم فى البلاد الاسلامية ، وتسليط بعض حكام هذه البلاد على أهلها ، وتوريد أغذية محملة بالهرمونات والكيماويات الضارة التى تسبب الأمراض القاتلة بعد فترة تطول او تقصر . . وهكذا .

٤- علاقة الدين الاسلامى بمقاومة الاستعمار :

من أهم القضايا التى أثارها الشيخ فى تصديه للاستعمار ، قضية أهمية الدين فى مقاومة الاستعمار ، وهو بذلك يقف على طرفى نقيض مع بعض حكام البلاد الاسلامية الذين تربوا فى الغرب ، أو الذين تم عسل عقولهم ، لانهم لا يرون فى الدين قوة تحمى أمن أوطانهم ، ومع ذلك فان الحقائق تثبت أن حماية الدين حماية الجيوش ، لآن الجيوش تتناثر وتتلاشى ان تعرضت لقوة اكبر منها أو لخطط احكم من خططها وهذا ما حدث فى مصر فى هزيمة عام ١٩٦٧. لقد تلاشت الجيوش وبقى للمصريين إيمانهم يدفعهم للعمل والتخطيط وبذل الغالى والنفيس حتى أذن الله تعالى بالنصر فى عام ١٩٧٣ وكان الدين عنوان النصر وجوهره .

والشيخ يعتبر الدين أمنا قوميا للدول الاسلامية ، وأمنا أساسيا لحماية كيان الأمة الإسلامية التى يجب أن تقوم بدورها المحلى فى حماية المثل العليا س والأخلاق الكريمة ، ودورها

العالمى فى حماية الحق والعدل والسلام . ولذلك فالشيخ - يرحمه الله تعالى - يضع نصب عينة المؤامرات التى يصنعها الاستعمار ضد الدين الإسلامي تارة بحجة التقدم ' وتارة بحجة البحث العلمى ' والجموع الغافلة تصدق ' وتشرب السم الزعاف على أنة دواء ' وقد منح الله تعالى الشيخ ذكاء نادرا ، وخبرة عظيمة ، فى فهم ألاعيب الاستعمار فكلما دس الاستعمار فكرة فى البلاد الإسلامية ظاهرها يخفى ما تحته من حقد وكراهية ' كشف الشيخ هذه الفكرة .

وكشف أسبابها ' والاهم من ذلك كله أنه كان يبين للناس ' ما يؤدى إلية تطبيق هذه الفكرة على المدى القريب والبعيد - أى الفكرة فى بعديها التكتيكى والاستراتيجى - ثم فضح أساليب الاستعمار فى حربه للدين الإسلامي خاصة ' ولكل الآديان بصفة عامة ' ووضع ذلك تحت عنوان الصليبية تحارب الروحانية فى العالم أجمع ' لآن الدين هو أقوى سلاح لدى الشعوب مهما كان هذا الدين الاسلامى لما فيه من قوة تأبى الخضوع ومن إيمان يأبى الرجوع .

يقول د/ ماجد عرسان الكيلانى : (إن استمرار الأمة في الحياة مرهون باستمرار حملها للرسالة ، وما يتفرع عنها من تطبيقات في مجالات الحياة المختلفة ، فإذا ضعفت عن حمل هذه

الرسالة ، أو توقفت فاعليتها ، أو تقلصت تطبيقاتها ، انتهى وجود الأمة) [١]

ويربط المؤلف بين التمسك بالإسلام وبقاء هذه الأمة ، ومن الغريب أن هذه الحقيقة تغيب أحيانا عن بعض المسلمين ، ولكنها لا تغيب أبدا عن ذهن أعداء الإسلام ، لقد استمعت إلي مقدم برامج تليفزيون المصري يبشر الجماهير الصائمة في شهر رمضان أن مائة حلقة أخري قد وصلت هدية من التليفزيون الأمريكي لمسلسل يزيد علي مائتين من الحلقات .. هذا المسلسل يكلف عشرات الملاين فلماذا تأتي هدية ؟ تحصل عليه البلاد الإسلامية وفي معظم بلاد العالم المتخلف بدون مقابل ، لأنه يحمل نوعاً من الهمجية في الدين والأخلاق ، ونوعا من الإباحية في العادات والتقاليد ، يعلي من الغريزة علي حساب الدين والعمل والإنتاج ، ربما يقول قائل أن هذه المسلسلات تذاع في بلاد إنتاجها فالضرر واحد ، ونجيب بأن هذه الشعوب تقدس العمل وليس لديها وقت لمتابعة هذه المسلسلات ، وهم علي كل حال لا يتأثرون بها ، لأن لكل شعب ظروفه الأخلاقية والتاريخية والجغرافية والمناخية ، إنها تؤخذ هناك علي سبيل التسلية ، ولكنها تؤخذ هنا كقدوة في الفعل والسلوك وهي مقدمة لمزيد من التحلل والتلاشي هنا ، ولمزيد من السيطرة والغلبة هناك ، وهذا

---

١ _ د/ ماجد عرسان الكيلاني : اخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها وضعفها ص٢١ ط أخبار اليوم ١٩٩١ م.

ما كان يخشاه الشيخ ,ألف فيه أكثر من كتاب ، وطاف عمرا يحذر المسلمين من عملية توهين العقيدة في قلوبهم لأن هذه العقيدة هي جوهر حياتهم وسنام أمرهم ووجودهم ، يقول د/ البهي : (يفرض علينا الأجنبي (موضوع التفكير) وجرنا إلي مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا ، ويدفعنا في متاهات ننسي فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتها ، أو نتركها عن قصد ، وربما نتركها متحدين إياها ، مجاهدين في حمل الآخرين منا علي الترغيب عنها ، فرض علينا (العلمانية) في تعليمنا وفرضها في تشريعنا ، وفرضها علينا في تفكيرنا وسلوكنا ، وفرضها علينا في سياستنا وفرضها علينا في اقتصادنا ، ففصل بين الإسلام وحكم الدولة ، وأبعد الإسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه داخل المسجد وفي قلوب الناس يمارسونه اعتقادا ، وقلما ينزلون به إلي التطبيق .. ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية أن يفرض علينا (علمانية) من نوع آخر متطرف يحاول أن يفرض علينا إلغاء الدين عقيدة ، بعد أن طمست معالمه عملا في أوضاع المسلمين ، يحاول أن يصل بنا إلي ما يسمى ,, الإلحاد العلمي,,وهو مرحلة من مراحل العلمانية) [1] والاستعمار حين يوهن عقيدة المسلمين في نفوسهم ، لا يضمن بذلك انهيارا في الاقتصاد ونظم التعليم فحسب ، بل يحصل علي نتائج ملموسة

---

[1] - د/ محمد البهي : الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص٦ ط مكتبة وهبة ١٩٧٨.

في قتل العزة في نفوس المسلمين لأن الإيمان الكامل بالله تعالي يضمن للفرد العزة الكاملة (أن عبادة الإنسان لله تعالي تضمن له الحرية التي ينشدها ، فهي تحرره من عبودية هواه ، وتحرره من عبودية الناس ، فلا يرتبط بأي إنسان رباط العبد بالسيد أن إيمانه بالله الخالق الرازق يحرره تماما من أي لون من ألوان العبودية ، لا يخشى إلا الله تعالي علي رزقه ، ولا يخاف من أحد علي حياته ، فينطلق حرا ما دام عبد الله تعالي) .[1] فالدين له عناصر تحمي المجتمع الإسلامي من السقوط ، وتأخذ بيده من عثراته ، ولذلك يحاول الاستعمار محاربة الدين ، بطرق مختلفة وتحت عناوين متغيرة ولا فتات براقة ، حتى يتم خداع الجماهير المسلمة بهذه العناوين وتلك اللافتات ، لأن موضوع الدين حساس لدي الشعوب ولا يمكن اختراقه الا بالحيلة الذكية والفرصة السانحة.

٥- الاستعمار يزرع الطائفية فى بلاد الاسلام:

من الأعمال الخطيرة التى يقوم بها الاستعمار فى بلاد الإسلام ليفسد أمنها وأمانيها ، موضوع خلق الصراعات الطائفية والعرقية فى مجتمعات المسلمين ، فتراه يوقد النار ويضع عليها الزيت فى كل بلد مسلم بحجة أن طائفة تغلبت على طائفة أخرى

١- يوسف كمال: الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ص٦ ط دار الوفاء ١٩٨٦.

أقل منها عددا أو عدة ، يحاول ذلك فـــى مصـــر ، وان كـــان الشـــعب المصرى بوحدته وتلاحمه قـــد خيـــب أملـــه وأحبـــط عملـــه ، ولكـــن الاستعمار لا يأس ، وربما عـــاود الكـــرة ، فيلـــزم الحـــذر ، والشـــيح يحذر من هذا الأمر ، لمعرفته الخطر الذى ينتج عـــن صـــراع أبنـــاء الوطن الواحد ، وفى لبنان أيضا يوقد الاســـتعمار نـــار الصـــراع بيـــن أبناء الوطن الواحد ، وفى أفغانستان يوقد صراعـــا مـــن نـــوع آخـــر بين المســـلمين بعضـــهم البعـــض ولكنـــه صـــراع عرقـــى ، وهـــذا الصراع أدى إلى استمرار الحرب وانهيار الاقتصـــاد وفســـاد النظـــام والأمن داخل الدولة لأن الاستعمار يخشـــى مـــن اســـتقرار أفغانســـتان تحت حكم اسلامى واحد ، وهكـــذا ..

وهذه أمثلة ليست على سبيل الحصر ، ولكن مـــن يقـــرأ كتـــب الشيخ يراه قد حصرها ونبه عليـــها فـــى كـــل بلـــد ذاكـــرا الأســـباب والنتـــائج.

٦- تحذير من اليـهود :

يحذر الشيح من اليهود ، ولا يصدر تحذيـــره هـــذا عـــن هـــوى ، بل يصدر عن عقيدة وتاريخ ودراســـة صـــراع .

فبالنسبة للعقيدة يقول الله تعالى " لتجـــدن أشـــد النـــاس عـــداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .." [1] ومـــن ناحيـــة التـــاريخ فقـــد

[1] - سورة المائدة : ٨٢

شارك اليهود فى الصراع ضد الإسلام من بدايته وحتى الآن ، ومن ناحية دراسة الصراع فقد جاء الدور الآن على اليهود ، فقد قام الصلبييون بسرقة حاضر المسلمين وأزاحوهم خارج التاريخ من فترة ليست بالبعيدة ودور اليهود الآن هو سرقة مستقبل هذه الأمة وما المعاهدات والمصالح التى تجرى اليوم الا مقدمة لذلك ، ولن تتم الهزيمة اليهودية على بلاد الإسلام بالحديد والنار كالأمس القريب - وان كان ذلك موجودا وجاهزا وانما يمكن تخيل الصراع نتائجه بين العين النائمة والعين الخائنة كما يقول الشيخ ، بين من يملك العلم والمعرفة فى كافة المجالات ومن يتسول ذلك ، بين من يعتبر العمل العمرانى عقيدة لإ قامة مملكة الرب ، ومن يعتبر العمل العمرانى لهوا ولعبا ، بين أمة تعشق العمل وأمة لا تحب العمل وتقيم مجدها على الصراع اللفظى والخيالى الشعرى ، إن نتائج هذا الصراع محسوبة لصالح العدو ، ولكى نمنع الكارثة لابد أن نعود إلى حزم وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، حين ملكوا الدنيا بالعمل فى أقل من مائة عام ، وكان الشيخ - يرحمه الله تعالى - يحاول لفت نظر المسلمين إلى الخطر الكامن فوق أرضهم الجاسم على صدورهم خطر اليهود ، وهو لا ينظر إلى الحاضر فقط بل ينظر إلى المستقبل القريب والبعيد ، فإذا اتقى المسلمون هذا الخطر كان

ذلك إيذانا بميلاد أمة جديدة تحيا مجد الإسلام من جديــــد ومـــا أحـــوج العالم الى هذه الأمة لو اســـتيقظت .

٧- لا للخضـــــوع :

كأي رجل مؤمـــن لا يستسـلم الشــيخ ، رغــم فهمــه العميــق لخطورة الصراع بيــن الصليبيــة والإســلام ، ويضــع عنوانــا فــى مؤلفاته يقول فيه : " لا للخضوع " وهو لا يضع هــــذه العبــارة علــى لغة الطلب فتكون الخطــة إنشــائية . بــل يقصــد لا للخضـــوع فنـــاء وليس معناه استسلاماً كما يظن البعض بــــل هـــو فنـــاء لـــهذه الأمـــة التى تعبد الواحد القادر القاهر وتقوم عقيدتها علـــى رفــض الخضـــوع لغير الله تعالى ، فإذا جاء الوقت الذى تخضـــع فيــه يكــون قــد جــاء وقت فنائها ، وهذا الفناء لا يتم مرة واحدة ، بـــل ينشــب فــى كيانـــها شيئا فشيئا حتى تكون النهاية ، ولكننـــا يجــب ان نـــهتف جميعـــا مـــع الشيخ " لا للخضوع "ولا نقف عنـــد الـــهتاف ، بــل يجــب أن نعمــل لتحقيق هذا الشعار الكريم ونســـتلهم قـــول الله تعـــالى " ولا تـــهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنيـــن "[1] وســـنكون الأعليـــن بـــإذن الله تعالى فقط إن تحقق الشرط الـــذى وضعـــه الله تعـــالى فـــى نهايـــة هذه الآيـــة :

- ان كنتم مؤمنين - يجب الإيمان فـــى ذواتنـــا إيمانـــا يبنـــى العقيـــدة والحضارة التى تحمى هذه العقيدة فـــى آن واحـــد .

[1] - آل عمران : ١٣٩

الفصل الثانى

التبشير والاستشراق

يرى الشيخ أن التبشير والاستشراق من نتائج استعمار البلاد الإسلامية ، ومقدمة ضرورية لإحكام السيطرة النهائية على تلك البلاد ، لأنه يرى أن الصراع مع أعداء الإسلام ممتد وأن الحرب لم تضع أوزارها بعد معها ، رغم اختلاف الوسائل وتنوع الأساليب .

يقول الشيخ : الغزو الثقافى الذى يجتاح الأمة الإسلامية **صنو الغزو العسكرى الذى** جاس خلال الديار من بضعة قرون ، **وأثر** لابد منه للهزائم التى أصابتنا ، وألحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة ، والأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما ، فهم لا ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجين ، وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته ، وكاسرين شوكته فان كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ، ولم يدعوا لأهله إلا الفتات ، وأن كانت لهم أغراض دينية ، أو اجتماعية ، وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة ، وتغيير ملامحها ، وكما ينقل النهر من مجرى إلى مجرى آخر ، تنقل الأمة رويدا رويدا من مجراها الفعلى الأول ، إلى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعا .

فلما واتته الفرص ووضع يده - الاستعمار - على أقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر ، ومضى دون هوادة يجهز على فلوله الثقافية الخائرة بعد ما دخر جيوشه العسكرية في مواطن كثيرة.

وانطلقت طلائع الغزو الثقافى تطارد الدين المغلوب على أمره في ميادين التربية والتعليم والتشريع ، وتطوى تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية ، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تستخفي ليحل محلها البناء الجديد الذى وضع الغرب حقيقته وصورته .[١]

وعن وسائل الخصوم فى الهجوم على الإسلام يقول الشيخ تغيرت وسائل الإعلام ، وصناعة المشاعر والأفكار ، وأضحت الكلمة والصورة والخبر ، والتعليق والكتاب والصحيفة والراديو والتلفاز ، بل الأغاني والفكاهات أضحى كل ذلك موجها ببراعة إلى غايات مرسومة ، ووفق خطط موضوعة .. وقد نجح خصومنا فى شن غاراتهم على الأمة الإسلام واستعانوا بآخر ما بلغه العقل الإنساني من إبداع كى يفتنونا عن ديننا ويسرقوا أرضنا .. ترى ماذا أعددنا للدفاع عن مقدساتنا ؟ والذود عن مواريثنا ، وعن دينانا وآخرتنا ؟ لا شأن لى بالحروب الساخنة

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا ص ٤٥ ط دار الشرق ١٩٨٥.

فلست من رجالها ، وانما اهتم بالإعلام دفاعا وهجوما ، وبالاقتصاد توجيها وهيمنة ، فان الاستعمار العالمى ملح فى اغتيال ديننا ، والاجهاز عليه روحا وبدنا ، واستغل الضوائق ، وأزمات الجفاف وسنى القحط والمسغبة ، ليساوم المستضعفين على بيع ضمائرهم وترك عقائدهم .. ان الدعايات المضادة تستخدم الجهد الجماعى لا الفردى ، والخدمات المسداة للفقراء والمساكين ، ومن ورائها سياسات بصيرة ، والدول الاستعمارية لا تدخر وسعا فى ذبح الإسلام بغير سكين غالبا ، أو بالسكين إذا اشتدت المقاومة ، وتشبثت الضحية بالحياة .. الغزو الثقافى صنع الألوف من الغافلين ، وربما كان عن تواطؤ متعمد ، والغزو الثقافى صنع الألوف ممن يخدمون المنصرين على حساب الإسلام والمسلمين [٢] .

وعن الاستعمار الصليبى التبشيرى يقول الشيخ : ان الاستعمار الصليبي بشقية - الثقافي والسياسي - أمسي راجح الكفة ، بعيد النفوذ ، فان لم تكن له جيوش تحتل الأرض ، فله جيوش تحتل الفكر والفؤاد والسلوك .. ان مواريثهم الدينية المستحدثة عن أرض الميعاد توشك ان تتحقق، ونبوءات العهد القديم التى طال عليها المدى قد جاء أوانها .. والحق أن مستقبل الإسلام كله

---

[٢] - الشيخ محمد الغزالى : مستقبل الإسلام خارج أرضه ص٩٠، ٩١ط دار الشروق ١٩٩٧.

فى مهب الرياح مع هذا البــلاء الوافــد ، وجــهد الاســتعمار الثقــافى والسياسي أن يمهد الأرض الإسلامية كلها لقبــول هــذا الواقــع [١] .

وعن المساعدات التى تقدم للمســلمين لتنصــيرهم ، وإبعــادهم عن دينهم يقول الشيخ: فـــى بقــاع كثــيرة مــن دار الإســلام وجـد البائسون ، ووجد الأغنياء المســتغلون وقـد اســتغل التنصــير هــذا التفاوت لمصلحته ،لا سيما بعد أن تلقــى التعليمــات مشــددة أن يبتعـد عــن الجــدل الدينــى ، وأن يكتفــى مثــلا بتقديــم العــون الصحــى والاجتماعى للمحتاجين ، مؤكــداً لطالبيــه أنـــه عـــون مـــجـــرد من (يسوع) الذى يجير المســتجيرين ، ويعطــف علــى المســاكين ، وقد قامت مؤسسات ضخمة تسدى العون لطالبيه علــى هــذا الأســاس ، وترقب فى أمل رد الجميل .. كمــا أن عــددا مــن أبنــاء المــترفين فى الداخل والخـــارج عــاش للعربــدة والتســول الجنســى ، وكــان ظهيرا ضد بلاده ودينه للغداة المــتربصين والأقليــات الإســلامية فــى العالم تتآكل تآكل اليابســة أمــام اللجــج العاتيــة وتكــاد تعجــز عــن المقاومة وهى لا تجد عونا من أحد وكأن القــدر حكــم علــى أغنيائنــا بإنفاق المليارات فى الهباء عقوبة لهم على الضن بــها فــى ســبيل الله ، وحماية إخوانهم المنكوبيــن .. إننــي أرقــب قــادة التنصــير وهــم يدرسون - على مهل - خططهم فــى تدويــخ أمتنــا وزحزحتــها عــن

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج ص ١٥٥و ما بعدها ط دار الصحوة للنشر ١٩٨٧م.

عقائدهم ، بيد أنــى أكــاد أنفجـر حيــن أرى حصوننــا مــهددة مــن الداخـلى.[1]

وعن خطط الاستعمار فى البــلاد الإســلامية يقــول الشــيخ : عندما سقطت الدولة الإســلامية (الخلافــة) فــى القــرن المــاضى بعدما فتكت بها الأدواء الخلقية والاجتماعيــة ، وتفشــت فيــها العلــل النفسية والسياسية اهتبل الغرب الفرصة الســانحة ، واســتطاع خــلال مدة وجيزة أن يضع يده على أغلب الأقطــار الإســلامية ، وأن يوقــع الشعوب المذعورة فى الحبائل التى نصبــها ، فــأضحت لــه فريســة سهلة .. ولجأ الاســتعمار الصليبــى إلــى ثــلاث طــرق لمحــاصرة الإسلام ومحاولة الإجهاز عليــه ..

١- منع الحكومات الإسلامية من الاعتماد علــى التشــريع الإســلامى وللاستعمار حيل دقيقة وسلطات مرهوبة تجعل إيماءاتــه فــى هــذا الشأن أوامر منفذة بل أوامر يصدع بها العبيــد ، وكأنــها تفكــيرهم الخاص ، ووجهة نظرهم التى اقتنعــوا بــها .

٢- التبشير بالنصرانية نفســها عــن طريــق المستشــفى والمدرســة والملجأ وأساليب النشر المختلفــة .

٣- ومن أخطر الوســائل للنيــل مــن الإســلام ، وتذويــب حقائقــه حكومات مواليه للاستعمار عاطفة على أمانيــه ومراميــه . وهــذه

---

[1] - الشيخ محمد الغزالى : صيحة تحذير من دعاة التنصير ص ١١٥،١١٦ط دار الصحوة ١٩٩١.

الحكومات تكون مسيحية لحما ودما ، بينما تتكـــون جمـــهرة الأمـــة المحكومة من مسلمين تائهين . وقد تكـــون الحكومـــة خليطـــاً مـــن وزراء وآخرين غير مسلمين ولكن الصبغـــة الإســـلامية باهتـــة أو معدومة .. وقد تكون الحكومة إســـلامية الأســـماء بيـــد أن العـــهد المأخوذ عليها يوم استقلت عـــن التبعيـــة الأجنبيـــة المكشـــوفة ، أن توالى الصهونية وأن تتـــاصر دول الغـــرب الصليبـــى وأن تعيـــش هادئة داخل هذا القفص الخبيـــث [١] .

وعن فلسفة وجود إســـرائيل يقـــول الشـــيخ : يزحـــف اليـــهود على فلسطين ونيتهم المعلنـــة إعـــادة هيكـــل ســـليمان علـــى أنقـــاض المســـجد الأقصـــى ، وتشـــريد وإذلال العـــرب ، وانتـــهاز الهزيمـــة الإسلامية للقضاء على تراث محمد صلى الله عليـــه وســـلم كلـــه .[٢]

وكما ينتهز اليهود الهزيمـــة الإســـلامية للقضـــاء علـــى تـــراث محمد صلـــى الله عليـــه وســـلم ينتـــهز الصليبيـــون أيضـــا الهزيمـــة الإسلامية للقضاء على الإسلام فى قلوب أصحابـــه . يقـــول الشـــيخ : طالما شكوت من أن الـــهجوم علـــى الإســـلام منظـــم والدفـــاع عنـــه مرتجل ... فتمويت الإسلام فى هـــذا العصـــر تـــدرس لـــه خطـــط ، وتعقد له مؤتمرات ويعرض بدقـــة حســـاب الأربـــاح والخســـائر ، ولا حرج من الاستعاضة بمشروع عن مشروع وبرجـــل عـــن رجـــل ..

---

١ – الشيخ محمد الغزالى : معركة الصحف فى العالم الإسلامى ص٣٩، ٤٠ط دار الكتب الحديث ١٩٧١.

٢ – الشيخ محمد الغزالى : الحق المر ص ١٤١.

يقــول أحــد دعــاة النصرانيــة : لقــد دربــت الدعــوة إلـــى النصرانية فى أرجــاء كثــيرة مــن ديــار الإســلام ، وان تجــاربي تخولني أن أعلن بينكم على رءوس الأشهاد أن الطريقـــة التـــى ســـرنا عليها إلى الآن لا توصل إلـــى الغايـــة المنشـــودة ، قـــد صرفنـــا مـــن الوقت شيئا كثيرا ، وأنفقنا من الذهب قنـــاطير مقنطـــرة ،وألفنـــا كتبـــا ورسائل وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ومع ذلك فنحن لــــم ننقــل مـــن الإسلام إلى النصرانية إلا عاشـــقا بنـــى دينـــه الجديـــد علـــى أســـاس الهوى أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتـــى نعـــده قـــد خرج منه ، ولا محل لديننا فى قلبه حتـــى نقـــول : انـــه دخـــل فيـــه ، ومع ذلـــك فـــالذين تنصـــروا لـــو بيعـــوا بـــالمزاد لا يســـاوى ثمـــن أحذيتـــهم..) .

وقرر كبيرالمتنصرين أن الخطـــة المثلـــى هـــى إفســـاد المســـلمين على دينهم وتوهين الروابط التى تصلهم بــــه ، وخلـــق أجيـــال فارغـــة من عقائد الإســـلام ، وتعاليمـــه ، وتشـــجيع حملـــة الأقـــلام ، الذيـــن ينشرون الأدب الغث والمقالات الهابطة ، والذيـــن يكتبـــون فـــى كـــل شئ ، الا فى الإسلام وقضاياه ومطالبـــه ، وتبنـــى رجـــالا يـــزورون التاريخ ويجعلون أمتهم دون ماضى تســـتند إليـــه ، أو تـــراث تعتمـــد عليه ، وتشجيع المسلمين المخرفين الذين تكمـــن فـــى دمائـــهم جراثيـــم البدع والمفسدة والانقســـامات الهدامـــة وتشـــجيع "المفكريـــن" الذيـــن يلمزون الإسلام ويغمزون أصوله وفروعه .. ودفـــع العلمـــانيين إلـــى

صدارة المجتمع ، ووضع مقاليد الأمور فى أيديهم وتدويخ المسلمين المخلصين وإقامة السدود فى وجوههم ...

والظاهر أن الأسلوب الجديد هو الذى تقرر اتباعه وأن لم يهجر الأسلوب الأول هجرا تاما ، ولعل أخطر شئ فى الحملة على الإسلام رفض الانتماء له محليا وعالميا .[1]

وعن مطاردة العلماء الذين يتصدون للفكر الصليبى يقول الشيخ : أن الجهود مبذولة لمطاردة الدعاة المخلصين من العلماء الأصلاء والفقهاء الحكماء ، وللقضاء عليه ، وترك المجال للبوم والغربان من الأميين والجهلة والمسطحين يتصدون للدعوة ويتحدثون باسم الإسلام ووراء ذلك مخطط استعماري مدروس بدهاء، تنفذه الحكومات المدنية بدقة ، حتى لا يبقى للإسلام لسان صدق ، وحتى تبقى العقول المختلة هى التى تحتكر الحديث عن الدين المظلوم .[2]

وعن خطوات الصليبية فى القضاء على الإسلام فى مرحلة تالية بعد المرور بمرحلة المودة بين المسلمين وغيرهم من البلاد المسيحية يقول الشيخ : إن للصليبية الحديثة مآرب واضحة إنها تحاول أن تجعل من انكسار المسلمين عسكريا ارتدادا عاما عن الإسلام .. ولما كان تنصير هذا الجيل من المسلمين مستحيلا ،

---

[1] - المصدر السابق ص ١٠٧،١٠٨

[2] - الشيخ محمد الغزالى : هموم داعية ص ١٦٠،١٦١ ط دار الحرمين للنشر ١٩٨٣.

فهى تعمل ابتداء على خلخلة يقينه وتشكيكه فـــى فكـــرة التديـــن علـــى العموم ، والمرحلة الثانية تقوم على حركة تقرب ومـــوادة بيـــن جيـــل منسلخ عن عقائده الحقة ، وبيـــن أبنـــاء الـــدول المســـيحية الغالبـــة .. أما المرحلة الأخيرة فالمفروض فيها أن تمحـــى معـــالم الإســـلام مـــن أقطـــاره العديـــدة ، وأن ينصرمـــا يمكـــن تنصـــيره ويســـتأصل مـــا يستعصى على الردة .. وبـــهذا الأســـلوب تنجـــح الصليبيـــة الحديثـــة حيث عجزت جرثومتها فى القـــرون الوســـطى .[1]

وعن مصير العرب والمسلمين يقـــول الشـــيخ : المـــوت الـــذى أنزله الاســـتعمار الصليبيـــى بســـكان أمريكـــا واســـتراليا الأصـــلاء ، والذى يجب أن ينزل بـــالعرب كذلـــك ، فـــلا ينجـــو منـــهم أحـــد وان زعم أنه أصبح مسيحيا من يدرى لعله مسلم فـــى قـــرارة قلبـــه ؟ ومـــا حمله على إظهار تنصـــره إلا النجـــاة مـــن الفنـــاء . لقـــد قـــال نـــاقد فرنسى يشرح مسلك قوم - فى التعالى علـــى المســـلمين :"والإحســـاس بالتفوق المتأصل فـــى نفـــوس المســـتوطنين الفرنســـيين ربـــا - زاد - حتى حد "مركب الاستعلاء" ويصفـــهم آخـــر بقولـــه "أنـــهم يشـــبهون القاهر الذى يخشى بأسه ، القادر الـــذى ترجـــى حمايتـــه ، أو العـــدو الذى لابد من صداقتـــه .[2]

---

[1] - الشيخ محمد الغزالى : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٢٥.

[2] - الشيخ محمد الغزالى : كفاح دين ص ٢٣.

وعن أهمية التبشير للدول الاستعمارية يقول الشيخ :

يكاد المراقبون والنقاد يجمعون على أن الأوربيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين ، ولا ميالين إلى التقوى ، وان صلتهم بالله تعالى لا تتجاوز الشكل دون الموضوع ، وأن احتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل أيام الأجساد ،ومختلف الأعياد إلى فرص للاستحمام وشباك للهو والمرح بريئا كان أو غير برئ .. والأوربيون والأمريكيون - أجمالا - يجنون تمرات تقوم علمى رائع ، رقة معايشهم ونعم حضارتهم ، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ، ويهذب غرائزهم ، إلا أن بيئات كبيرة فى القارتين لم يرفع العلم الإنسانى مستواها إلا فى الكلمات والملابس أما ما وراء ذلك فهناك القتل والخطف والاغتصاب ، والفوضى الجنسية والكبرياء العنصرية وعبادة الحياة الدنيا ، والتجهم أو الإنكار لما ورائها .. ومع هذا السلوك الهابط ، فان الأوربيين والأمريكيين يتهمون بالتبشير ويرصدون لرجاله وأغراضه أموالا طائلة ، ويتابعون نشاطه ونتاجه بيقظة .. ومع أن الحكومات فى كلتا القارتين لا تبالى أن يؤمن أبناؤها أو يلحدوا ،إلا أنها تولى الدين فى أفريقيا وآسيا قدرا ملحوظا من رعايتها .. وتتوسل إلى تذليل الصعاب وتحطيم الخصوم ولننظر إلى فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى ، لنرى آثار هذا الاتجاه فى تحقيق الأغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر ......

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعـاة المسـلمين يسـمى " الكليـة الصلاحية " نسبة لصلاح الدين الأيوبـى - أمـر الانتـداب البريطـانى بالإجهاز عليه عشية باشر الحكم فـى البـلاد .

والتبشير يتطلب أمرين متكـاملين : أولـهما : العنـوان الـذى يستر خبيئته ويجعل له - فـى الظـاهر - وظيفـة أخـرى ثقافيـة أو إجماعية أو طبية - يمضى تحت شعارها إلـى هدفـه .

والثانى : وهو فى نظرنا شـديد الخطـورة : تكـون الظـروف التى تشغل الشعوب بحوار مفتعـل ، أو قضايـا وهميـة ، أو مسـالك محيرة تبدد فيها الطاقة وتتشـعب الآراء والأهـواء .

أن هذه الظـروف المصنوعـة تشـبه سـحب الدخـان التـى تتحرك خلفها الجيوش الزاحفـة ، فـلا يوضـع أمامـها عـائق ، ولا يوقفها استعداد أو حذر . وما أشـك فـى أن التبشـير العـالمى جنـد أقلاما - كتابا- كثيرة فى الأمة العربية والإسـلامية ، لفعـل الآتـى:-

* تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيـدة نافعـة لتقـدم أخـرى ضارة نافعـة.

* أو تطفئ مشعلة من الحق فى مكانها قبل مـا تتحـول إلـى سـراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعـى .

* أو تخلق سرابا من المناهج تحدوا إليه ألـوف الشـباب ليلـهوا فـى طلبه ثم يعودوا بخفى حنين .. أو تسوى اليقينـات والأوهـام لتـهدم

مكانة الأولى ، وما ينبغى لها من قداسة ، أو تتدخل فى الجهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة .

المهم إحداث شتات وبعثرة ، فى الوقت الذى يجد فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملا والميدان خال من الحراس ، أو الحراس مشغولون فيه غيرهم.

وقد وصل الذين يعملون فى خدمة الأغراض التبشيرية إلى أعداد رهيبة. وقد نقل الشيخ عن مجلة دعوة الحق المغربية التى نقلت بدورها عن دائرة معارف الكنيسة (انسكلوبيديا) الأرقام التالية :-

١- لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠,٠٠٠ ألف متفرع (مبشرين) فى العالم بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١,٦٠٠,٠٠٠ مليون وستمائة ألف نسمة .

٢- خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ : عام ١٩٥٢ حول المبشرون ٣٠٠٠٠٠ ثلاثة ملايين شخص إلى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون سنويا.

٣- لدى الكنيسة البروتستانتية ثلاثة وأربعون ألف متفرع (مبشر) يديرون ألفا وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير.

وقـد زاد عـدد البروتسـتانت فـى ربـع قـرن مـن عــام ١٩٥٢:١٩٢٥ ثلاثيـن مليونـا والجديـر بالغرابـة أن هـذا النشـاط الباهر يتم فى صمت ، وأن صحفنا البارعـة الذكيـة متواصيـة علـى كتمانه زاهد فى الإشارة إليــه .[1]

عن محاربة الاستعمار للإسـلام فـى آسـيا وأفريقيـا يقـول الشيخ : الإسـلام عقيـدة الكـثرة العظمـى فـى أفريقيـا ، وعقيـدة جماهير غفـيرة ودول كبـيرة فـى آسـيا .. والاسـتعمار الغربـى - ببواعث صليبية قديمة - دائب على إيـهان قـوى الإسـلام ، وتمزيـق شمله ، وتضليل سعيه ،وبعثرة العوائق أمـام أممـه . وبـذل الجـهود الماكرة الذكية لجعل المنتمين إليه ينحرفـون عنـه ويضيقـون بـه .. ولا شـك أن طـور الاضمحـلال الـذى عـرا المسـلمين القرنيـن الآخرين أعان عدوهم إعانة ظـاهرة ، وأنجـح كثـيرا مـن دسائسـه ..والهدف الذى يعمل الاستعمار له على طـول المـدى هـو اجتثـاث الإسلام من أصوله وإزهاق روح الجماعات المتشبثة بــه .. بيـد أنـه يلين ويشتد وينكمش ويمتد ، ويبدو ويختفـى فـى المراحـل الطويلـة التى تسـبق هـذا الغـرض الـهائل .. وتتضـافر جـهود المبشـرين والمستشرقين من ناحية وخطـط الساسـة فـى الميـادين الاقتصاديـة العسكرية والثقافية من ناحية أخرى كـى تصـل إلـى هـذه الغايـة .. وزيادة فى أحكام الغارة علـى العـالم الإسـلامى المبلبـل المحـروب

---

[1] - شيخ محمد الغزالى : حصاد الغرور ص ١٧٦وما بعدها .

رأت القوى التبشيرية الغازية أن تصلح ذات بينها ، وأن تزيل الخلافات القديمة من بين صفوفها.[١]

وعن عمل مؤسسات التنصير فى أفريقيا يقول الشيخ :

المؤسسات التى تشتغل بالتنصير لا تخفى أغراضها ، ولا تلتزم النزاهة فى وسائلها ، ويسكت عنها فى أغلب الأحوال إذا كان عملها بين المسلمين مهما أسفت فى سلوكها ، وربما تعرضت للنقد إذا كان نطاق نشاطها بين قوم آخرين ، وقد قرأت فى صحيفة الجهورية - المصرية - غضبة للرأى العام فى بريطانيا على هيئة (وورلد فيمن) التى تقوم بالتنصير فى أقطار أفريقيا الوسطى والجنوبية .. وتحت عنوان (معونات اقتصادية للضغط الدينى) قالت الجريدة : إن من بين الاتهامات الموجهة للهيئة المذكورة لجوءها المتكرر إلى التهديد بقطع المعونات الغذائية لإرغام الفقراء الذين يتلقونها على حضور الأنشطة الدينية وتعاونها مع قوى الأمن القمعية فى هذا المجال وفشلها فى الدفاع عن حقوق الإنسان بين اللاجئين الذين تقوم برعايتهم .[٢]

---

[١] -الشيخ محمد الغزالى دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٢٥٠ ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٨

[٢] - الشيخ محمد الغزالى : علل وأدوية ص١٩٩.

(متابعة):

يطلق الشيخ الصيحة تلو الأخرى ، لتنبيه المسلمين إلى أن مستقبلهم ودينهم فى خطر عظيم ، ويلخص الشيخ رؤيته من خلال النقاط التالية :

١- مستقبل الإسلام فى خطر :

يرى الشيخ أنه إذا بقى أعداء الإسلام فى قوتهم المادية ، وسيطرتهم العالمية ، ورغبتهم فى القضاء على الإسلام وأتباعه وبقى المسلمون فى تخلفهم الحضارى ، وغفلتهم عما يدبر لهم ، فان مستقبل الإسلام كحضارة متفوقة تذود عن العقيدة سيكون فى خطر كبير ، ذلك أن الحق يحتاج إلى قوة تحمية وتفرضه على الواقع ، وفى تخلف المسلمين الحضارى ، وغفلتهم عن كيد أعدائهم تخل عن حقهم وحق غيرهم ، ممن ينشدون عدل الإسلام ، والحياة الكريمة فى ظله ، وتحت رايته .

فالعقيدة فى الإسلام لا تحارب لذاتها ، وإنما تحارب لما فيها من قوة ، ولما تمنحه لأصحابها من صلابة وعزيمة لا حدود لها ،وحينما تسود الأخلاق غيرالإسلامية فى المجتمع المسلم ، فان هناك من يرى أن التنازل عن بعض القيم والعادات الإسلامية ليس بالشئ المؤثر فى عقيدة المسلمين ، وهو لا يعلم أن التنازل عن بعض الأمور التى تراها ـ بسيطة ـ هو فى ذاته نجاح لخطة

القوم ومقدمة لزحفهم على بلاد الإسلام وهيمنتهم على شئونها ، وما أكثر ما ينخدع الناس بفكرة التنازل عن هذه الأشياء البسيطة لمجاراة الحضارة الغربية وحينما نجارى الحضارة الغربية فإنها ستأخذنا إلى حيث تريد ولا نريد والتبشير والاستشراق من أهدافهما الهامة سلخ المسلم من دينه ، وتركه من غير هوية ولا ماهية ، هائما على وجهه فى طرقات الحضارة لا يعرف لنفسه هدفا يبتغيه ولا أملا يرتجيه ،وعند ذلك يكون مستقبل الإسلام فى خطر ، لان الإسلام حصن للمسلمين ، فإذا ما تساهل المسلمون فى إسلامهم سقطت حصونهم الواحد تلو الآخر وهذه الحقيقة لا ينكرها حتى أولئك الذين يشيدون فكرهم على فلسفة الصراع بين الحضارات يقول الأستاذ / محمد حسنين هيكل :

" إن الإسلام سوف يظل حصنا ودرعا للمقاومة الوطنية والقومية فى الأزمات لأنه هويتها الأساسية ، وهو الهام لهذه المقاومة حين تمارس حق الاختيار الإنسانى الذى أعطته الحكمة الإلهية للبشر حتى يكون أساسا لحسابهم يوم الحساب "[1]

وقد أضطر الكاتب لهذا القول ، حين رأي أن أنفاس الوطنية قد أخمدت في أكثر من بلاد المسلمين ، وبقي عبء المقاومة علي الروح الإسلامية ، وأبرز دليل علي ذلك ما فعلته حركة المقاومة الإسلامية حماس في أرض فلسطين المحتلة ، بعد

---

[1] - محمد حسنين هيكل : أزمة العرب ومستقبلهم ص ٤٧ دار الشروق ١٩٩٦.

أن سكنت كل حركات المقاومة الفلسطينية التـــي قـــامت علـــي أســـاس وطني ولــــم يبـــق فـــي الميـــدان إلا حمـــاس بعقيدتـــها الإســـلامية ، موصولة بتاريخ عظيم من الكفاح الإسلامي عـــبر العصـــور .

ويري د / البـــهي أن التحريـــف الـــذي يدخـــل علـــي الفكـــر الإســـلامي هـــو تمـــهيد وتوطيـــد لهيمنـــة الاســـتعمار علـــي البـــلاد الإسلامية ، ويري أن رد هذا التحريـــف هـــو فـــي حقيقتـــه مقاومـــة للاستعمار : ,, ومن هنا كانت مقاومـــة الاســـتعمار مرتبطـــة ارتباطـــا وثيقا برد التحريف الذي قصد توجيهـــه للاســـتعمار مـــن المســـتعمرين وأعوانهم في البلاد الإسلامية .. وبهذا نشـــأ فـــي التفكـــير الإســـلامي _ منذ النصف الثاني من القرن التاســـع عشـــر _ اتجاهـــان : أحدهمـــا : لممالأة الاستعمار الغربي في (تقريـــب الإســـلام مـــن المســـيحية) أو في تبديله إلي توجيه ديني يرضي عنـــه المســـتعمر .

والثاني : لمقاومة هذا التقريب أو هـــذا التبديـــل ، مـــع الدعـــوة إلي احتفاظ المسلمين بإسلامهم كما يصـــوره القـــرآن والســـنة . وإلـــي إعادة تماسك الجماعة الإسلامية ، والســـعي إلـــي اســـتقلالها ، وعـــدم انصهار المسلمين في غـــيرهم [١]

يري المؤلف في الفقـــرة الســـابقة أن علـــي المســـلمين واجبـــا لابد من بذله ، وهو العودة للإسلام كمـــا يصـــوره الكتـــاب والســـنة ،

[١] _ د/ محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ص ٢١ ط مكتبة وهبة ١٩٧٥ م.)

وتماسك المجتمع المسلم ، واستقلاله بقيمة وعدم انصهاره في تقاليد وعادات غيره ، من المجتمعات ، وبهذا نحافظ علي الإسلام ، الذي يحافظ علي هويتنا وكياننا بين الأمم وإلا فالاستعمار يريد لنا التخلي عن الإسلام شيئا فشيئا ، حتي تتحل عري الإسلام عروة عروة ، ثم يهجم علينا لإ بادتنا ، أو يتركنا لاستخدامنا لصالحه ، ولصالح أطماعه التي لا حدود لها .

٢- استغلال حاجة المسلمين الفقراء في الكوارث والنكبات : من الأمور التي ركز عليها الشيخ وهو يعري خطة الصليبية في التبشير بين المسلمين استغلال حاجة المسلمين الفقراء أثناء وقوع الكوارث والنكبات ، وقد أحسن الشيخ في تصديه لهذه النقطة بالذات من خطة الاستعمار الصليبي ، لأن الإنسان يكون في أشد حالات الضعف وهو يمر بكارثة تفوق تحمله ، ولا ينسي من قدم له العون في تلك الظروف القاسية ، وهو منهج مدروس ، من قبل الاستعمار _ لسلوك الناس أثناء الكوارث ومن الممكن أن تمر هذه القضية أمام بعض الدعاة فلا يغيرها التفاتا ، بل ربما ظنها خيرا فعله الاستعمار بدافع الإنسانية التي يشترك فيها الجميع ، أما الشيخ وهو من هو في مجال التنظير للدعوة في العصر الحديث فإنه يري ذلك من أوسع الأبواب التي يتسلل منها الاستعمار إلي قلوب المسلمين أثناء الكوارث وأنه لا يقف كسبه عند رضا من نزلت بهم

الكارثة ، بل إنه يجمل صورة عنـــد الجمــاهير المســلمة فــي كــل مكــان ، لأنهم يشتركون في إحساس واحد بألم الكارثـــة التـــي نزلــت بإخوانـــهم ولـــو تجاوبت بعض الحكومات الإسلامية مع مواطنيها في هـــذه العاطفــة العامـــة وأرسلت المعونـــات إلى الجهـــات المنكـــوبة لضيعت بذلك فرصـــــة كبــيرة على الاستعمار الصليبـــي ، وكـــثير من الحكومــات الإسلامية تحاول بــــالفعل التجـــاوب مع مشاعر مواطنيها بإرسال المعونـــات إلى المناطــــق الإســـلامية المنكـــوبة ، ولكن يعوزها في كثير من الأحيان السرعة وحجم العطـــاء ، إلا أن ذلك شيئا لا ننكره ولا نستهين به .

ويلفت الشيخ النظر إلى أن المساعـــدات مـــن الـــدول الاستعماريــــة للمناطق الإسلاميــة المنكوبة تقـــدم بالمجـــان ، وتقوم باســـم " يســـــوع " وسيبقى المنكوب طول حياته لا ينسى تلك اليد الرحيمة التـــي مـــدت لـــه بيـــن النيـــران وفي وسط الزلازل عندما فقد توازنـــه وأوشك أن يفقد حياته أيضا .

ويعالج الشيخ هذه القضية على اعتبار أنها أساس مـــن أســـس التبشـــير ومن أقرب طرقه في الوصول إلى قلـــوب المســلمين فـــي بعـــض المنـــاطق المنكوبـــة في العالم الإسلامي .

٣- خطط الاستعمار فى افساد الحياة الإسلامية

يتدخل الاستعمار الصليبي في الحياة الإسلامية لإفسادها عن طريق توجيهات يلقيها لبعض الحكام في بعض البلاد الإسلامية ، أو تلميحات بما يريد ، ويتعجب الشيخ من سرعة تلبية رغبات الاستعمار الصليبي فيما وجه أو لمح إليه*، ويرى أن ذلك يقع من بعض الحكام لأنهم يشعرون أن الاستعمار الصليبي المعسكر الغربى هو صاحب الفضل عليهم في وصولهم إلى مناصبهم فى البلاد التى يحكمونها ، **وصاحب الفضل عليهم في بقائهم** واستمرارهم فى المناصب ، ولذلك فهم ينفذون توجيهاته المقدسة وتلميحاته المكرسة .

ويتنوع أسلوب الاستعمار الصليبي في إفساد الحياة الإسلامية كما يلى :-

(أ) التشريع :- تدخل الغرب الصليبي فى نظام التشريع فى البلاد الإسلامية حتى جعل معظمها يسير على نفس القوانين التى تطبق فى أوروبا وحدث اغتراب بين هذه البلاد الإسلامية ، وأصبح التلاعب فى الأحكام وتغييرها وتأجيلها سمة لنظام التقاضي فى بعض البلاد الإسلامية .

(ب) التعليم :- وفى التعليم أدخل الغرب الصليبي نظام الاختلاط بين الجنسيين فى سن خطرة فى المدارس فى البلاد

الإسلامية وشرع يضع لهذه البلاد المـــواد العلميــة التــى يريدهــا والمناهج الدراسية التى يرغبها ، فــاصبح الطــالب يتلقــى دروســاً فى شتئ العلوم وكأنه ليس فــى بلــد إســلامي ، ولا ينتســب إلـــى الحضـــارة إســلامية ، واصبــح ولاؤه للمنــاهج التـــى يدرســـــها وللحضارة التى وضعوا بذروها فى عقلـــة وكيانـــه .

(م) الحياة الاجتماعية :- وبــدأ الاســتعمار الصليبــي ينقــل إلـــى البلاد الإسلامية عاداته وتقــاليده ، وكلـــها عــادات مرذولــة وقيــم رخيصة ، لأنه لم ينقل إلى تلك البـــلاد قيمـــة فـــى العمـــل مثـــلاً ، والمحافظة على الوقت وإتقان العمـــل ، وإنمـــا نقـــل إليـــها عادتـــه فى المأكل والملبس ومناحى اللهو الرخيصـــــة التـــى تســـتعمل فـــى هذه البلاد لمدة يوم أو يومين فى نظام إجازة نهايـــــة الأســـبوع أمـــا فى البلاد الإسلامية فقد تم استعمال مناحى اللـــــهو هـــذه فـــى أيـــام الأسبوع فى الليل والنهار علي الســـــواء ، مـــع الإعجـــاب الشـــديد بهذه الحضارة وبما أنتجت من لـــهو ولعـــب .

يقول الدكتور / يوسف القرضـــاوى : اتخـــذ الغـــرب الزاحـــف وسيلة أخري هي الغـــــزو الاجتمـــاعي المباشـــر ، بإدخـــال العـــادات والتقاليد الغربية والأذواق فـــى حيـــاة الأســـرة المســـلمة ، والمجتمـــع المسلم .. وقد عمل الأوربيون جاهدين علــــى أن تغمـــر موجـــة هـــذه الحياة المادية بمظاهرهـــا الفاســـدة وجراثيمـــها القاتلـــة جميـــع البـــلاد الإسلامية التى امتدت أيديهم إليـــها ، واوقعـــها ســـوء الطـــالع تحـــت

سلطانهم مع حرصهم الشـديد علـى أن يحتجـزوا دون هـذه الأمـم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعـارف والصناعـات ،والنظـم النافعة ، وقد أحكموا خطة هـذا الغـزو الاجتمـاعي إحكامـا شـديدا واستعانوا بدهائهم السياسي وسلطانهم العسكرى ، حتـى تـم لـهم مـا أرادوا .. وجلبوا الى هـذه الديـار نسـاء هـن الكاسـيات العاريـات وخمورهـم ومسـارحهم ،ومراقصـهم وملاهيـهم ،وقصصـهم وجرائدهم ، ورواياتهم وخيالاتـهم ، وزينـوا هـذه الدنيـا الصاخبـة العابثة التى تعـج بـالآثم ، وتطفـح بـالفجور فـى أعيـن البسـطاء الأغرار من المسـلمين .

وقد نجح هذا الغزو الاجتماعي المنظـم العنيـف أعظـم نجـاح فهو غزو محبب إلى النفوس ،لاصـق بـالقلوب ،طويـل العمـر ، قوى الأثر وهو لهذا أخطر مـن الغـزو السياسـي أو العسـكري ، وتغالت بعض الأمم الإسـلامية فـى الإعجـاب بـهذه الحضـارة الأوروبية والتبرم بحضارتها الإسلامية حتـى أعلنـت تركيـا أنـها دولة غير إسلامية .. كـان الغـرب الزاحـف يقـوم بكـل هـذا النشاط ، فى ميادين التعلم والتربية والصحافـة والتوجيـه والغـزو الاجتماعي ولم يكن هناك على الجانب الآخـر نشـاط مثلـه يقابلـه ويقاومه ،فقد كان القائمون على الفكر الإسـلامي فـي أول الأمـر يعيشون إلا قليلا منهم فى فراغ وذهـول عمـا يحيـط بـهم مـن أحداث العالم وتطورات كان الجمود قـد شـل تفكـيرهم والجـدل

اللفظى قد التهم أوقاتهم وجهودهم ، والتقليد الذى أوجبوه على أنفسهم قد حرمهم من البحث فى حل لما يمر به المجتمع المسلم من مشكلات .[١]

فى الفقرة السابقة يرى المؤلف أن الغزو الثقافى أخطر على الأمة الإسلامية من الغز العسكرى أو السياسي أو الاقتصادي ، وهو يحقق أهداف جميع أنواع الغزو السابقة ، وأن المحور الخطير فى شأن الغزو الاجتماعى الثقافى ، أنه غزو متسلسل لا يشعر به أحد وأن بعض الدعاة لا يجدون الوسيلة لمقاومة هذا الغزو ولا يعرفون الطريق الذى يجب أن يبدءوا منه للمقاومة وذلك بسبب ظروفهم التى شرحها المؤلف . ويستشهد الدكتور / محمد محمد حسين على قوة الغزو الثقافى من كلام قطب من أقطاب المستشرقين :الواقع أننا إذا أرادنا أن نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الإسلام ، كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية ، علينا أن نبحث التأثر بالأساليب الغربية ، بعد أن تهضم وتصبح جزءا حقيقياً من كيان هذه الدولة الإسلامية فتتخذ شكلاً يلائم ظروفها . [٢]

---

١ – د. يوسف القرضاوي : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ص ٣٣ ، ٣٤ بنك التقوى ١٩٧١

٢ –د/ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ١٠٢/١ دار الفكر العربى

انهم قوم يعتمدون على التخطيط لكل عمل يقومون به خاصة التخطيط البعيد ، انهم يقومون ببناء مدرسة في أي بلد إسلامي ، مدرسة للتعليم الأساسي لأنهم يشترطون تطبيق نظمهم أو بعضها فى التعلم فى المدارس التى يبنونها وفى هذه المدرسة يبقى الولد مع البنت إلى نهاية التعليم الأساسي ، وتذهب المدرسات بملابسهن الغربية إلى أماكن نائية للتدريس فى المدارس ، فوجود الولد مع البنت إلي بداية فترة المراهقة ، ووجود المدرسات مع المدرسين فى نفس المدرسة هذا الوضع من الممكن أن يمضى بسلام عاماً أو عامين أو عشرة ، ولكنه على المدى البعيد يكون قد انتقل بنظام التعليم والحياة الإسلامية إلى نظام آخر وحياة أخرى ، وهذا ما يرجوه الصليبيون من وراء الغزو الثقافي للبلاد الإسلامية ، وهكذا فى المستشفيات والنوادي والمؤسسات التى يقومون بإقامتها فى البلاد الإسلامية .

٤- خطة تمويت الإسلام :

أهتم الشيخ بهذه الفكرة ؛ لأنها تعد بحق محور حركة الاستعمار الصليبي في البلاد الإسلامية وقد رددها الشيخ لأهميتها- فى كل ما كتب فى الموضوع وقد سبقه إليها الأستاذ / محب الدين الخطيب فى كتابة (الغارة على العالم

الإسلامي)[١] ونقل هذه الفكرة من فم أصحابـــها ، فقــد صــرح بـــها القديس " زويمر" حيــن قـــال :أننـــا بذلنـــا جـــهودا كبـــيره لتتصــير المسلمين ولكننا لم نوفـــق فـــى هـــذا المضمـــار ، فعلينـــا أن نحـــاول إخراج المسلمين من دينهم فقـــط ، لكـــى نضعـــف مقاومتـــهم لنســـائنا ولحضارتنا و لأفكارنـــا .

لذا اهتم الشيخ بهذه القضية وأولادهـــا عنايـــة خاصـــة ، وجعلها من أهم النقاط التى يجب أن يلفت إليـــها عنـــد الدراســـة آثـــار الغزو الثقافى فى بلاد المسلمين ،فربما جـــاءت إلـــى القـــاهرة أو إلـــى أى بلد إسلامي فرقة مســـــرحية أو فرقـــة راقصـــة وقضـــت الليـــالى الطوال ترقص والناس يسهرون ويمرحون ،والبعـــض يـــرى أن هـــذا العمل ترويحي لا شئ فيه ولكن من يملـــك النظـــرة العالميـــة للأمـــور والتى ميزت الشيخ عن غـــيره مـــن الدعـــاة ، يـــرى أن كـــل عمـــل يساعد على حب الفاحشة إماته للفضيلـــة فـــى المجتمـــع المســـلم هـــو تمويت للإسلام فى النفوس المسلمين ، وليس هـــذا فحســـب بـــل يعـــد ذلك مقدمة وتمهيدا لضياع المســـلمين شـــكلاً وموضوعـــاً فـــى نهايـــة الأمـر.

يقول جب : الواقع أن الإسلام كعقيدة لـــم يفقـــد إلا قليـــلاً مـــن قوتـــه وســـلطانه ، ولكـــن الإســـلام كقـــوة مســـيطرة علـــى الحيـــاة الاجتماعية قد فقد مكانه ، فهناك مؤثرات أخـــرى تعمـــل إلـــى جانبـــه

---

[١] - محب الدين الخطيب : الغاره على العالم الإسلامى ص١٩ ط المطبعة السلفية ١٣٩٨هـ .

، وهى في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضاً صريحاً ،ولكنها تشق طريقها- بالرغم من ذلك- إلى المجتمع الإسلامي بقوة وعزم..

فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية ، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا ، حتى انحصرت في طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً من غير وعي وانتباه . فإماتة الإسلام في نفوس المسلمين بالبعد عن تعاليمه ،ودفع المجتمع في حركته بعيداً عن الروح الإسلامية ، يعتبر هدفاً صليبياً وإن ظنه البعض تقدما وتطورا ، وقد أحسن الشيخ بتركيزه على هذا الهدف وتعريته وكشف ما يعد له من قبل الاستعمار .

<u>٥- المودة وبعدها النهاية</u> : يثير الشيخ هنا نقطة هامة ، بل لعلها الأهم في هذا البحث فهو يرى أنه في الوقت الحاضر ستتم مصالحة بين الاستعمار الصليبي والمسلمين وستختفي مظاهر الخلاف القديمة ، وسيعمل الاستعمار الصليبي على كسب تعاطف الأجيال الحاضرة من المسلمين ثم بعد ذلك يجهز عليهم نهائيا ، كما يفعل الجزار مع الحيوان قبل ذبحه فهو يقدم له ما يحب من علف ثم يسقيه ماء ، وفي هذه الحالة يشعر الحيوان بحب تجاه ذابحه ، بينما الجزار يبادله شعوراً مختلفاً فهو لا يحبه ولكن يحب ذبحه فالشعور هو شعور الحب ولكنه مختلف لدى الفريقين .

وإذا صحت نظرية الشيخ هــذه فإننــا نتوقــع نهايــة للصــراع العربى الإسرائيلي وتترك جنوب لبنـــان ، وتـــترك هضبــة الجــولان لسوريا ، وسوف تقـــوم علاقـــة ود ومحبـــة بيـــن العـــرب واليـــهود كالأتى أشرنا إليها بيـــن الحيـــوان والجـــزار محبـــة ولكنـــها مختلفـــة البواعث والغايات . وربما فى زحم هذا الحـــب وتلـــك المـــودة ينســـى المسلمون قول الله تعالى (لتجدن أشـــد النـــاس عـــداوة للذيـــن آمنـــوا اليهود والذين أشـــركوا..) [1]

وعندما ينسى المسلمون ذلك يكونون قـــد اقـــتربوا كثـــيرا مـــن النهاية ، بل لعلهم دخلوا الى سرادقها بالفعل وأحيـــط بـــهم .

والذى يفسر نظرية الشيخ فـــى المـــودة والنهايـــة طـــول مـــدة الصراع بين المســـلمين وأعدائـــهم مـــن يـــثرب فـــى القـــرن الأول الهجري إلى الآن ، مرورا بدمـــاء وضحايـــا مـــن كـــلا الطرفيـــن ، فتصبح المودة القادمة حلقة مـــن حلقـــات الصـــراع ، وأســـلوباً مـــن أساليب الاحتواء ،ووسيلة من وسائل القتـــل الشـــديد والشـــيخ ينظـــر لهذا المستقبل الكئيب يقول : ولمـــا كـــان تنصـــير هـــذا الجيـــل مـــن المسلمين مستحيلاً فهى أى الصليبيـــة تعمـــل ابتـــداء علـــى خلخلـــة يقينه وتشكيكه فى فكرة التديـــن علـــى العمـــوم .. والمرحلـــة الثانيـــة تقوم على حركة تقرب ومودة بين جيل منسلخ عـــن عقـــائده الحقـــه ، وبين أبنـــاء الـــدول المســـيحية الغالبـــة .. أمـــا المرحلـــة الأخـــيرة

[1] - سورة المائدة : ٨٢ .

فالمفروض فيها أن تمحى معالم الإسلام من أقطار العتيدة ، وأن ينصر ما يمكن تنصره ، ويستأصل ما يستعصي على الردة [١]

والشيخ يكتب هذا ونتابعه بهدف إيقاظ أمتنا وحكامنا ، فلا شك أن في الأمة الإسلامية مخلصين وحكاما مخلصين لا يرضون لأمتهم الدونية ، ولكن ربما أخذهم العمل الصالح الأمة فى ميادين أخرى غير الدعوة ،وجعلهم يأمنون جانب عددهم ولا يلتفون إلى فلسفة الصراع وعمقه مع العدو الصليبي ، وإلى قوانين الله تعالى فى الكون . [٢]

٦- المشروعات التبشيرية واستقطاب الشخصيات العامة

(أ) يقصد بالمشروعات التبشيرية كل المؤسسات التى يقيمها الغرب الصليبى فى ديار الإسلام سواء كانت مؤسسات مباشرة مثل المستشفيات والمدارس ، أو غير مباشرة مثل المؤسسات الخدمية والصناعية وخلافه ، وأنشأ الاستعمار عدة مؤسسات في البلاد العربية الإسلامية لخدمة الاستشراق ظاهريا ، لكن هدفها في الحقيقة خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي فمثلا في مصر قاعدة من قواعد الإسلام الثابتة

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلامية ص٢٥ .

[٢] - منذ أكثر من أربعة آلاف عام وفى حين وجهها إلى ولده كتب الفرعون (نب كاورع الملك المصرى القديم : "من رغب فى السلم استعد للحرب " من كتاب صليبية للأبد : تأليف عبد الفتاح عبد المقصود ص٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

أنشأ المعهد الشرقي بدير الدومينكـــان بشـــارع مصنـــع الطرابيـــش بالقاهرة والمعهد الفرنســـي بـــالمنيرة بالقـــاهرة ، ونـــدوة الكتـــاب بشارع طلعت حرب بالقاهرة ، ودار الســـلام بكنيســـة دار الســـلام بمصر القديمة بالقاهرة وهذه المؤسسات لـــها مســـحة بروتســـتانتية .. وفي لبنـــان جامعـــة القديـــس يوســـف وهـــي جامعـــة بابويـــة كاثوليكيـــة ، وتعـــرف الآن بالجامعـــة اليســـوعية ، والجامعـــة الأمريكية ببيروت ، وكـــان مـــن قبـــل تســـمي الكليـــة الســـورية الإنجليزيـــة أنشـــئت منـــذ ١٨٦٥ م ، ثـــم دأب القـــائمون علـــي الاستشراق إلي عقـــد المؤتمـــرات العامـــة لتنظيـــم نشـــاطهم منـــذ ١٨٧٣ م ونشـــر المقـــالات فـــي الصحـــف اليوميـــة والمجـــلات الأسبوعية أو الشهرية أو السنوية ، وتـــأليف الكتـــب التـــي تطفـــح حقدا وسما علـــي الإســـلام ونبيـــه ، وتوهيـــن القيـــم الإســـلامية ، وتفتيت وحدة الشعوب الإســـلامية .

انهم وإن كانوا قد غلفوا الاستشـــراق بطـــابع البحـــث العلمـــي الأكاديمي إلا أنه في الحقيقة يحمل في جنباته سموما ضد حقائق الإســـلام الثابتة [1] وبقيت هذه المؤسسات تعمل تحت سمع وبصر الجميع وتحقـــق نتائج ملموسة - في حساباتهم _ ولولا ذلك ما أبقوا عليها ، وحين ينتظـــر بعض المسلمين إلي هذه المؤسسات ينتظر إليها نظـــرةٌ عجلـــي ، فـــلا

---

[1] - المستشار : محمد عزت إسماعيل الطهطاوي : التبشير والاستشراق ص٤٣ ، ٤٤ م ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٧ م.

يستطيع أن يلمس أثرها أو يدرك خطرها ، وذلك لحسن الحيلـــة ودقـــة الحركة وحساب الخطوات . إن الخطة العدائية التي انتهجـــها الشـــبان المسلون المتعلمون ، اضطرت المبشرين في القطـــر المصـــري إلـــي محاولة إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقـــون محاضرات في موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية لا يســـتطردون فيها إلي مباحث الدين ، رغبة في جلب قلوب المسلمين إليهم وأنشـــاوا بعد ذلك في القاهرة مجلة أسبوعية اسمها ,, الشرق والغرب ,, افتتحـــوا فيها بابا غير ديني يبحثون فيه بالشئون الاجتماعية والتاريخية ، وأسســـوا أيضا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة ، والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم في أثناء البيع [1]

والتبشير يقوم على أسس علمية ويرضـــي المبشـــرون بـــالقليل إذا ضرب فى الزمن يصبح كثيراً ، " إن من المتعـــذر تعييـــن نتـــائج هذه الأعمال الخيرية الا أن مما يدعو إلـــى الاغتبـــاط والســـرور أننـــا اقتطعنا ثمرات أعمالنـــا فـــى كـــل منطقـــة مـــن منـــاطق التبشـــير، فالأوهام تبددت وحل محلها التســـامح ، والاهتمـــام الحقيقـــي بالتعـــاليم النصرانيـــة "[2]

وهكذا يحقق التبشير أهداف بـــالصبر والعلـــم

---

١ – محب الدين الخطيب : الغارة علي العالم الإسلامي ص٢١.

٢ – المصدر السابق ٣٦ .

ب- استقطاب الشخصيات العامة :

ومن النقاط التى أبرزها الشيخ عندما تصدى لجهود الاستعمار فى البلاد الإسلامية من هذه النقاط استقطاب الشخصيات العامة فى المجتمع المسلم وجعلها أبواقاً لدعايته ، تردد ما يقول وتفعل ما يريد وخطورة دور الشخصيات العامة أنها مسموعة الكلمة بين قومها مستغرب منها أن توردهم موارد الهلاك ، ومن ثم كان دورها مؤثراً وخطيراً للغاية ، يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفا إلى خلق رأى عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة ، ويقرر " جب " أن الصحافة هى أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها فى العالم الإسلامي .. " كما يقرر أن مديري الصحف اليومية ينتمون فى معظمهم إلى " التقدميين ، ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعاً تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية ويقول: انهم لا يلعبون دوراً مهما فى التشكيل الرأي العام بالقياس إلى الأحداث المحلية فحسب ، ولكن صحفهم تحتوى كذلك على مقالات مترجمة من الصحف الأوروبية ، ثم انهم فى الوقت نفسه يطلعون الرأي العام على ما يجرى فى الغرب من أحداث. (١)

---

١ - د. يوسف القرضاوى : الحلول المستورد ص ٣٢،٣١ .

وقد تتولى هذه الشخصيات خاصة التى تربــت فــى الغــرب ، أو حصلت على القـدر مـن التعليـم فيـه قـد تتولـى الدفـاع عـن الحضارة الغربية ولايخفى أن فى ذلك خطورة علـى وجـدان المسـلم العادي ، بحالها من تأمر وخـداع .

٧- التنبيه إلى نجاح المبشرين :

ينبه الشيخ إلى نجاح المبشرين ويـأتي بالمصـادر التـى تؤيـد ذلك بالأرقام وتحدد النتائج ، وهو بذلـك يصـل إلـى نهايـة متابعتـه للاستعمار بالمنهاج الشـامل ، الـذى يتقصـى الظـاهرة مـن بدايتـه لنهايتها ، وهذا يعكس التزام الشيخ بالمنـهاج العلمـى فـى البحـث إلا أن منهاج الشيخ لم يأخذ شكله الأساسي لتفـرق المعالجـة فـى كثـير من كتبه وربما أراد بذلك كثرة التذكير لخطورة الأمـر ولـم يشـأ أن يجعل ذلك فى كتاب واحد وربمـا لجـأ إلـى ذلـك بسـبب ظـروف الدعوة وأعبائها كمـا ذكـر فـى بعـض كتبـه ، إلا أن المسـتقصى لأفكار الشيخ يراهـا ترسـم منـهاجاً كـاملاً إذا اجتمعـت جواهرهـا وانتظمت فى عقد واحـد . فبالنسـبة للاسـتعمار ، فقـد بـدأ الشـيخ بتذكيرنا ببدايات الصـراع فـى يـثرب ثـم انتـهى شـرحه لقضيـة الاستعمار بذكر الثمار ، والنتائج ، التى يراهـا بعـض الذاهليـن عـن مصير أمتهم وكأنـهما أمـر عـادى عـن طبيعـة التطـور ، ومـن تصاريف الحيـاة .

إن قضيـــة الصـــراع بيـــن الاســـتعمار الصليبـــــى والعـــــالم الإسلامي يجب أن تبقـــــى شـــاخصة فـــى العقـــول وأمــــام العيـــون ، ويجب أن تعالج جذورهـــا ضعفنـــا وقوتـــهم وآثارهـــا التـــى ترتـــب مستقبل أولادنا وأمتنا وعقيدتنا ، ودورنا فـــى الحيـــاة ، إننـــا أخرجنـــا للناس بالعدل ولا يجب أن نغض الطرف عـــن الظلـــم خاصـــة وأنـــه يقع علينا دون غيرنا بسبب عقيدتنـــــا ، التـــى لا تعيـــش بدوننـــا ، ولا حياة لنا بدونــــها.

الباب الثانى

قضية الإقتصاد فى العالم الإسلامى

الباب الثاني : قضية الاقتصاد فى العالم الإسلامي

الفصل الأول . أشكال الاقتصاد المختلفة

تناول الشيخ فى بداية حياته أشكال الاقتصـــاد المختلفـة ودعـا إلى التخلي عـن الأشـكال التـى غرسـها الاسـتعمار فـى البـلاد الإسلامية ، سواء كــان النظــام الرأسـمالي أو النظــام الشـيوعى ، الذى دخل إلى بعض البـلاد الإسـلامية تحـت مسـمى الاشـتراكية ، وبين الشيخ مسالب كل نظام علـــى حـدة ، ثـم بيـن مزايـا النظـام الإسلامي فى الاقتصـــاد .

ولإ حساس الشيخ بأهمية الاقتصــاد فــى الإسـلام ، كتـب أول كتاب فى حياته عن الإسلام والأوضـــاع الاقتصاديـة ، وهـذا يؤكـد منهاج الشيخ رحمه الله تعالى فــى الدعــوة إلــى الله تعــالى ، فـهو يهتم بإصلاح الدنيا للمسلمين جنباً إلــى جنـب مـع إصـلاح الآخـرة والقران الكريم يؤكد هذا المناهج فــى قـول الله تعــالى (ومنـهم مـن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنه وفى الآخرة حسنه وقنـا عـذاب النـار)[1]

فــالله تعــالى يبيــن منــهاج عبــادة الصــالحين واهتمامــهم ، وطلبهم منه سـبحانه وتعـالى أن يعطيـهم فـى الدنيـا حسـنة وفـى الآخرة حسنه وقد بدعوا بحسنة الدنيا لان حسنـــه الآخـــرة تـترتب

---

[1] - البقرة : (٢٠١)

عليها قال تعالى:(ومن كان فى هذه أعمى فـــهو فــى الآخــرة أعمــى وأضل ســبيلا)[1] .

ومن ثم كانت بداية الشـــيخ بدايـــة قرآنيـــة منهجيـــة دعويـــة ، لأن الداعية الذى لا يهتم بدنيـــا المســـلمين وتفوقـــهم الحضـــارى لأداء رسالتهم ، هو داعية يعيش فى الخيال وينفصـــل عـــن الواقـــع ، وقـــد أحسن الشيخ إذ بدأ بالأوضاع الاقتصادية فـــى بـــلاد المســـلمين .

يقول الشيخ : ألفت هذه الرسالة ، ورتبـــت فصولـــها المحـــدودة لغايـــة واحدة ، هى إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكـــرة الذاتيـــة للديـــن والروح العامة لمبادئه ، والموقـــف الـــذى قـــد يقفـــه بـــازاء الأفكـــار الاقتصادية المختلفـــة .

أنكرت الشيوعية الديـــن ، لأنـــها حســـبته مخـــدراً للشـــعوب ، ومســـكناً لآلام الطبقـــات المظلومـــة ، وصارفـــاً لـــهمم أبنائـــها عـــن المطالبـــة بحقوقـــهم المضيعـــة.. واحتقـــرت الرأســـمالية الديـــن، اذ توسلت به إلى إشباع المطامع الجشـــعة ، وإقـــرار الفـــوارق الجـــائرة .. والدين مظلـــوم بيـــن مـــن كفـــروا بـــه ، ومـــن جحـــدوه ، بيـــن الشـــيوعية المتطرفـــة والرأســـمالية المتعجرفـــة[2] وعـــن الرأســـمالية وكيف تفعل بالناس يقول الشيخ : للترف تاريخ يضـــرب فـــي أغـــوار

---

[1] - سورة الإسراء : (٧٢) .

[2] ــ الشيخ محمد الغزالي : الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص١٧ ط دار الصحوة ١٩٨٧ ط / ٧ .

القوم ، ولمظاهره المادية والأدبية آثار عرفها المتقدمون والمتأخرون من سكان هذه الأرض علي اختلاف أقطارهم ،وللبؤس كذلك تاريخ تمتد جذوره في ماضي الإنسانية البعيد ، ولصوره المادية الكئيبة معالم عرفها الأسلاف والإخلاف جميعا .. وفي ظهور الترف والبؤس توجد الطبقات المترفة ، والطبقات البائسة ، ويولد نظام الطبقات ويحدث التظالم الفردي والاجتماعي والسياسي .. وتنشأ معاني السيادة والرق ، والقداسة والضعة .. ووقر في النفوس أن تفاوت الناس في الأرزاق سنة إلهية ، وأن انقسام الأمم _ تبعا لذلك _ إلي طبقات تتفاضل بحسب ما تملك من متاع الحياة وخيراتها ، أمر طبيعي ، قصد إليه الدين .. ونحن نقول : بأن الدين منذ فجر الخليقة _ حارب فكرة انقسام الناس إلي طبقات ، علي أساس ما يمتلكون من أنصبه مادية جليلة أو قليلة .. علي أن الملاحظ في البيئات التي يظهر فيها الترف والبؤس ويوجد فيها نظام الطبقات . أن يقوم التفاوت المالي مقام التفاوت العقلي ويستنكر بروز النابغين من الطبقات الفقيرة ، أو توضع العقبات الكثيرة لعرقلة نموهم وإخماد نارهم.

وبديهي أن تكون الثروة أو السلطة محاول لهذه الطبقة المتمردة فتجد من بعض الناس استطالة لا معني لها ، واستهانة بالآخرين لا إنصاف فيها ، وتجد شعوراً عارما بحقوق خاصة

،وذهولا عن أي واجب مطلوب ، في الوقت الذي يفرض فيه هؤلاء علي الآخرين واجبات لا حصر لها دون مقابل معروف .. وقد عمل الإسلام علي هدم هذه الطبقية ، وإعلاء القيم الإنسانية وحدها.

وعن الأوضاع المعكوسة في المجتمعات الإسلامية يقول : شتان بين ما هو كائن وما يجب أن يكون في بلاد الإسلام البائسة المنكوبة بأفانين من الاستعمار الخارجي والداخلي .. إن الغني والفقر وحدهما ميزان الطبقات هنا وهناك .. الغني الذي لا يعرف من أين جاء ، والفقر الذي لا يعرف كيف حل .. وفي مصر شعب تضطرب به سهول الوادي الفسيحة ، يكدح وينصب ليرتاح علي ثمار جهوده نفر من الأعيان والوجهاء .. شعب أقعده الشقاء وأضره الحرمان، وقلة أبطرها النعيم ، وأغواها الطغيان.. ماهذه الفوضي الشاملة وكيف تستقر هذه الحماقة [1]. وعن تشجيع الاستعمار لهذا التفاوت الطبقي يقول الشيخ : وقد أدرك المستعمرون هذه الحقيقة ، فمهدوا لبقائهم في البلاد التي احتلوها بإنماء نظام الطبقات ، وضمنوا للمترفين ما تصبوا إليه شهواتهم ، من حياة رغده ، وتركوا كتل الشعب الكبرى يموج بعضها في بعض ، تطلب الضرورات الكبرى للجسم والنفس والعقل ، فلا

---

[1] - المصدر السابق ص٣٢ .

تجد من ذلـــك إلا جرعــات ، تســكن ثوراتــها أن ينفجــر .أو تبقـــي للعبيد الرمق الذي يحيون به لخدمة الســـادة .. فحســب .[١]

وعن أثر الاقتصاد السيي ء في خلق الرذائل فـــي المجتمــع المســلم

يقول الشيخ : انه مـــن العســير جــدا أن تمــلأ قلــب إنســان بالهدي إذا كان معدتـــه خاليـــة ، أو أن تكســوه بلبــاس التقــوى ، إذا كان بدنه عاريا انه يجب أن يؤمن علـــي ضروراتـــه التـــي تقيــم أوده كأنسان ، ثم ينتظر منـــه بعدئــذ ، أن تستمســك فـــي نفســه مبــادئ الإيمان .. كثيرا ما وجدتني أعالج وعظ النـــاس فـــي بيئــات صرعـــها الفقر والمرض والجهل فكنت أحار ماذا أقول لـــهم ؟ هــل أقبــح لــهم الدنيا .. أن الدنيا لن تكون أقبح مما هـــي عليـــه فـــي أعيــن هــؤلاء التعســاء ..

وحاجاتهم إلـــي مــن يعرفــهم أركــان الحيــاة ، أمــس مــن حاجاتهم إلي مـــن يعرفــهم أركــان الإســلام. أن الشــعور بالــهوان والحرمان قد شل تفكيرهم ، فإني يعرفون ربـــهم ؟ أو يشــعرون بمـــا قدموا لهم .. إنهم أعجز من أن يقدموا الحساب عـــن يومـــهم فهيــهات أن يــأخذوا الأهبــه الحقــه للــدار الآخــرة ؟ أنـــا لا أنكــر أن وراء حناياهم الضامرة ، قلوبا فيها إيمان ما ، لكن قيمة هـــذا كلــه تافهــة ، لا تجدي علي أصحابها كثــيرا . فـــي الدنيـــا أو الآخــرة .. والديــن

---

١ - المصدر السابق ص٥٣

الحق لا يؤدي رسالته في هذا الجو الخـانق ، ولا تثمـر عقـائده فـي هذه البيئات العقيمـة .. فلابـد مـن التمـهيد الاقتصـادي الواسـع ، والإصلاح العمراني الشامل ، إذا كنا مخلصين حقـا ، فـي محاربـة الرذائل والمعاصي ، والجرائم باسـم الديـن ، أو راغبيـن حقـا فـي هداية الناس لرب العـالمين .. أمـا أن نـترك الظـروف التـي تلـد الجريمة حتما ، تنمو وتتكاثر ، ثم نكتفي في خدمـة الديـن بالنصـائح المجردة والعواطف المفتعلة ، فهذا في الحقيقـة هـو العبـد المبيـن .. أن النسبة الكبرى من الرذائل تعود إلي واحد مـن الثـالوث المتوطـن في أرجاء أمتنا من زمن بعيد ، ثـالوث الفقـر والجـهل والمـرض .. أن زوال هـذه الآفـات الإنسـانية يخفـض نسـبة الجرائـم فـي بلادنـا ٩٠% .

ونحن نعرف أن في مصر آلافا مـن العلمـاء الذيـن ينتمـون إلي الدين وينبثون في معـاهده ومسـاجده ، وينطلقـون فـي المدائـن والقرى يبشرون ويخطبـون ، فـهل وصلنـا _ بعـد هـذا المجـهود المـادي والأدبـي الواسـع _ إلـي درجـة مـن الرقـي والسـلامة الاجتماعية ؟ .. والعلة الأصلية في هذا أن اختـلال التـوازن المـادي والأدبي مكن لشياطين الإجرام أن تعمـل وتنتجـح ، فكيـف لا يتدخـل الدين في تغيير هذه الحال أن أراد لنفسه البقـاء ، ولرسـالته التحقيـق

؟[1] وعن ضغط ضرورات الحياة علي الناس يقول الشيخ : إن المأكل والملبس وما إليهما من ضرورات العيش ، إذا عزمنا لها طال التفكير فيها ، واشتد السعي إليها عظمة قيمتها وغلت حقيقتها ، فإذا كلفت طائفة من الناس بأن تقضي عمرها في تحصيل هذه المطالب المادية وأن تقف تفكيرها واحتيالها علي توفير هذه الضرورات الإنسانية فمعني هذا أننا كلفناهم بأن يعيشوا ليأكلوا ، أو ليأتوا بالأكل لأهلهم وأولادهم .. وقد حكوا أن فقيهاً إسلاميا كبيرا فاجأته خادمته وهو ذاهب لإلقاء الدرس , بأن الدار ليس بها دقيق فطارت من رأسه مسائل العلم التى أعدها .. ثم العيب كذلك على طوائف من المتدينين لا ترى مواطن العباد الا فى مواطن المسكنة والدمامة والقلق[2].

وتحت عنوان : نظريات مختلفة يتحدث الشيخ عن الرأسمالية والاشتراكية فيقول : الفكرة الرأسمالية تقوم على حرية العمل والاستثمار والتملك ، وترى أن الفرد مادام واسع الذكاء والحيلة ، جم النشاط والسعى ، فله أن الفرد يحوز ما يشاء من مال ، مادامت سوق المنافسة حرة ومادامت طرائف الجمع مشروعة ، ومن الظلم أن توضع القيود والعوائق أمامه ، لتشل

---

[1] ـ المصدر السابق ص٦٢ ، ٦٣ .

[2] - الشيخ محمد الغزالى : الاسلام والمناهج الاشتراكية ص ١٦ ،١٧ .

إنتاجه فى ميادين العمل المختلفة ، وهـــذا كـــلام وجيـــه فـــى ظـــاهره ولكن يؤخذ عليه ما يلـــى :

(أ) تستبد بالرأسمالية شهوة جمع المال مـــن كافـــة الوجـــوه الممكنـــة فلا يبـــالون باســـتغلال جـــهود العمـــال ، وانتقـــاص حقوقـــهم ، وتسخير مواهبـــهم.

(ب) ينســـى الرأســـماليون حقـــوق الله والنـــاس فـــــى أموالـــــهم . ويتهربون من أداء الواجبات الدينية والاجتماعيـــة المنوطـــة بـــهم [١]. ويحولون ثرواتهم على عجل إلى كنـــوز ميتـــه يقـــل انتفـــاع الأمة بها أو ينعـــدم.

(جـ) إذا كان من بين هؤلاء مـــن يعيـــن فـــى مشـــروعات الخـــير ، ويساهم فى نواحي البر ، فأن ثرواتـــهم تنتقـــل بنظـــام التـــوارث إلى أقوام لا عمل لهم ولا غناء فيـــهم .

(د) وجد أن البيوت الماليـــة الكـــبرى تتعـــاون علـــى قتـــل صغـــار الرأســـماليين الناشـــئين ، وترصـــد مـــن مصروفاتـــها مـــا يفســـد الأسواق أمام النشاط الاقتصادي لـــهؤلاء .. وبـــهذا يضيـــع معنـــى التنافس الحـــر.

---

[١] - ليست هذه صفة أساسية عند الرأسماليين كما يفهم من كلام الشيخ ، فالرأسمالية الوطنية فى مصر الآن يقوم معظم أصحابها بأداء حق الله تعالى وحق الناس عن طيب خاطر ورجاء البركة والنماء وربما أنصب حديث الشيخ على فترة معينة من حياة الرأسمالية فى مصر .

(هـ) ظهر أن مجتمعات الرأسماليين تغص بفنون اللذائذ الرخيصة وتتضح بعوامل الفساد العريض .. على أن هذه المآخذ تختلف نسبتها من قطر إلى قطر ، ويقل الإحساس بخطورتها بين شعب وشعب .. وعن الفكرة الشيوعية

يقول الشيخ : أما الفكرة الشيوعية في طورها الأخير فتقدم أساسا للتنظيم الاقتصادي يعتبر سليما من الناحية النظرية أما الناحية التطبيقية فلم تتح لنا أسباب دراستها ، حتى يتيسر الحكم عليها ، وإن كنا نلاحظ عموماً أن ثمة مبالغة فى سيطرة الدولة على الفرد ، وفى مصادرة الملكية الخاصة ، مصادرة عنيفة شاملة مع أن الحاجة ماسة إلى جعل المرافق العامة وحدها ملكاً للدولة ، أما المرافق الخاصة التابعة للملكيات الخاصة فلا ضير على الشعب من بقائها تحت أيدي أصحابها .[1] وعن النظام الاقتصادي فى مصر قبل الثورة يقول الشيخ : وهذه الأفكار التى سقناها عن الرأسمالية والشيوعية لا تخدم بها إلا البحث العلمى المجرد ، أما واقع الحياة فى مصر فإن الصراع فيه ليس بين نظام رأسمالي وآخر شيوعى ، كما هى الحال فى بعض أمم الغرب ولكن الصراع هنا بين نظام إقطاعي موجود ، وعدل اجتماعي منشود ، أى بين بقايا من ظلمات القرون الوسطى وبين

---

[1] - المصدر السابق : ص٤٦ .

طلائع التطـور الإنسـاني الحديـث ، ونحـن إذا اسـتعرضنا تـاريخ التملك الزراعي فى مصـر ،فـى العصـور الأخـيرة ، لـم نجـد إلا ظـلالا سـودا لفوضـى التمليـك و التملـك والاسـتهانة بـالحقوق ، والمحاباة للمحاسـيب والأجـانب والتجـاهل لقيـم العمـل والعمـال والغفلة عن مستقبل الآمة ومصـاير بنيـها . (١)

وعن ضياع أمـوال المسـلمين نتيجـة لتبذيـر الحكـام يقـول الشيخ : ومن خصائص الحكم السرف الشـديد علـى شـخص الفـرد الحاكم ، وعلى كل من يمت إليه بنسب ، أو يواليـه بنصـر ، فـترى شهوات الغى فـى البطـون والفـروج مشـبعة ، ومضـلات الـهوى مسيطرة على المشاعر والنهى ، وعـبء هـذه الـنزوات يقـع علـى عاتق الخزانة العامة وحدها فـأن الاسـتبداد السياسـي لا يبـالى مـن أين يأخذ المال ، ولا أين يضعه وقـد نكـب المسـلمون مـن قديـم بنفر من قطاع ، وقعت فى أيديهم غنيمة الحكـم فتقاسـموها نـهمين ، ولم يعرفوا من المناصب التى سـقطت فـى أيديـهم الا أنـها منـابع ثروة للشباب الجامح ، والـنزق والإفـراط أمـا مصـالح الأمـة فـلا وزن لـها .. (٢)

---

١ – المصدر السابق ص٤٨ ، ٤٩ .

٢ – الشيخ محمد الغزالى : الاسلام والاستبداد السياسى ص ٣٧ .

وعن منهج الإسلام الخاص فى الاقتصاد يقول الشيخ : وليس معنى عدم وصف الإسلام بأنه اشتراكي أنه رأسمالي ، أو معنى عدم وصفه بأنه ديمقراطي ، انه دكتاتوري ، بل المقصود أن للإسلام أوضاعه الخاصة ، التى تعلو على هذه المذاهب جميعاً ، وهذا حق ..والاختلاف فى التسمية لا ضير فيها ، إنما الضير فى أن نوهم الناس ، بأن الإسلام دين رأسمالى ، وأنه يحافظ على الأوضاع الاقتصادية الظالمة ويأمر بسفك الدم فى الدفاع عنها .

فالدفاع عن الرأسمالية لا معنى له البتة فى صدد الدفاع عن الإسلام ، ثم أن تصور الحياة الاقتصادية ، بأنها أما رأسمالية وأما شيوعية ، خطأ علمى .. فإن هناك مناهج اشتراكية أخرى كاشتراكية الدولة مثلا ، التى يتجه إليها الإنجليز فى بلادهم وعداؤهم للشيوعية معروف ، وهناك نظم تعاونية ليس الآن مجال تفصيلها ، والمهم أن أشد المذاهب الاقتصادية مجافاة لروح الدين هو المذاهب الرأسمالية ، وقد بدأ أصحابه يتحولون سراعا عنه ، ويحيطونه بشتى الملطفات التى تخفف من وطأته الثقيلة على غيرها من الفقراء .. فبأى وجة يدافع ممثلو الإسلام عن هذا النظام ؟ وهل نحارب باطل الشيوعية بباطل لا يقل خزيا عنه ، وفى أى حياة نسوق هذا الدفاع ؟ فى حياة عرفت من الرأسمالية

أبشع ألوانها ، وتلقت أقسى ضرباتها وسقط الشعب فيها صريعا للتلوث المدمر المعروف ، ثالوث الفقر والجهل والمرض . [١]

لا يميل الشيخ إلى النظام الرأسمالي أو النظام الاشتراكي ، إنما يميل إلى النظام الإسلامى فى الاقتصاد ، وهو الذى يقوم على حرية التملك بالحلال ثم أداء حق الله فى هذا المال مهما اتسع حيز هذا التملك وعدده أو كميته .

ولكن الشيخ – بسبب ظروف عصر الإقطاع الذى عاش فيه فى بداية حياته يرى إمكان أو جواز تقييد الملكيات الخاصة ويقول : ومسألة تقييد الملكيات لا تهدم نصا ولا تعطل قاعدة ، بل هى– فى الحقيقة – عون فعال التنفيذ النصوص التى جاء بها الإسلام ، وتدعيم للقواعد التى بنى عليها فقهه العريق .

وعن أسباب نزع الملكية ، أو تقييدها يقول الشيخ : هل صحيح أن المسلمين يعيشون فى هذا السلام المأمول ؟ وأن بلادهم آمنة ، فليس يلوح فى أفقها تدمير حروب لا آخر لها ، أم أنهم عزل فى هذه الحياة المتقلبة على فم بركان ، اللهم لا سلام ولا استقرار فتلك مزاعم الحمقى .. وعند التلويح بالحرب وخطر الحرب ، ترتفع عن الأملاك صغراها وكبراها أيدي أصحابها ،

---

[١] – الشيخ محمد الغزالى : الإسلامى المفترى علية بين الشيوعيين والرأسماليين ص ٢٠٢ ،٢٠٣ ط مكتبة وهبة ١٩٦٠م ط /٥ .

وتتولى الدولة انفاق آخر مليم لديها ولدى الشعب ، فى الدفاع المقدس عن البلاد .. لعل تشريعاً لو صدر خالصا لن يكون أبرك نتائج ،وأعمق آثارا من تقييد التملك والحكم فى أسبابه على مقتضيات المصلحة العامة ، وفوق ما توصى به تعاليم الشريعة وما أحسب الإسلام يصيب لمبادئه نصرا ، أو يكسب لاتباعه خيرا ، أو يمهد لرسالته مستقبلاً ، أو يمسح عن حقيقته شبهاً ، إلا بسن هذا القانون ، وتطبيقه فى أوسع دائرة ، وسحب آثاره على الماضى والحاضر والمستقبل جميعاً .. وإنما يجنح الإسلام إلى هذا المسلك اليوم ، لطبيعة البلاد التى استقر فيها ، وأحوال الملاك الذين يسكنونها ، فهو مسلك خاص ..ذلك أن أغنياء المسلمين مع الأسف العميق إذا قورنوا بأغنياء البلاد الأخرى ، يعتبرون أخسّ أغنياء العالم .

ولقد رأينا مسلك أغنياء اليهود تجاه قضاياهم القومية والاجتماعية والإنسانية فوجدناهم رجالا يرعون شعوبهم ، وينصفون أتباعهم ، وينهضون بالأحمال الثقال ، التى تلقى عليهم .. أما أغنياؤنا ، فهم أشد الناس إسرافاً فى ملذاتهم الشخصية ، وأشدهم ضنا على شئون الوطن والمجتمع .. وكأن واعزا خفيا يوحى إليهم : انهم جمعوا ثرواتهم من باطل فينبغي أن تنفق فى

مصارف السحت والفجور وحدها .. ولذلك قلما تظفر بها نواحي البر وجهات الخير على طول الانتظار وحرقة الضما .[١]

ويعدد الشيخ الأمور التى استند عليها فى حكمه بالتقييد فيقول : وقد أسلفنا القول أنه - حول الملكيات المطلقة تتكون عصبيات جاهلية متغطرسة .. هذه العصبيات المعتزة بأملاكها تحتكر الحكم والجاه فى أقطار الشرق الإسلامي المضطهد فى الداخل والخارج ، بأفانين المظالم الاجتماعية والسياسية .. أن القيم الإنسانية فى بلادنا تحتاج إلى من يرد لها احترامها ، حتى لا نرى المواهب الكريمة تدفن وتذوب ،لأنها نبتت فقيرة ، وحتى لا نرى أقزاما يتحولون بين عشية وضحاها- عمالقة كباراً ، لماذا .. لأنهم انحدروا من أسر واسعة الثراء .[٢]

ويرى الشيخ أن الملكيات المطلقة تجلب الظلم وتعكر صفو الحياة يقول فى ذلك : والإسلام يدير شئونه التشريعية كلها ، على الحلال والحرام ، ويوجب أن تقوم الحياة على رعاية هذه الأصول الدقيقة وأن كانت الطبقات المأكولة. يقصد الفقراء. فى الشرق الإسلامي هى وحدها التى تستمع فى المساجد ، إلىالوعظ

---

[١]- هذا الكلام ينسحب على فترة معينه عاشها الشيخ . أما الان فأن كثير من رجال الأعمال وأصحاب الأموال يقومون بواجباتهم على خير وجه ولهم دور لا يستهان به فى نصرة قضايا الوطن وان كان البعض مازال ينطبق عليهم كلام الشيخ فى الشح فى الخير والسرف فى اللهو واللعب .

[٢] -المرجع السابق ص ١٦٣ وما بعدها .

العام فى الحلال والحرام ، فإذا أطاعت ما سـمعت نفذتـه فـى دائـرة القروش والمليمات أما الطبقات الأكلـة الأغنيـاء- فـلا تبـالى مـا تفعل وما تترك ، ولعلها تستغرب أن يسألها الديـن عـن حجـز تلـك القصور المشيدة وعن قيراط مـن هـذه الأرضيين الزهـرة ، أمـن حلال هو أم من حرام ؟ والحق أن هذا التسـاؤل مـن صميـم الديـن ولا يعد المجتمع نقياً نظيفـاً الا إذا فسـر تصرفاتـه الماليـة كلـها . تفسيراً لا خفاء فيه ولا مواريـة أن جـامعى الـثروات مـن الغصـب والسرقة والرشوة واسـتغلال النفـوذ ، قـوم محرمـون مـن عنايـة السماء ، وأن كانت لهم فـى الأرض وجاهـات ، وكثـير منـهم قـد يغطى وهذه السيرة الدنيئة بركعات يؤديها ، وكلمـات طيبـة يرددهـا أن ألافتيات على أموال الفقراء القلية ، وتـرك النـاعمين والمـترفين يأكلون كما تأكل الأنعام ، فذلك ما لا يرضى بـه الإسـلام .

وفى لفته بارعة ينتقل الشيخ من ظلـم الأغنيـاء للفقـراء فـى البـلاد الإسـلامية إلـى ظلـم الدولـة الاسـتعمارية الغنيـة للبـلاد الإسلامية الفقيرة ليؤكد أن جعل أفراد الأمة يعيشون فـى ظلـم وفـى خنوع لحساب طبقة معينه ، يجعـل هـذه الأمـة كلـها تصبـح أمـة خانعة فى تعاملها مع غيرها من الأمـم فيقـول :

بيد أن الشعوب الخادمـة لغيرهـا ، ليسـت الا شـعوبا مـاتت فيها المواهب الإنسانية العليا وارتكست فيها الملكـات الذكيـة اليقظـة

فهى تصف بالحياة كما يصف السادة بالحياة كلاب الصيد التى تلهث بين أيديهم ، أو أبقار الحرث التى تعمل فى حقولهم ، أما هم من الناحية الإنسانية المحضة فأموات .. وكل أمة تتكل عن حمل أعباء الحياة الحرة الأبية ، وتتكص عن الأقدام فى ساحات الجهاد والتضحية ، وتخشى عواقب المخاطرة والجرأة ، فلا بد أن تصدر عليها محكمة التاريخ حكمها بالإعدام .[1]

وعن عناصر نجاح الاقتصاد أو فشله يقول الشيخ : والنظام الصالح هو الذى يعطى حق الحياة والنماء للجديرين بذلك ، والذى يشد إلى أسفل كل من يؤيدون الصعود بالتزوير والأثرة ، والذى يدفع بالدناءة معترض الكفايات من أى طبقة .. وينقل الشيخ عن الصحفى مصطفى أمين قوله : فى بلادنا الدنيا كلها عندما ينجح إنسان تنهال عليه الورود والرياحين ، أما فى منطقة الشرق الأوسط ، فأن فيها وباء عربياً اسمه وباء الناجحين وتحطيم المتفوقين لا نكاد نسمع عن رجل نجح حتى تنهال عليه بالطوب وهذه طريقتنا فى إطلاق المدافع لتحية الأبطال الفاتحين فإذا لم يكن الرجل الناجح عند حسن ظننا ، وانهار تحت وابل الطوب أسرعنا نهدمه بالمعاول ، فإذا رأينا رأسا مرفوعة طالباً

---

[1] - المصدر السابق ص ٢٤٠ وما بعدها

بقطعه وإذا شاهدنا شركة ناجحة أبلغنا ضدها الرقابة الإدارية فإذا ألغيت الرقابة الإدارية استنجدنا بالنيابة الإدارية .

البعض منا يعتبر النجاح خيانة عظمى ، يجب شنق مرتكبها المجرم الأثيم ، أما الإنسان الفاشل فهو وحده الذى يستحق احترامنا لولا أنه سرق لما نجح لولا أنه اختلس لما اغتنى لولا أنه خالف كل مبادئ الأخلاق لما تقدم كل الصفوف . عقلية العبيد هذه يجب أن نقاومها فى أنفسنا ، ويجب أن تعتبر كل كفاءة فى بلادنا ، قلعة لابد أن نحميها من الاقتحام بالبلاغات الكاذبة ، ومن الشكاوى الوهمية ، ومن الاتهامات المزيفة . أسمع عن كفايات فى بلادى تحارب ، وتقام العقبات فى طريقها ، كان حزب الفاشلين يريد مطاردة كل كفاية والقضاء على كل عبقرية ، وتحطيم كل نجاح .. إن الذى يحدث عندما يتآمر العجزة أحد أمرين : أن يتزوى الاكفاء ويعتزلوا المجتمع وتغلب عليهم فلسفة التشاؤم وفكرة التصوف وذلك ما يتغلب على تاريخنا القديم .. أو يهاجروا إلى بلد آخر يلتمسون فيه العدل والنصفة فإذا وجدوا فيه ما نشدو جعلوا ولاءهم له وقصروا نشاطهم عليه وفى عصرنا الحاضر استطاعت الولايات المتحدة أن تظفر بأكبر قسط من العقول المهاجرة ، فدعمت تفوقها الحضارى بعبقريات هائلة من كل قطر بعدما وفرت لها التقدير المادى والأدبي على السواء.

وفى إحصاء نشـــرته جريـــدة الأهـــرام أقـــرت أن ٦٦% مـــن العقول المهاجرة من العـــالم العربـــي ، فـــأدركت أن العـــالم العربـــى أخصب بقعة لرواج العملات المزيفة ، وصـــدارة النفـــوس المريضـــة وانتشار الكفايات المهيضـــة .[1]

---

[1] الشيخ محمد الغزالى : نظرة على واقعنا الإسلامي ص ٦٩ ، ٧٠ ط دار ثابت ١٩٨٣ .

" متابعة "

تعتبر قضية الاقتصاد من القضايا الفاعلة في حياة الناس ، وأي تأثير في هذه القضية يؤثر في حياة الإنسان سلبا أو إيجابا ، بحسب نوع التأثير الحادث والأثر المستهدف ، ولذلك كان تصدى الشيخ لهذه القضية من الأمور التى تحسب له ومن العوامل التى تؤكد أصالته كداعية تنتمى إلى المدرسة المحمدية في يثرب مباشرة .

ولقد تعود بعض الدعاة أن يقيموا منهاج دعوتهم على الاتجاه بالناس إلى دار الآخرة ، دون الالتفات إلى الحياة الدنيا ، والعمل العمراني بها ، بل يجدون في الدعوة للعمل في الدنيا ، والكسب الحلال بها ، ما يناهض السمو الروحاني والنور الإيماني ، والفيض البرهانى وهى العناصر التى يدعون الناس إليها، والدعوة بهذه الصورة تجاوز المقدمات الضرورية ، ومحاولة لجنى الثمار قبل زرع الأشجار والنتيجة في النهاية تقوم على المشاعر والأحاسيس بالنسبة للآخرة ، وتقوم على التمهيد لسيادة طبقات من الناس، لم يلتفتوا لأقوال هؤلاء الدعاة إنما انتصبوا لجمع المال من كل وجه ، ساعدهم فى ذلك ما بثه بعض الدعاة بين الناس من زهد فى الدنيا ودعوة للتخلى عنها ومن هنا بدأ

تدهور مجتمع المسلمين من الناحية الاقتصاديـــة . وكـــان دور الشـــيخ حاسماً من زاويتيـــن :

الأولى :- كشف قضايا استغلال الفقراء فى مجتمـــع المســـلمين ، مـــن جهات عديدة ، أحيانا باسم الديـــن .[1]

الثانية :- وضع منهاج للدعوة فى العصر الحاضر ، يعـــود بـــها إلـــى سالف أيامـــه الخـــالدة ، وهـــذا المنـــهاج يقـــوم باعتبـــار الدنيـــا والنجاح فيها مقدمـــة ضروريـــة للنجـــاح فـــى الـــدار الآخـــرة ، بشرط أن يكون النجاح فـــي الدنيـــا مؤسســـاً علـــى شـــريحة الله تعالى وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـــد حـــدد الشـــيخ موفقة من قضية الاقتصاد كعادته فى نقاط كمـــا يلـــي :

١ - الاستعمار وإنشاء المجتمع الطبقي فى بلاد المسلمين :-

يرى الشيخ أن للاستعمار الأجنبـــي دوراً بـــارزا فـــى تحويـــل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع طبقى . لأن الاســـتعمار عندمـــا يدخـــل بلداً إسلاميا يكون مرفوضـــا مـــن معظـــم ســـكانها ويشـــرعون فـــى مقاومتها ، ألا أن هناك طائفة من النـــاس يجـــدون أن مـــن مصالحـــهم

---

[1] - يقوم منهاج الشيخ ، فى دراسة قضاياه – على تقسيم القضية تنظيميا فيدرس كل قضية فى عدة نقـــاط . وتقســـيماً زمنياً يتيح له العودة إليها فى فترات متقاربة أو متباعدة ، بحسب تطور هذه القضية وما تحدثه مـــن أثـــر فى حيـــاة المسلمين .

مساندة[١] الاستعمار والسير فـــى ركابـــه ، ومـــن هـــؤلاء مـــن يتخـــذ الاستعمار بطانة له في بلاد المسلمين ، ويعمـــل علـــى اشـــتراكهم فـــى نهب ثـــــروات الوطـــن المحتـــل ، إلا أن نصيبيـــهم لا يتعـــدى دائمـــا نصيب من يساعد اللص فى سطوه على الأشـــياء ، فـــهو يـــأخذ شـــيئا يحدده السارق ، ولكنـــه لا يســـمح لـــه بالقســـمة مـــهما كـــان ســـهمه ضئيـلاً.

ومن هنا نشأت الطبقـــات فـــى مجتمـــع المســـلمين ، وبـــرزت كحقيقة واقعية ، ونظر إليها بعـــض الدعـــاة فلـــم يعيروهـــا التفاتـــا ، ورأوا فى ذلك نوعاً من تقســـيم الأرزاق ، ليـــس مـــن شـــأن الدعـــاة التدخل فيه ورأى الشيخ أن فى وجـــود الطبقـــات ومـــا تســـببه مـــن ظلم أمرا لا يقره الإسلام ولا يساعد عليه ، بـــل يدحضـــه ، ويعمـــل على هدمة وتغيـــيره .

ولم تقف الطبقـــات العليـــا فـــى المجتمـــع وفـــى ظـــل النظـــام الرأسمالي عند جمـــع المـــال فقـــط ، بـــل تقاســـمت مـــع الاســـتعمار السلطة فى داخل البلاد ، ولذلـــك فقـــد تعـــاظم الظلـــم الواقـــع علـــى الفقراء ، ولم يجدوا للخروج من ذلـــك ســـبيلاً . " ولقـــد اكتفـــت هـــذه

١- يرجع هذا إلى ظروف أخلاقية ونفسية وأحيانا تتعلق بكون الإنسان شجاعاً أو جباناً وهذه الحالة تحتاج إلى بحث آخر بإذن الله تعالى فيما نستقبل من أيام

الطبقة الرأسمالية بمشاركة السيطرة الأجنبية فــي الســلطة الداخليــة ، بما يصاحب السلطة من حــراك اجتمــاعي .[١]

فالرأسمالية أيام الاستعمار الإنجليزي علــى مصــر لــم تكــن نضجت ، وكان كل همهما جمــع المــال مــن أي وجــه ، ولــو أدى ذلك للتعاون مع الاستعمار ، والسير فى ركابــه ، وهــذه هــى الفــترة التى عاشها الشيخ وعانى منــها بإحساســه أحيانــا ، وعــانى منــها بالفعل فى أحيــان أخــرى ، ألا أن الرأســمالية الوطنيــة الآن فــى مصر ليست بهذا السوء ولــها أعمــال جليلــة فــى مجــالات الخــير وخدمة الوطن والمواطنين إلا أن الاســتعمار القديــم الجديــد ، يحــاول الالتفاف حولها ، والدخول معها فــى مشــاريع مشــتركة ، ســتنتهي إذا لــم نلــتزم الحــذر بعــودة الســيطرة الأجنبيــة مــرة أخــرى . والسيطرة الأجنبية تجعل طبقة تتمتع بكل خــيرات الوطــن مــع بقــاء أبناء هذا الوطن محرومين مــن كــل شــئ وهــذا هــو . الاســتغلال السياســي والاقتصــادي والاجتمــاعي وبــهذا تنشــأ الطبقــات فــى المجتمع ويساعد الاستعمار على وجود هــذا النظــام الطبقــى وهــذا ما ركز علية الشيخ في بداية تصديــة للاســتعمار ، ولمــن يســيرون فى ركابــه .

---

[١] محمد حسنين هيكل : ملفات السويس ص ٣١ مؤسسة الأهرام ١٩٨٦ م .

٣- الجو الطبقي يقضي على المهارات الفردية :

حين تدور عجلة رأس المال ، فأنها تهمل العامل الإنساني ، ومن ثم يتم تجاهل الإمكانات والمهارات الفردية " ومن جهة أخرى فإن النظام الرأسمالي برغم المحاولات المتعددة لتهذيبه يهمل العنصر الإنساني ويهتم فقط بظروف العرض والطلب ، فمثلاً في تحديد الأجور ينظر إليها على أنها مسألة تعاقدية بحتة ، لا تحتوى عنصراً إنسانياً كما أن النظام الرأسمالي يتسم بالمخاطرة الاقتصادية ، وحدوث البطالة الإجبارية على نطاق واسع ، كما أن الرأسمالية أثبتت أنها نظام لا يقدر على التحول مع التغيرات الكبرى ومن أكثر عيوب النظام الرأسمالي أنه يسمح بقيام دخول غير مكتسبة تنشأ عن حيازة السلع الاقتصادية أو القوة الشرائية من أى مصدر خلاف بذل المجهود .[1]

ويعني هذا تجاهل قدرات وإمكانات الإنسان والاعتماد فقط على دوران رأس المال في المجتمع وهذا هو الجو الطبقي الذي أشار إليه الشيخ بقوله : الجو الطبقي يقضي على المهارات الفردية ، وقد وصل الشيخ بهذا الاستنتاج إلى قاعدة أصيلة في الاقتصاد ، لأنه إذا اصبح المال هدفاً ، تلاشت قيم كثيرة من

---

[1] - محمد طلعت عيس : الاشتراكية العربية والاشتراكية العالمية ص ٥١ ط مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٩٥ م .

المجتمع وانعكس ذلك على صفحة الحياة في صورة تناقضات لا آخر لها .

٣- الاقتصاد السيئ يخلق الرذائل :

لقد مس الشيخ موضعا خطيرا في علاقة الاقتصاد بالحياة ، وهذا الموضع يحتاج إلى بحث مستقل ، لأنه يتعلق بتلك العوامل التى تساعد على الفضيلة أو الرذيلة وهي عوامل مساعدة ، لكن أثرها حاسما فى كثير من الأحيان ، أن لم يكن أغلبها ، فهو يركز على أثر الاقتصاد السيئ فى انتشار الرذائل في مجتمع المسلمين ، وكثيرا ما يردد : أننا يجب أن نراعي ضرورات الإنسان من مأكل وملبس قبل أن نوجهه للخير ، فالمعدة الجائعة لا تمتلئ بالقيم الأخلاقية ، والجسد العارى يحتاج إلى كسوة عادية من القماش قبل أن يكسى بلباس التقوى .

والشيخ لم يصل إلي هذا الاستنتاج من وحي خياله بل وصل إليه من فقه الكتاب والسنة ، فقد اخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن ثلاثة وقعت علي باب غار هم صخرة عظيمة حبستهم ومنعتهم من الخروج فسألوا الله تعالي بصالح الأعمال التي أدوها ابتغاء وجه الله تعالي ، وقال بحدهم : لقد راودت امرأة عن نفسها في الحرام _ وكانت تعول أولادا صغارا جياعا _ فرفضت امتنعت وعادت من غير طعام ، وألح أولادهما في طلب الطعام ،

وألحت هي في طلب العفة والعصمة ، ولكنها انهارت في النهاية تحت وطأة الجوع وذهبت إلي الرجل وقالت له أُعطني مائة دينار وافعل بي ما تشاء . فأعطاها المال ، وعندما تمكن منها ذكرته بالله تعالي فرجع عنها وتركها لوجه الله تعالي [1]

---

[1] _ والحديث بتمامه كما يلي : روي الإمام مسلم عن موسي بن شعبة عن نافع عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال : بينما نفر يتمشون أخذهم المطر فآووا إلي غار في جبل فانحطت علي فم غار هم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالي بها ، لعل الله يفرجها عنكم . فقال أحدهم : اللهم انه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني ، وأنه نأي بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فطبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي ، فلم يزل ذلك رأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فأن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك . فأفرج لنا منها فرجة نري منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء .
وقال الأخر : اللهم انه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فتعبت حتي جمعت مائة دينار ، فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتقي الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ، فقمت عنها ، فإن كنت تعلم إنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة ، ففرج لهم ، وقال الآخر اللهم أني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضي عمله قال أعطني حقي ، فعرضت عليه فرقة فرغب عنه فلم أزل ازرعه حتي جمعت منه بقرا يرعاها فجاءني فقال : اتقي الله ولا تظلمني حقي وقلت: أذهب إلي تلك البقر يرعاها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقي .
الجامع الصحيح للإمام مسلم مجلد ٤ ح ٨ ص ٨٩ ، ٩٠ . وفي صحيح البخاري مجلد ٢ ح ٤ كتاب الأنبياء ص١١٠ وفيه : وأني راودتها عن نفسها . وما ذهبنا إليه من إنها كانت فقيرة وفي اشد الحاجة إلي المال . ذكره أبن حجر العسقلاني في فتح الباري بقوله في رواية آخرى قال الرجل : فامتنعت من حتي ألمت بها سنة _ أي سنة قحط _ فجاءتنى فأعطيتها ، : وفى حديث النعمان بن بشير قال : فلما أمكنتنى من نفسها بكت ، فقالت ما يبكيك .؟ قالت : فعلت هذا من الحاجة فقال : انطلقي وفي روايه أخري عن النعمان : إنها ترددت إليه ثلاث مرات تطلب منه شيئا من معروفه ويأبى عليها إلا أن تمكنه من نفسها ، فأجابت في الثالثة ، بعد أن استأذنت روجها فأذن لها وقال لها اغني عيالك ، قال : فرجعت فناشدتني بالله فأبيت عليها ، فأسلمت لي نفسها فأبيت فلما كشفتها ارتعدت من تحتي فقلت مالك ؟ قالت أخاف الله رب العالمين فقلت خفته في الشدة و لم أخفه في الرخاء فتركها.
بن حجر العسقلاني فتح الباري ٦ / ٥٨٨ ، ٥٨٩ ط دار الريان للتراث ١٤٠٧ ه ط ثالثة

وعندما سأل الله تعالى بما فعل فرج الله تعالى شيئاً من الصخرة وأزاحها عن الباب .

وقصة هذا الحديث الشريف تدل منهاج الشيخ في وجوب تأمين الضرورات لفقراء المسلمين لمساعدتهم على العفة والطهارة لأن المرأة التقية النقية الطاهرة انهارت تحت وطأة الجوع وسلمته نفسها وشرفها ، لرجل تعلم انه يريدها في الحرام ، ولولا خوف الرجل من الله تعالى لانتهى كل شئ .

فلو افترضنا أن هذا الرجل لم يهتم بتحذير المرأة ومضى في طريقة لا يلوى على شئ لتم إعدام الطهارة والعفة والتقوى تحت وطأة الجوع والحاجة ، وأحسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد بهذا الحديث أن ينبهنا لأهمية الاقتصاد في الحياة وأن الاقتصاد السيئ ينشئ الرذيلة ، وهى نفس النتيجة التى وصل إليها الشيخ .

فوجود رجل غنى قوى مسيطر على مقادير الناس ، وعلى أرزاقهم ويكون كسب هذا الرجل مخصوما من دخل هؤلاء الناس ، هذا الوضع ينمى الرذائل ، وينشرها في المجتمع ، لأن الناس يتنازلون بضغط الظروف عن كرامتهم في البداية ، وعن أخلاقهم في نهاية الأمر .

وحرى بالدعاة أن يسيروا على نهج الشيخ فى نظرته الشاملة لكل ما يؤثر على الإنسان والاهتمام بشئون الناس الحياتية ، وجعل الناس يهتمون أكثر بأرزاقهم ، وتأمين مستقبلهم ، ومستقبل أولادهم بالعمل الصالح المنتج الذي ينشئ العمران ويطور الحياة ، ثم من قبل ومن بعد بطاعة الله تعالى والسير وفق شريعته .

ومن الممكن أن يقوم أحد الدعاة بدعوة مجموعة من النسوة الأرامل اللاتي لا يملكن شيئا من حطام الدنيا لهن ولأولادهن ويطوين الأيام جوعا والليالي حسرة يدعوهن إلى العفة والعصمة والتقوى ، ولكنهن حين يعدن إلى بيوتهن ولا يجدن شيئا يقتات به أولادهن ، فإنهن في هذه الحالة لن يتذكرون وعظ الداعية وبلاغته اللفظية ، وسوف يقاومن كثيراً وطويلاً ، ولكنهن حتما سينهزمن فى يوم ما ، أما لو استغل هذا الداعية دعوته فى جمع المال من الأغنياء لتوفير الضرورات لهذه الأسر ، ومحاولة البحث لهن عن أعمال يؤدينها تعود عليهن وعلى أسرهن بالخير ، لكانت تلك أبلغ دعوة وأعظم أجرا عند الله سبحانه وتعالى .

٤- تبذير الحكام وضياع أموال المسلمين :

من العقبات التى تؤثر فى حيـــاة المســـلمين الاقتصاديـــة تبذيـــر الحكام وإسرافهم فى أموال المسلمين ، ولقد ركـــز الشـــيخ علـــى هـــذه النقطة ، لأنها من النقاط البارزة فـــى تدهـــور الاقتصـــاد فـــى البـــلاد الإسلامية ولعـــل مـــن أخطـــر الأمـــور فـــى السياســـة الاقتصاديـــة للمسلمين ، عدم محاســـبة الحكـــام علـــى ســـرفهم وتبذيرهـــم ، وفـــى الأمم المتقدمة حضاريا يحاسب الحكام عـــن كـــل قـــرش يصـــل إلـــى يده ، أما فى البلاد المتخلفة وأغلبها من بلاد المســـلمين ، فـــلا يجـــرؤ أحد على محاسبة الحكام لا الأفـــراد ولا المؤسســـات .

لقد كان السلف الصالح رضـــوان الله تعـــالى عليـــهم يـــهتمون بمحاسبة الحاكم بطرق عديـــدة , فقـــد كـــان الحـــاكم يحاســـب نفســـه ويحاسب غيره إذا لزم الأمـــر ، وقـــد كـــانت الســـمة الغالبـــة علـــى الحكام هى سمة الزهد والورع والتقـــوى ، وكـــان لرســـول الله صلـــى الله عليه وسلم ، أموال كثيرة تأتيه ، من الغنائم ، وكـــان ينفقـــها عـــن أخرها ولا يدخر شيئا لأهلة وكان يفعل ذلـــك لســـببين :

الأول :- أنه كان يرغب فى متاع الآخرة ولا يجـــد شـــيئا فـــى الدنيـــا يعدله .

الثاني :- أنه كان يضع سنه للحكام من بعـــده لكـــى لا يتخـــذ الحكـــم مغنما، لأن الحاكم إذا أراد كنز المال فلن يســـتطيع أحـــد أن يمنعـــه

من ذلك ، ويستطيع حـــاكم واحــد أن يســتولى علـــى ثــروة بلــد إسلامي بكاملها ، وهذا معروف مشاهد فى بعـــض البــلاد .

وعن الموازنة بين الدنيا يقول النبـــى صلـــى الله عليــه وســلم موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيـــها ولغــدوه فـــى ســبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومـــا فيـــها.[1]

وقد وازن رســـول الله صلـــى الله عليــه وســلم بيــن الدنيــا والآخرة واختار الآخرة وليس معنى هذا أنه تـــرك الدنيـــا بـــلا عمــل على تطويرها وتنميتـــها لصـــالح كـــل المســلمين ، وليـــس لمصلحـــة خاصة كما يفعل الحكام فى هـــذا الزمـــان.

وكان سيدنا أبو بكر رضـــى الله عنـــه وأرضـــاه يســير علـــى سنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحكـــم ، وكـــان يزهــد فى أموال بيت المـــال ، وكـــان يطلــب مـــن النـــاس فـــى الحكـــم أن يقوموه إذا أساء ، وقد قال عنـــد توليــه الخلافـــة : أمـــا بعـــد ، أيـــها الناس ، فإنى وليت عليكم ولست بخـــيركم ، فـــأن أحســنت فـــأعينونى ، و أن أسات فقومونى ، الصدق أمانـــة والكـــذب خيانـــة ،والضعيـــف فيكم قوى عندى حتـــى أرجـــع عليـــه حقـــه ، إن شـــاء الله تعـــالى ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منـــه أن شـــاء الله تعـــالى .

---

١ - صحيح البخارى ٨/ ١١٠ط دار الفكر

وجلس سيدنا عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة يتناول طعاماً فدخل عليه ضيف فقدم إليه الطعام ، فلم يستطع أن يأكل ما كان يأكل أمير المؤمنين لغلظة فى الطعام وتقشف [1]

ويروى كتاب السير : بينما عمر بن الخطاب قد وضع بين يديه طعاماً إذ جاء الغلام فقال : هذا عتبة بن فرقد بالباب .

قال : وما أقدم عتبة ؟ثم قال ائذن له . فلما دخل عتبة رأى بين يدى عمر طعامه خبز وزيت ، وقال : اقترب يا عتبة فأصب من هذا ، فذهب يأكل فإذا هو طعام جشب خشن غليظ ، لا يستطيع أن يسيغه ، فقال : يا أمير المؤمنين هل لك فى طعام يقال له : الجواري أى الذى نخل مرة بعد مرة قال : ويلك . ويسع ذلك المسلمين كلهم ؟ قال لا والله قال : ويلك يا عتبة افأردت أن آكل طبيباتي فى حياتي الدنيا واستمع [2].

هذه هى سيرة الحكم فى بداية الدولة الإسلامية ، وسيرة من تبعهم ، وهذا النمط من الحكم الطاهر ، ومن الحكام الزهاد كانت له آثار جيدة فى حركة الأمة وفى حضارتها ، وفى تقدمها ، وكادت الأمة الإسلامية تسيطر على العالم أجمع فى عشرات السنين .

---

[1] – الإمام ابن كثير : البداية والنهاية ٦٩٢/٦ ط دار المعرفة .

[2] – أسد الغابة ١٥٦/٤ وانظر الشيخان للبلاذرى ص ١٥٢

وعندما توالت العصور وكرت الدهور ، وتولى الأمر والحكم فى بعض بلاد المسلمين حكام مبذرون مسرفون ، إنعكس ذلك على بلاد المسلمين وتدهور الاقتصاد ، وخرابا فى الضمائر وانحسر تقدم الأمة واختزلت حضارتنا وغربت شمسها ، وفنى ظلها ، لذلك كان تحذير الشيخ شديدا من تبذير الحكام وخطر ذلك على مستقبل البلاد الإسلامية ، وحضارتها . .

ومشكلة تبذير الحكام للمال العام مشكلة متجددة مع الأيام والظروف وحسب الشيخ أنه جعلها على رأس المشاكل الاقتصادية للبلاد الإسلامية وحذر منها ومن خطورتها ، ولم ينفرد الشيخ بهذه الرؤية أو يستحدثها فهى قضية معروفة فى الاقتصاد السيئ ، وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى يوصيان دائما بعدم وصول مساعدات الدول الغنية للدول الفقيرة إلى دوائر الحكم فى هذه البلاد ، لأن ذلك يختزل المساعدات ويجعلها تتلاشى .[1] وكما أسلفنا فليس على الحاكم رقيب فيما يأخذ أو يدع ، وتستطع أسرة واحدة أن تستولى على الاقتصاد قطر إسلامي بأكمله ،ولا تترك لأهل هذا القطر إلا ما يضمن بقاءهم يعملون

[1] - وليس معنى هنا أن هذه المؤسسات صادقة فى مساعداتها للبلاد الفقيرة أو أن هذه المساعدات يقصد بها التنمية فى البلاد ، بل يقف هذه المؤسسات عند المساعدة فى حد الكفاف وأهدافها الاستعمارية لا تخفى على الغرض من الاستشهاد هنا بوصاياها هو التأكد على عالمية فكر الشيخ أصابته للحقيقة .

ويكدحون . وما زالت فى بعض بلاد المسلمين أسر تملك الوطن على السواء ويتوارثون هذه الملكية جيلا بعد جيل .

٥- تقييد الملكيات الخاصة :

يذهب الشيخ إلى جواز تقييد الملكية الفردية أو نزعها إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، وهو مذهب يتسم بالشدة ، ويمكن التماس العذر للشيخ فيما ذهب إليه من تقييد الملكية الفردية ونزعها، بما آلت إليه الأمور فى ظل الإقطاع والملكية الفاسدة ، وما وقع من ظلم قبل قيام الثورة ١٩٥٢م.[١] وأن كان الشيخ يميل إلى نزع "التقييد" لمصلحة الجماعة ، ولكنه يميل إلى نزع الملكية الفردية ، فى حالة عجز المالك عن إثبات أساس ملكيته لما فى حيازته من أشياء ، مثل الملكية عن طريق الهبة من الحاكم للأتباع والمحاسيب ، ومن يوطئون لظلمه وحكمه الفاسد فى البلاد.

يقول الشيخ : والإسلام يعترف بمبدأ الملكية ، ويضعه تحت الوصاية الدقيقة من تعاليمه المقررة . فهو يطلقه أن كانت المصلحة العامة تقضى بإطلاقه ، ويقيد إن كان الأمر على العكس من ذلك .. وفى كلتا الحالتين فالإسلام واضح فى رفضه ، لكل تملك باطل يسأل كل مالك من أين لك هذا ؟ ليعرف أهو حق

---

١ - نشأ الشيخ فى قرية وتأثر من صغره بما يقع على الفلاحين من ظلم فى ظل الاقطاع .

فيبقيه أم لا فيسلبه إياه .. ولو طبق مبدأ " من أيـــن لــك هــذا " علـــى الأملاك الكبيرة القائمة فى ربـــوع الشـــرق ، لأصبـــح أكـــثر أغنيـــاء الشرق فقراء ، فأصول هـــذه الأمـــوال منـــهوب يحـــرم الأكـــل منـــه وتحرم الصلاة فيه كمـــا قـــال الفقـــهاء .. واســـتثمار هـــذه الأمـــلاك مطعون فيه ، لقيامه على سرقة الجـــهود ، وظلـــم الأجـــراء .[١]

هذا ما ذكره الشيخ عن الملكيـــــة الفرديـــة ، وقـــد كتـــب هـــذا المؤلف تحت ظروف قاسية كان يمر بها الوطـــــن وقتـــها .

ويصعب علينا السير خلف الشـــيخ إلـــى نهايـــة الطريـــق ، لان الملكية الفردية مصانة بالشـــرع ، لا يمكـــن الاقـــتراب منـــها الا فـــى ظروف خاصة مثل دخول البلد المسلم حربـــا مـــع الأعـــداء يجـــوز للحاكم وقتها ان يقوم بنزع ملكيات وأخذ أموال كثـــيرة مـــن الأغنيـــاء للدفاع عن هذا البلد ، بشـــرط عـــدم وجـــود أمـــوال داخـــل الخزانـــة العامة ، وقد ذكر الشيخ ذلك وقـــرره .

ويـــرى الدكتـــور / يوســـف القرضـــاوى أن الملكيـــة مصانـــة بالشرع وبالشروط التى يضعها الشرع الحكيـــم . ويقـــول :

أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على إقـــرار الملكيـــة الفرديـــة ، لما فيها من إشباع الدافع الفطرى فى نفـــس الإنســـان ، ولمـــا تثمـــرة

١- الشيخ محمد الغزالى : الإسلام المفترى عليه ص ١٤٦

من الشعور بالسيادة والقدرة ولكنه وضع للملكية أسبابا لإكسابها ، وقيودا لتنميتها ، وحقوقا دورية وغير دورية عليها وهي كما يلي :

أ – إتاحة العمل الملائم لكل مواطن قادر باعتبار العمل حقا له وواجبا عليه وتحريم الصدقات والمعونات الاجتماعية تحريما باتا على كل متعطل عن العمل الملائم له باختياره لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى " (١) .

ب – إعطاء الأجر العادل لكل عامل بما يكافئ عمله ، ويغطي حاجته بالمعروف .

ج – جباية الزكاة – جمعها – من أموال ظاهرة مثل : الثروة الحيوانية والزراعية ، وزكاة الفكر . وباطنة مثل : أموال التجارة والنقود وذلك بواسطة جهاز قوي أمين من " العاملين عليها " مع وجوب توسيع القاعدة بحيث تشمل كل مال نام ، وكل دخل فائض عن الحوائج الأصلية وتوزيعها على المصارف الشرعية .

وبذلك تسهم هذه الفريضة في تمويل التكافل ، وتحقيق العدل الاجتماعي ، ومحاربة الكنز ، ومقاومة الاستقراض بالربا

---

(١) **الحديث رواه الترمذي في الزكاة باب ما جاء فيمن لا تحل له الصدقة [٢ / ١٣٩] دار الفكر ١٩٩٤م .**

وانتشال المدينين من ذل الدين كما تسهم فى تنشيط الدعوة إلى الإسلام .

د- كفالة المعيشة الكريمة التى تتوافر فيها الحاجات الأصلية ، لكل عاجز عن العمل عجزاً اصلياً أو طارئاً ، عقلياً أو جسمياً أو كان قادراً عليه ولكنه لم يجد عملاً .

هـ مصادرة كل مال حصل عليه حائز بطريق من طرق الحرام وأكل الأموال الناس بالباطل .

و- أن يخضع موظفو الدولة - وبخاصة الكبار منهم لقانون من أين لك هذا .

ز- محاربة الإسراف والترف فى المجتمع بالتشريع والتوجيه ، وقاية للأمة من الحقد الطبقي والانقسام إلى أكثرية كادحة شبه محرومة ، واقلية متنعمة .

حـ - تقريب الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئات ، بالعمل الدائب على الحد من طغيان الأغنياء ، والرفع من مستوى الفقراء .

طـ - تقريب الفوارق بين القرية والمدينة بحيث لا تستحوذ المدينة على كل شئ وتترك القرية فى زوايا الإهمال والنسيان.

ى- تطهير كل المؤسسات الاقتصادية من رجس الربا ، ومن كل معاملة تخالف شريعة الإسلام .[١]

فيما سبق قدم الدكتور يوسف القرضاوى صورة للضوابط التى يجب أن نتعامل بها فى نطاق حركة الاقتصاد وهو لا يرى المصادرة ونزع الملكية إلا فى حالة حصول حائز المال عليه بطرق غير شرعية .

ويعلل تدخل الدولة فى مؤلف آخر له فيقول إن من واجبات الحكومة المسلمة ، أن تنظم علاقات الناس على أسس سليمة ، فتضع من الأنظمة والقوانين ما يحقق العدل ويرفع الظلم ، ويشيع الطمأنينة والاستقرار بين الناس .. ولا يجوز أن تنحاز الحكومة لفئة من المجتمع ضد أخرى ، بل يكون عدلها للجميع .. إن مصالح الناس ورغباتهم كثيراً ما تتعارض وتتضارب ، ومهمة ولى الأمر هى المحاولة للتوفيق بين المصالح ، والموازنة بين المنافع والمضار ، فالقانون الذى يحقق منفعة لأكبر عدد من الناس هو الذى يتفق مع العدل .[٢]

ومن خلال ما تقدم يتفق الدكتور يوسف القرضاوى مع الشيخ فى وجوب نزع الملكية ، إذا كانت هذه الملكية قد تكونت

---

[١] د. يوسف القرضاوى : الحل الاسلامى فريضة وضرورة ص ٥٦ وما بعدها ط دار الصحوة الإسلامية .بدون

[٢] د. القرضاوى : فتاوى معاصرة ٥٩٣/١، ٥٩٤ ط دار القلم ١٩٩٦م

من حرام ، ويضع د/ القرضاوى كثيراً من الضوابط تدور حول الملكية الفردية ، بهذا يختلف نهج الإسلام فى الاقتصاد عن المذاهب الاقتصادية الأخرى فالملكية الفردية لا حدود لها عند الرأسمالية ، ولا وجود لها عند الشيوعية ، ولها وجود مقيد فى النظام الاشتراكي لا يتسم بالمرونة ، ولا يتوافق مع الطبيعة الإنسانية والحركة الطبيعية للاقتصاد ويتم هذا التوافق فى النظام الإسلامي ، لأنه يقوم فى الأساس على الملكية الفردية فى ظاهرها جماعية فى نفعها وخيرها لكل المسلمين .

٦- محاربة الناجحين :-

يرى الشيخ أن من آثار الاقتصاد السئ محاربة الناجحين وله كل الحق فى ذلك ، لأن استحواذ الأغنياء على الدخل القومى العام يعطيهم نوعاً من الأنانية والغرور ، ووضع مقاييس للتفوق والنجاح ، فإذا تفوق فقير فى ميدان من الميادين ، وجدوا أن هذا مخالفة لنموهم العام وحاربوه وطاردوه ، وهذا شأن الصراع الطبقى فى المجتمع الرأسمالي ، وهذه عادة قديمة تتوارثها الشعوب ، فعندما جاء رسول الله صلى الله علية وسلم بالنور المبين قال المشركون فى مكة (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) [١].

---

[١] - سورة الزخرف ٣١.

فهذه الحساسية الاجتماعية التي تنشأ مـــن تفــاعلات الاقتصـــاد الســـئ داخل المجتمع الإسلامي هى التي دفعـــت الشـــيخ إلـــى اعتبــار هــذا الأمر من عقبات التقـــدم الاجتمــاعي والاقتصـــادي ومـــن مدلـــولات نتائج الاقتصاد السئ ومتولياته تصب ظلمـــا وجـــورا علـــى الكـــادحين من أبناء المســـلمين .

الفصل الثانى : الفكر الاقتصادي

لعل من أهم القضايا التى تصدى لها الشيخ فى حياته ، قضية الفكر الاقتصادي عند المسلمين ، لأنها تؤثر تأثيرا بالغا على حياة المسلمين فى حاضرهم ، وفى مستقبلهم على السواء ، تؤثر على دورهم فى قيادة العالم ، وتؤثر على خلافتهم لله تعالى فى الأرض ، بل تؤثر على وجودهم وبقائهم فى الحياة .

والإسلام يحض على العمران ويجعل الإنسان خليفة لله تعالى فى الأرض ، ويجعل الدين لتنظيم الحياة ، ويجعل القوة أساسا لحماية الدين ، غير أن الفكر الاقتصادي عند المسلمين قد ابتعد عن النسق الذى دعا إليه الإسلام بعد ذهاب عزة المسلمين وضياع شوكتهم واضحى فكرا سلبيا يدعوا إلى الانسحاب من الحياة ، والزهد فيها ، ويجعل من العمل نوعا من العبث ، باعتبار أن المكتوب مكتوب والمقسوم مقسوم ، وعاش الشيخ يناضل حتى نهاية حياته وهو يتصدى لهذا الفكر السلبى ، ويرى هذا التأخر فى جانب من الجوانب على الفكر الاقتصادي المغلوط عند المسلمين ولم يخل كتاب للشيخ الا وفيه حديث وإضافة فى هذه القضية الحساسة بالنسبة لمستقبل والحفاظ على كيانهم ووجودهم .

يقول الشيخ عن الفتور الشائع فى حركة الأمـــة الإســلامية فـــى شئون الحياة : ما سر هذا الفتور الشـــائع فـــى الأفــراد والجماعــات ؟ ولماذا يستقبل الناس الحياة وبـــهم ازورار عـــن مواجهتـــها ،وصـــدور عن مذاقها لمـــاذا نـــرى الأجنـــاس الأخـــرى تنطلـــق مـــع مطـــالع الشروق ، وكأنها على أبواب رحلة ممتعـــة ؟ فـــهى تـــدأب ولا تشـــعر بكلال ، وتعمل وتجد من الثمـــر الدانـــى مـــا يغريـــها بـــالمزيد مـــن الإنتاج .

إن هذه الجفوة بيننا وبين الحياة مخوفة العقبـــى ، بـــل هـــى قـــد وقفت بنا فى بدايـــة الطريـــق علـــى حيـــن مضـــى الآخـــرون خفافـــا يكدحون ويجدون حتى وصلوا إلـــى خطـــوط مـــن الرقـــي والإبـــداع تستثير الدهـــش ..

إن أمتنا فى حاجة إلى أن تجيد فـــن الحيـــاة .. وقبـــل أن تصـــل إلـــى درجة الإجادة المنشودة ، لن يصلح بها دين ، ولـــن تصلـــح لـــها دنيـــا فالتاجر يخرج إلى السوق وهـــو حـــامل مســـتكين ، والفـــلاح يذهـــب إلى حقله ، وهو متثـــاقل مجـــهود ، والعـــامل يعـــالج حرفتـــه وهـــو ضائق منكمش والموظف يجلس إلى مكتبـــة وهـــو مـــهدود مـــهزوم ، والجميع لا ترتقب الدنيا منـــهم إنتاجـــا طـــائلا ، ولا حركـــة جيـــده أن

أجهزتهم النفسية متوقفة كالساعة الفارغـــة .. هــذا والله هــو العجــز الذى استعاذ رسولنا عليه الصلاة والســـلام منـــه .[١]

موقف الدين من العجز فى شئون الحياة :

يرى الشيخ أن الدين برئ من العجز الـــذى أصـــاب المســـلمين فى شئون الحياة ، لان الدين الإسلامي يحـــض علـــى تطويـــر الحيـــاة ، وامتلاك أسباب القوة ، وقد قام رســـول الله صلـــى الله عليـــة وســـلم وصحابته الكرام ، بتطبيق ذلك علميا فقـــادوا وســـادوا وعطـــروا جـــو الحياة ، ولكن هذا العجز يرجع الى أسباب كثـــيرة مـــن بينـــها الفكـــر الدينى الصحيح ولذلك يتساءل الشيخ : هـــل المديـــن هـــو المســـئول ؟ قال لى أحد المتحذلقين : إن الدين سر هـــذا الجمـــود ، وتعاليمـــة مـــن وراء هذا الاســـترخاء المنكـــور فقلـــت : إن الشـــخص الـــذى بـــدأ صباحه متثائبا متقاعسا ، قد استفتح يومـــه كذلـــك ، لأنـــه بـــات ليلـــه راكعا ساجدا ، محرومـــا مـــن المنـــام والراحـــة ؟ إن هـــذا الشـــخص الخامل- ياصاحبى لا يعرف ربه فى ركعات الفريضـــة بلـــه صـــلاة الليل ، فهو بمنجاة مـــن الوصـــف بـــأن مطـــالب الديـــن هـــى التـــى صرفته عن الدنيـــا ..

ثم إن اتهام الدين إعنى الإسلام بأنه ســـبب فتـــور المســـلمين فى الحياة ، سخف يجرى على السنة أشباه المثقفيـــن ، ممـــن صنعـــهم

---

[١] - الشيخ محمد الغزالي : الإسلام والطاقات المعطلة ص ٨،٧ دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣.

التبشير الاستعماري فى هذه السنوات العجاف من تاريخنا .. قال لست أعنى الإسلام وحده عندما تحدثت ، إن الأديان إجمالا تبغض الحياة للناس وتصدهم عن الإقبال عليها ، وتوجه آمالهم إلى الدار الآخرة قلت ما احسب هذه طبيعة الأديان على العموم ، واجزم بأن الإسلام برئ كل البراءة من هذه النزعة .. إن الإسلام يقيم أركان الإيمان على فهم الحياة بصدق ، والتصرف فيها بعقل وأمانة ، والقيام برسالتها إلى أخر رمق .. ولعل اقرب ما يصور هذه الحقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا قامت الساعة على أحدكم وفى يده فسيلة فليغرسها " وهذا الأمر بغرس الخضر الذى يخرج منه النبات ، فى تلك الآونه العصيبة له دلالة حافلة .. انه أمر بمواصلة أسباب الحياة فى الوقت الذى ستحصد فيه الحياة وممن صدر ؟ صدر من بنى يوجه البشر للآخرة ، ويحث الناس على كره جحيمها، وحب نعيمها وقد يبدو هذا الأمر متناقصا حقا لو آن وظيفة الإسلام بناء الآخرة على أنقاض هذه الحياة .. لكن الإسلام ليس كذلك انه يجعل صلاح الآخرة نتيجة حتمية لصلاح الأولى أن القرآن الكريم أبان لنا ان البشر لم يطرقوا هذا العالم ضيوفا تحت أيديهم مفاتيح كل شئ ، ليتقلبوا فى أرجائه كيف شاءوا .

أن الله تبارك وتعالى قال : (والسماء بنيناهـــا بـــأيد وآنـــا لموســـعون والأرض فرشناها فنعم المـــاهدون) [١]

يقول (وسخر لكم ما فى السموات ومـــا فـــى الأرض جميعـــا منـــه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكـــرون) [٢]

فإذا مرت الأيام ولم يفكر الأقوام ، ولـــم يســـتخدموا مـــا ســـخر لهم هنا وهنـــاك ، فمـــن الملـــوم ؟ ديـــن الله تعـــالى . ان الله تبـــارك وتعالى أبدع هذا العالم ، وشحنه بـــالخيرات قـــال للإنســـان : اعـــرف عظمتى عن طريق التأمل فى إبداعي .. وتشـــبع مـــن هـــذه الخـــيرات . واحمدني على الأتي .. والـــزم هـــذه الخطـــة حتـــى لا تضـــل ولا تشقى . قال تعالى (يا إيها الناس كلوا ممـــا فـــى الأرض حـــلالا طيبـــا ولا تتبعوا خطـــوات الشـــيطان) .[٣]

وقال (يا أيها الذين آمنـــوا كلـــوا مـــن طيبـــات مـــا رزقنـــاكم واشـــكروا لله) [٤]

فإذا استمع الإنسان إلى هذا النداء المبين ثم تبلـــد وجمـــد فمـــن الملوم ؟ دين الله تعـــالي !

---

[١] - الذاريات : ٤٧ ، ٤٨ .

[٢] - الجاثية : ١٣ .

[٣] - سورة البقرة :١٦٨.

[٤] سورة البقرة :١٧٢

إن الإسلام رسم خطا مشـــرقا للحيـاة الإنسـانية علــى ظــهر الأرض ، وأي تال للقران يعلم أن الله تعالى اســتثار اعــرق مــا فــي الإنسان من خصائص ، وطلــب إليــه أن يديــم الخطــو بيــن فجــاج الأرض وآفاق السماء وهو مفتــوح العيــن ، ذكــى النظــرة مرهــف الحس ، وأن يكون ملكا بين شتى الكائنات التى يســرت لــه ، ومكــن منها .. فإذا ارتكس ابن آدم بعد هــذا البــلاغ ، وتعــثرت خطواتــه ، واستبدت بمسالكه أوهام غبيــة ، فليتعلــل بمــا شــاء مــن معــاذير . ولكن لا معنى للكذب على الدين .. فــالدين يذكــر النــاس بــالموت لا ليكفوا عن السعى أو يتوقفــوا عــن الحركــة ، بــل ليكــون ســعيهم راشدا ، إن العمل للحياتين .. الدنيــا والآخــرة قــد وصــل الإســلام أطرافه .. وربــط بعضــة ببعــض ، فــإذا رأيــت طاقــات معطلــة وأعمالا مهملة . وواجبات مهدرة فثــق أن الــذى ضــاع مــن ديــن الله لايقل عن الذى ضاع من دنيا الناس ، وثــق أن الانــهيار النفســي الذى جر هذا الضياع قد أصاب الإيمــان والخلــق بمثــل مــا أصــاب الحضارة والعمران .و لكننا نتدبر القــرآن كلــه ، فــلا نجــد دعــوة أحر من دعوته إلى الأيمان والإحســان والإصــلاح .. ونتدبــر ســيرة رسوله ، فلا نجد رجولة تدانيها فــي الكفــاح والــدأب ، والمصــابرة إلى آخر رمق .. ونتدبر الأمة التى ظهر فيــها هــذا الديــن ، ، فنجــد أمة انطلقت بغتة بعد وقوف طويل ، وبــرزت بعــد خفــاء مــهين .. ولم يكن الوقود الذى أشعل حركتها و لم يكن الــذى اشــعل حركتــها.

إلا هذا الدين نعم هذا الدين فعــن طريقــه أبصــرت النــور وأنشــات المدنيـلت.

٢- العوامل التى أفسدت الفكر الاقتصادي عند المسلمين :-

يري الشـــيخ أن مــن العقبــات التـــى تعــرض طريــق التطــور العمراني فى العالم الإســـلامي الفكــر الصوفـــي الـــذى يدعــو إلـــى التجرد والانسلاح من الحياة ، ويقول : " جلت فـــرق التصــوف عــن اغلب الميادين الجادة ، ولم تبق منـــهم إلا فلــول توشــك أن تنقــرض على أن اختفاء المتصوفين من أنحاء الحيـــاة العامـــة لا يعنـــى البتـــة استخفاء المبادئ التـــى خلفوهـــا ، وغرســـوها فـــى دمـــاء الأجيـــال الأولى ، وخلطوا بها أهم وجوه النشاط الدينـــــي إن هـــذه المبـــادئ لا تزال باقية فى مظانها من كتـــب الأقدميـــن ..

لو أن التصوف اقتصر علـــى شـــرح الجـــانب العـــاطفي فـــى الإسلام والتزم فى شروحه الحدود المعروفـــة فـــى كتـــاب الله تعـــالى ،وسنة رســـوله صلـــى الله علــيـــة وســـلم ، لأفـــاد كثـــيرا .. بيـــد أن التصوف دخل فى موضوعات غيبيـــة لا علاقـــة لـــه بـــها .. وتعلـــق بأفكار أجنبية ينكرها الإسلام .. واشـــتط فـــى أحكامـــه علـــى الأمـــور فـــزل عـــن الصـــراط المســـتقيم .. وصلـــة المســـلم بالحيـــاة مـــن الموضوعات التى أصدر التصوف فيـــها فتـــاوى خاطئـــة .. مـــاذا فعل المتصوفة ؟ لهو الناس عن حب الدنيا والفتنـــه بـــها ، ومـــازالوا

يحصون مثالها ويقبحون الاتجاه إليها حتـــى أصبحـــت أيـــدي النـــاس صفرا منها فعانوا آلام الجوع بعدما كـــانوا يعـــانون متـــاعب البطنـــة ... فأي طبيب ذلك الذى لا يحسن إلا نقـــل المريـــض مـــن علـــة إلـــى علة أخري قد تكون شرا منها وأنكي..وتـــراث الصوفيـــة حـــافل بـــهذا التراث المســـموم .. لا يصـــح الإيمـــان عندهـــم إلا بنبـــذ الحيـــاة ولا تخلص الآخرة إلا بهجر الدنيـــا .. إن الخبـــاز الأحمـــق ، قـــد يدخـــل الأرغفة الطرية فى الفرن ليقددها ، فإذا هـــو يحرقـــها .. كـــان اللفـــح الخفيف كافيا لإنضاجها ولكنـــه تركـــها للنـــار حتـــى أتـــت عليـــها .. والمتصوفة أفلحوا فى تكويـــن أجيـــال محترقـــة مـــن زمـــان بعيـــد . سلطوا عليها من اللهب باسم إنضاجها ما جعلـــها ترابـــا لا خـــير فيـــه وهم يتصورون أنها بلغـــت درجـــة الكمـــال .. لقـــد اســـتطاعوا فيمـــا رسموه لأنفسهم والناس مـــن طـــرق أن يحدثـــوا تلفـــاً حقيقيـــاً فـــى أجهزة الطبيعة الإنســـانية .. ذلـــك أن صلـــه المـــرء بالدنيـــا لاصقـــة بفطرته ..واهتمامه بشئون الحيـــاة الدنيـــا واهتمامـــه بشـــئون الحيـــاة الدنيا يجرى الهواجس فـــى نفســـه تيـــاراً متقطعـــاً ، ولكنـــه دائـــم .. ولذلك قلماً يفلت أحد منها ...والشـــارع الحكيـــم لـــم يتصـــور - ولـــم يطلب -خلو النفوس من هذه الهواجس ، حتـــى فـــى أثنـــاء الصـــلاة .. أما الصوفية فقد طلبـــوا ذلـــك وبينـــوا الوســـيلة ، إليـــه ..قـــالوا : مادامت شجرة الدنيا باسقة فى القلب فلـــن تفتـــأ الـــهواجس والخواطـــر تهجم على الإنسان ، وتعكر علية مناجاتـــه لربـــه ، وتجعـــل صلاتـــه مشوشة ، والطريقة المثلى لخلوص القلـــب قطـــع هـــذه الشـــجرة مـــن

الفؤاد ، ومن ثم تطرد هموم الحياة من تلقـــاء نفســها ، إذا لــم تجــد مكانا تحوم فيه ..وهذا الكلام ينطوي علـــى خطـأ كبـير، وأن بــدت مشاعر الإخلاص الحار ..و أول آثـــاره - فـــى وعـــى مســلم يقــف خمس مرات فى اليوم - أن علاقته بالدنيا سوف تضعـــف جــداً ، بــل سوف تنقطع يقينـــا .

إن كراهية العالم الذى نحيا فيه للظفر بمحبة الله تعالى ، طريقة فـــى الدنيا لم يقل بها نبى ..ولم تجئ فيها شريعة . والمتتبع لأسلوب القـــرآن فى بناء الإيمان ن وتكوين الأمم ، يستيقن أن مدارسة الكون .. ومعالجـة الحياة، هما النهج الأوحد لاقامة الدين ، الحق و أقامه الدنيا الحارسة له .

أن التصوف ضل الطريق ، وظلم الدنيـــا بــهذا المســلك ، وأن الأمـــة الإسلامية هانت فى العالم وهان معها كتابها وهداها لما سارت فى تلـــك السبيل ..لو أن المسلم كرس عمره لاستكشاف المجـهولات مـــن قـــوى الكون .. لكان تأمله تسبيحاً ، وانكبابه على عمله اعتكافاً .. فهذا لون من الجهاد فى سبيل الله تعالى .

والواقع أن النفس الإنسانية فى ظل التدين المعلول تعجز عن القيام بوظيفتها فى الحياة ، بينما تستطيع بهذه الوظيفة نفس ليس لها من طبـــاع وأفكار.. أي أن التدين الفاسد عطل أجهزتها الفطرية .. أما الإلحاد فقـــد أبقى هذه الأجهزة تتحرك ، وإن طاشت حركتها حينا ، وأخطأت غايتـــها

حينا أخر .. وهذا هو التعليل لتخلف المسلمين فى القرنيـــن الأخـــيرين على حين تقدم غيرها ، واستبد دونهم بتصريف الأمـــور وفـــرض مـــا يشاء[1].

وتحت عنوان الكفر بالإنسان يقول الشيخ : ويقع الكفر بالحيـــاة - من قبل الصوفية - وجهل وظيفة المرء فيها . الكفـــر بالإنســـان نفســـه وبخس قيمته ، وتشويه حقيقته.. فإن المتدين المنحـــرف يســـئ تصـــور الملكات والشهوات الإنسانية وينظر إليها نظرة ازدراء .. وقد ينحصـــر تقويمه للإنسان : فى أنه تخلق من نطفة قذرة وينتهى إلى جيفة مـــذرة ، وهو بينهما حامل بول وعذرة ..وصحيح أن الناحية الحيوانية فى الإنسان لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكن الإنسان ليس حيواناً فقـــط ، فـــأن الله تعالى - ينفخ الروح فيه - أنشأه خلقاً أخر ..خلقاً مكرماً بمـــا أودع فـــى بنائه المعنوي من خصائص وأسرار.. خلقاً إذا ما بلغ نماءه الصحيح فاق الملائكة وحلق فى الملأ الأعلى .. والإنسان بلا ريب محتـــاج للحســـاب الدائم والرقابة الدقيقة ، ولفتة إلى عيوب ، كى يتركها خير لا شك فيه .. إلا أن الأمر انقلب - مع المربين الأغرار - إلى الضد ..فعندما حـــاولوا قتل الغرور فى الإنسان ، بلغوا فى الجور حدا جعله يفقد الثقة بما عنـــده .. فذهب الكبر ، ثم ذهب أيضا عزة النفس ثم ذهبت كذلـــك الشـــخصية الحرة المستقلة .. والعبارة الشائعة فى كتب التصوف أن المريد بين يدى

---

[1]- المرجع السابق ص ١٩ وما بعدها

سيخه ، كالميت بين يدى غاسلة وهم يعنون بذلك الطاعة المطلقـة .. إلا أن هذه الطاعة الغربية محقت الإدارة الحرة والتفكير الحر معا .

وعن أثر علماء الكلام على تعطيل قدرات الإنسان الإنتاجية يقـول الشيخ : ولقد منى التفكير الإسلامي بنكسة خطيرة عندما انقلبت مباحثـه رأسا على عقب فأصبح تفكيرا سلبياً ، بالنسبة لمـادة الكـون إيجابيـا بالنسبة لذات الله تعالى .. ما هذا الارتكاس المستغرب ومن أين تجد لـه إسنادا فى ديننا ؟ وماذا أفادنا منه إلا الدمار العقلى والروحي والانـهيار الإنساني والعمراني ؟

استطيع أن أقول بمنطق المفكر المسلم الأصيل : إن الرجل الإنجليزي الذى اكتشف قوة البخار ، الذى ترك عقله يسـرح وراء غليـان المـاء وضغط مادته المتحولة من سائل إلى غاز .. هذا المفكر كان اقرب إلـى فطرة الإسلام من علماء الإسلام الذين تساءلوا هل صفات الله عين ذاتـه أم غير عين ذاته أم هى لا عين ولاغير ؟ وعقدوا لذلك مبحثـاً قسـمهم فرقاً ، وخرج منه جمهورهم مخبولاً لا معقولاً ..

إن المجال الطبيعي لملكات الإنسان العليا هى البحـث فـى هـذا الكون .. ومن نتائج هذا البحث يتكون الإيمان بالله تعالى وتشرب الأفئـدة طرفاً من عظمته .. وكل ميدان أفسح للمجالات الغيبية كان تبديداً آثمـا لطاقاتنا العقلية .. وكل عائق اصطنع لمنع العقل الإنساني من التجـوال فى الآفاق والاستئناس بمجالى القدرة العليا فى السـماء والأرض فـهو عائق افتعله الجهل أو الضلال ، والإسلام برئ منه

وعن كره المصريين للحركة - ومثلهم العرب بالطبع - يقول الشيخ ونحن فى مصر ننظر إلى طوائف السائحين والسائحات ، الوافدين إلى بلادنا نظرة دهشة ، ونظن أمرهم بدعا فى خلق الله تعالى .. ذلك لان المصريين مرضى بالإخلاد إلى أرضهم والوقوع فى دورهم .. وما أشد جزع أحدهم لو أكرهته ضرورات العيش على النقلة من مسقط رأسه.. انه يلعن الحدثان ويشكو الأزمان .. والإسلام ضد هذا الخلق الواهن ..فهو يستحب أن يموت الإنسان بعيدا عن وطنه [١] ، نازحا عن داره .. إن الرجال حين تطرحهم النوى فى الأقطار القصية ، فأنما ذلك دليل علو همتهم وقوة عزيمتهم .

وعن الدين الإسلامى والمسلمين يقول الشيخ: الدين قوة هادئة فى قيادة البشر، ولكن ما قيمة الآلة البخارية- مقدمة القطار بخارية أو غيرها فى قطار يضم سبعين عربة، إذاكانت هذه العربات كلها قد احترقت وتلاشت؟ ماذا تقود بعدئذ ؟ وماذا يصنع الدين إذا كان موضوع عمله وهو الإنسان قد ذاب واستخفى .. إنى أنظر إلى الناس حولى فأجد الدين يأوى فى نفوسهم إلى خرائب لا بشرية لا إلى خلائق سوية .. وأبحث عن الإنسان ينزل اليقين فى قلبه، ويتجه الخطاب الإلهى إلى عقله، فأجد هذا الإنسان قد برحت علل جسيمة به، وتركته حطاما.. ومصادر هذا الشر الجائع كثيرة، ولكن التدين الفاسد أبرزها وأعمها،

---

[١]- وقد مات الشيخ نفسه بعيدا وطنه وهو يدعو إلى الله فى المملكة العربية السعودية قال فصدق.

لأنه يحاول باسم الله تعالى الحيلولة بين الإنسان وفطرته، ويصادر باسم الإخلاص والتقوى خصائص طبيعته ..

إن الدين إذا لم يسر فى النفوس كما تسرى الكهرباء فى الأسلاك فتضئ بسريانها مصابيح، وتتحرك آلات، يصبح وهما أو زعما لا تغنى فيهما العناوين والشارات[١]

وعن استبداد بعض الحكام فى التاريخ الإسلامى وتأثيره على التنمية والإنتاج يقول الشيخ:

الحكم الذى ساد بلاد الإسلام من بضعة قرون كان طرازا منكرا من الاستبداد والفوضى.. انكمشت فيه الحريات الطبيعية، وخارت القوى المادية والأدبية، وسيطر على موازين الحياة العامة نفر من الجبابرة أمكنتهم الأيام العجاف أن يقلبوا الأمور رأسا على عقب، وأن ينشروا الفزع فى القلوب، والقصر فى الآمال، والوهن فى العزائم.

والحكم الاستبدادى تهديم للدين وتحريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا..وهو دخان مشئوم الظل، تختنق الأرواح والأجسام فى نطاقه حيث امتد.. فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج.. إن المستبدين ينبتون فى مناصبهم نبتا شيطانيا لا توضع له بذور ولا تحف به رغبة ..

١- المرجع السابق ص ٢٨ وما بعدها بتلخيص وتصرف.

ومن هنا تطرق الخلل إلى شئون الأمة كلها، فوقعت فى براثـــن الاستعمار الأخير، لأن بعض الخلفاء والملوك والرؤساء كانوا فى واقـــع أمرهم حربا على الأمة الإسلامية، أو كانوا فى أحسن أحوالهم ترابا على نارها، وقتاما على نورها .. فلو خلوها وشأنها لاستطاعت الدفاع عـــن نفسها، متخففة من أعباء هؤلاء الحكام، ومن جنون العظمة الذى اسـتولى عليهم.

يجب أن نعلم أن الناس يتهيئون للعمل العظيـم، ويتجـهون إليـه بأفكار رتيبة مستريحة، حيث يكون الشعور بالأمن مستوليا على أقطــار أنفسهم.. أما حيث تستخفى الذئاب الحاكمة وراء جدران الدواوين وتنقض متى شاءت على أقرب فريسة لها. فهيهات هيهات أن يزدهر إنتــاج، أو يستقيم سعى.. الحريات الكاملة ضرورة لنشاط القوى الإنســانية وتفتــح المواهب الرفيعة.

إن النبات يذبل فى الظل الدائم، ويموت فى الظلام، ولـــن تتفتــح براعمه، وتتكون أثماره إلا فى وهج الشمس .. كذلك الملكات الإنسانية لا تنشق عن مكنونها من ذكاء اختراع، إلا فى جو مـــن الإدارة المطلقــة. والحرية الميسرة.. والشرق الإسلامى ونقولها محزونين نكب بمـــن رد نهاره الضاحى ليلا طويلا ..

ويتحدث الشيخ عن تابع من توابع الاســتبداد السياســى، وهــو محاربة الكفايات واضطهاد أصحاب المواهب فيقول:

ذلك أن المستبد يغلب عليه أن يكون مصابا بجنـــون العظمـــة .. وربما اعتقد أن كل كفاية بجوار عبقريته الخارقة صفر لا تستحل تقديمـــا ولا تقديرا.. وفى رأيى أن حظوظ الأمـــم مـــن الكفايـــات متســـاوية أو متقاربة، وأن أولى النباهة والمقدرة عند أية دولة فى الغرب، لا يزيـــدون كثيرا عن أمثالهم فى أى شعب شرقى .. كل ما هنالك أن قياد الجمـــاهير فى أوربا وأمريكا أخذ طريقة الطبيعى إلى أيدى الأذكياء الأكفاء ... أمـــا فى الشرق الإسلامى مثلا فإن القياد بأسباب مفتعلة ضل طريقـــه عـــن أصحابه الأحقاء به وسقط فى أيدى التافهين والعجـــرة وهـــذه الأســـباب المفتعلة يقيمها عن عمد الاستبداد السياسى حيـــث يظـــهر ويســـود. إن المستبد يؤمن بنفسه قبل أن يؤمن بالله تعالى .. ويؤمن بمجده الخـــاص، قبل أن يؤمن بمصلحة الأمة .. وتأخر الشرق الإســـلامى فـــى القـــرون الأخيرة مرجعه إلى انتشار هذا الوباء..

وعن أثر الكرامات المفتعلة فى تعطيل النشاط العمرانـــي يقـــول الشيخ: ومرت على المسلمين أعصار كثرت فيها هذه الكرامات المفتعلـــة حتى وقر فى الأذهان، أنه ليست هناك قوانين يحكـــم بـــها الكـــون، وأن رغبات أهل الصلاح تجتاح ما أودع الله تعالى فى العناصر من طبـــاع، وما بث فى العالم من قوى وأنظمة وكان شيوع هذا التفكير لعنـــة علـــى العلوم الطبيعية ووقفا لنمائها، بل بخسا لقيمتـــها.. وزاد الطيـــن بلـــة أن بعض المخلصين ألحق الاعتراف بهذه الكرامات بعقائد الإســـلام، فمـــن

مارى فيها شكوا فى دينه .. وهذا كله ضرب من السخف يجب محــوه وتنظيف الفكر الإسلامى منه. [١]

وعن طلب الإسلام من معتقنيه تجويــد علــوم الدنيــا وتخلــف المسلمين فى ذلك يقول الشيخ: والإسلام طلب من أتباعه تجويــد علــوم الدنيا لأمور ثلاثة:

أولها: أن تعمير الأرض جزء من رسالة الإنسان على ظهرها، وجــزء من العبادة التى خلق من أجلها، وجزء من الكدح الذى يصون به نفسه وأهله وشرفه.

الثانى: أن الله تعالى لم يخلق الإنسان ليشقى، أو يجوع ويعرى، بل خلقــه مكرما يحمله ما فى البر والبحر، وأحل له الطيبات، ويسر له الزينــة، والجمال، بما فوقه من نجوم وبما بين يديه من زرع وضرع..

الثالث: هذا الأمر لا نسأم من تكراره ، فــإن الجــهاد المكتــوب علــى المؤمنين لحماية الدين، لا يمكن أن يتم ولا أن ينجح بعيدا عن التفــوق المدنى والحضارى.

والأمة الإسلامية كى تكون على مستوى دينيها، وكى تنجح فـــى المحافظة عليه، وكى تستطيع إفهامه للآخرين، لأبد أن تكـــون راســخة القدمين فى شئون الدنيا جميعا، بل يجب أن تكـــون ســباقة فـــى شـــتى الميادين، مسموعة الكلمة فى آفاق العلم برا وبحرا وجوا .. ومــن حــق

---

[١]- المرجع السابق ص ٥٥ وما بعدها بتلخيص وتصرف.

الأمم الكبرى وهى أمم تحتقر الأمية العلمية والصناعية أن تنظر إلى دعاوى المسلمين وأفكارهم وقيمهم بريبة أو بسخرية ما دام المسلمون نماذج ردئية للتخلف الإنسانى، وفى ظنى أن لهذه العلة سببين:

الأول : ثانوى وهو تغلب طبائع البدو - عند بعض الناس على تعاليم الإسلام[1]، فإن البدو يكرهون الحرف، ويزدرون الصناع، وينظرون إلى الفلاحين نظره نابية.. ولا ريب أن لهذه البداوة الغبية أثرا ملحوظا فى دنيا العرب إلى اليوم ..

السبب الثانى: أما السبب المهم فى التخلف الحضارى فهو شيوع التدين المزيف، ووقوع الثقافة الدينية إجمالا بين طوائف من ذوى المعادن الرخيصة أو العقول المعتلة.. ويغلب على هؤلاء التأثر بالزهد الهندى أو النصرانى، والرغبة عن الدنيا وعصيان نداء الفطرة، والغرام بالمبتدعات والنزعات العقلية.

إن كل علم يطوى مسافة هذا التخلف هو من أركان الدين، وفرائض العبادات العينية والكفائية.. وهو أولى من نوافل العبادة ومسائل الخلاف التى برع فيها الفارغون، واشتغل بها المتنطعون [٢]

وتحت عنوان الدنيا؟ الخادمة للحق دين يقول الشيخ : ما معنى ايثار الأخره على الدنيا ؟ هناك إجابة تبدو للناس صحيحة، أو هى فى العرب الشائع إجابة سائر المؤمنين، يقولون: الحياة حقيرة، وينبغى أن

---

[1] - أدخلت هذه الجملة الاعتراضية لتخفيف وقع كلمات الشيخ لأن الأصل: تغلب طبائع البدو على تعاليم الإسلام.

[2] - الشيخ محمد الغزالى : سر تأخر العرب والمسلمين ص ١١٣ وما بعدها ط دار الريان ١٩٨٧م.

تمرق منها كما يمرق السهم لنصل إلى مستقرنا فى جنـــات عـــدن .. وأريد أن أقف طويلا عند هذه الإجابة .. ما معنى أن أعبر الحيـــاة دون تعريج على شئ منها؟ إن خالق هذه الحياة قال: أعرفوا أسمائى الحســنى وصفاتى العلا فى تضاعيف المكان والزمان، وفى مسيرة الحياة والأحياء .. فكيف يقول : أنا عارف بالله تعالى من هو جاهل فالحياة وأســـرارها وقواها ونواميسها ؟

السير فى الأرض لدراسة الحياة هو طريق الإيمان بـــالله تعـــالى ولقائه، لابد من السباحة فى أمواج الحيـــاة، ومعرفـــة تياراتـــها ومدهـــا وجزرها وشواطئها، وأسباب الغرق والنجاة .. ليست البلاهة إيمانـــا ولا الجهل صلاحا، إن الخبرة بالحياة والقدرة على امتلاكها وتطويعها لخدمـــة ربها هى الإيمان والعمل الصالح.

ما أحقر العقل الكليل والفكر القاصر، والثقافة الضحلة، أن هنـــاك شعوبا تنتسب إلى القرآن ، لا تعرف أنه كتاب حيـــاة، ولا تســـتفيد مـــن الكون، إلا ما يستفيد الضرير من أشعة الشمس، وطالما التقيت بـــهؤلاء فى ميدان الدعوة، فضاق بهم صدرى، وأشفقت على الدين ومستقبله مـــن جهلهم الطامس، أوزهدهم البارد.

قلت: لأمر ما كان الشاهدين بوحدانية الله تعالى هـــم الملائكـــة وأولـــوا العلم[1]

وعن الخط الذى يجب أن يلتزم به المسلمين يقول الشيخ:

---

[1]- الشيخ محمد الغزالى : الحق المر ١١٥/٣، ١١٦.

جهدنا يجب أن يتوزع على جبهتين متوازيتين: أحداهما: تقوم على تصحيح الوعى الدينى، والأخرى تنعشنا من الإغماءة الطويلة التى غبنا فيها عن الدنيا، فبقينا فى موضعنا وغزا غيرنا الكواكب. (١)

وعن حب الفقر وأثره على المسلمين يقول الشيخ: أن ترضية الناس بالأمر الواقع وترغيب الجماهير فى حياة الكفاف والمسكنة وحجب أبصارهم عما يجرى فى أفنية المترفين من نعمة ومتعة ، وكان العمل الذى تطوع به للقيام به طوائف المتصوفين ، فرغبوا الناس فى الفقر وزهد وهم فى الدنيا .. وكان هذا المسلك الطائش يجرى على هوى الطبقات الحاكمة ، فما دامت الحقول تهتز بالزراعة ... ، ثم نكمل ... والأسواق تمتلئ بالحركة وأنواع الخراج، والعكوس تجبى من هنا وهناك، فلا على هؤلاء الحكام أن يزهد العامة فيما فى أيديهم. كله أو جله، بل إن ذلك أدى إلى طمأنينتهم.. ومن ثم انتشرت طرق المتصوفة، وقيل فى تاريخها، إنها كانت رد فعل لترف الحكام واتباعهم، فأقبل هؤلاء على الدين، لما أقبل أولئك على الدنيا.. أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأدوار، وأقبل الحكام ومن فى حواشيهم وركابهم على الشهوات والملذات .. وهذا الخلط الصوفى الأحمق، يعتبر أول صدع أصاب التفكير الإسلامى فى صميمه ، بل أول تصدع أصاب كيان الأمة الإسلامية فيما بعد بالانهيار .. فأفكار الصوفية إذن لا مبادئ الإسلام هى التى حملت الجماهير أوزار الاستعمار الداخلى، ووصدت

١- الشيخ محمد الغزالى : الغزو الثقافى ص ١٥٨.

للمظالم الخطيرة ، وخذلت الناس عن محاربة الفقر ، وقتلت في دمائهم الشعور ، بأن الفقر كارثة يجب أن تقصى عن المجتمع ولو بدق العنق ، وأن يستميتوا في دفع بلائنا بأي ثمن .. [١] .

والغريب أن أناسا يتخذون ما كتب في عصور الاضمحلال نبراسا ، ويظنونه دين الله تعالى ، وبذلك يضللون الأجيال في فهم دينها [٢] .

إن أمتنا في الحقيقة معطوبة في صميمها ، لأنها فقدت الكثير من حسها الدقيق بالدين والدنيا معا .. احترام الإسلام حق التملك ييسر للناس أسباب التملك ومع ذلك يجئ من ينتسب إلى العلم الديني وهو جهول ، يجب طرده من ميدان العلم والدين معا .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث بخراب الدنيا لا بعمارتها ..وما أكثر الأكاذيب التي تشاع باسم الإسلام ، والتي جعلت المسلمين يعيشون في الدنيا على فضلات الأقوياء ، وبذلك أصبحت أيديهم الدنيا ، وفي الوقت نفسه أصبح دينهم في المرتبة الدنيا ، لأنه ما ينتصر دين بغير دنيا ، كيف تنصره إذا كنت فارغ اليد ؟ كيف تحميه إذا كنت فقيرا لا ثروة لك ؟ كيف ؟ [٣] ..

وعن التخلف الحضاري للأمة يقول الشيخ : وكثير من المشتغلين بالثقافة الإسلامية ، يحسبون أن الإسلام بعدما قضى على الأصنام في

---

(١) **الشيخ محمد الغزالي : الإسلام المفترى عليه ص ٦٧ ، ٦٨ .**
(٢) **الشيخ محمد الغزالي : نظرة على واقعنا الإسلامي ص ٢٧ ط دار ثابت ١٩٨٣ ط ثانية .**
(٣) **المرجع السابق ص ١٩ .**

الجزيرة العربية قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وليعش الناس حسب ما يرغبون من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، فمضى الأمر متسعا وليكن ما يكون .. وهذا الجهل الفاضح أثقل الأفكار والأقدام، وأحكم حولها القيود، فكانت العاقبة أن وثب العالم إلى الأمام بخطوات فساح، وضبط شئون الحكم والمال وفق ما يرى مصلحته، أما المسلمون فوقفوا أو تخلفوا [١]

الإسلام لا يحب القعود:

عندما عرض على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن يمتلك وأن يعيش على فضل أخيه، كان جواب عبد الرحمن دلونى على السوق.. وبهذا الخلق استطاع المهاجرون أن يزاحموا الاقتصاد اليهودى فى المدينة المنورة، وأن يجعلوا المال إسلاميا، وهذا شئ له خطورته فى كسب النصر للدين نفسه .. ولذلك كان الإسلام شديد الحرص على أن ينطلق المؤمنون فى المشارق والمغارب يكسبون رزقهم، ويطلبون فضل الله تعالى فى فجاجه المبعثرة هنا وهناك أو المخبوءة تحت طباق الثرى[٢]

وعن تحديد المسئولية يقول الشيخ: وجهلة القصاص والوعاظ يحملون تبعة تضليل الأجيال المتأخرة فى بلاد الإسلام، وصرفها عن الانتفاع بالدنيا، وعن دعم الإسلام بها، بسبب تحريفهم الكلم عن

---

[١]- الشيخ محمد الغزالى : الطريق من هنا ص ٨٤ ط دار البشير ١٩٨٧.

[٢]- الشيخ محمد الغزالى : خطب فى شئون الدين والحياة ص ١٢٧ ط دار الاعتصام ١٩٨٨م.

مواضعه.. أن شئون الدنيا وجميع الأعمال العادية تتسلخ من عنوانـــها، وحقيقتها وتتحول إلى شئ آخر بين يدى الإنسان الراقى، الإنسان الـــذى يضفى عليها روحا من مثله العليا، وغاياته النبيلة، أنها تتحول إلى ديـــن بعد ما نفت فيها الإنسان المؤمن من فيض إيمانه، وجهها إلى الله تعـــالى بحسن إخلاصه.

ما يظن الناس فى الزراعة؟ يظنونها عملا عمرانيا بحتا، ولكـــن الإسلام يرتفع إلى مرتبة أسمى، ما دام الغرس والحصاد يكفلان مصـــالح العباد، ويضمنان شبع العانى والمحتاج .. أن فلاحة الأرض والحالة هذه - إيمان وجهاد، وصلاة وزكاة، وقد جهل بعض النـــاس هـــذا المعنـــى، واستنكر لقصوره أن يشتغل كبار الرجال بالزراعة.

فقد روى أحمد بن حنبل عن أبى الدرداء أن رجلا مر بـــه وهـــو يغرس غرسا بدمشق، فقال له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله، قال: لا تعجل على سمعت رسول الله يقول: من غرس غرسا يأكل منه آدمـــى ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة..

وقد تكون الزراعة نافلة فى بعض الظروف، ولكن إذا ارتبطـــت بها أقوات الجماهير، ومصير الجيش، فهى فريضة من الفرائض يعتـــبر التقصير فيها .. خيانة لله ورسوله. [١]

وعن تقييم الإنسان بعمله يقول الشيخ: إن الإســـلام يرتفـــع بموضـــوع الإنسان الفرد فى الحياة العامة ماديا وأدبيا ويأبى أن توجد طائفة بل أمـــة

---

[١]- الشيخ محمد الغزالى: كيف نفهم الإسلام ص ٥٨،٥٩ ط دار الدعية ١٩٩١م.

من الناس تعيش فى مستوى منحط من الفاقة والحرمان ويبين أن تفاوت الناس فى اقتسام معايشتهم، يخضع قلة وكثرة .. فى نظر الإسلام، لقيم الأعمال التى يؤدونها.(١)

وعن دور المال فى الحياة يقول الشيخ: ومعنى إيجاد المال وتحصينه، إيجاد منابعه وتفجيرها، وهل منابع المال إلا الضرب فى الأرض، واستغلال ظاهرها، واستخراج باطنها، واستثارة البر والبحر ليجودا بخيرات الله تعالى المودعة فيهما .. والحق أن المال سلاح رهيب، والسلاح لا يحمد أو يعاب لذاته، أنه وسيلة إلى الجنة أو إلى النار، بطريقة استخدامه .. وقد نظر بعض الجهال إلى المال فى أيدى الأشرار وكرهوه لأنهم يستعينون به على الفجور والفساد، ثم شرعوا ينظمون قصائد طويلة فى هجاء المال، وحسن التخلى عنه ، حتى توهم العوام أن المال شر فى كل يد، وأن البعد عنه غنيمة... ومعنى البعد عنه البعد عن مصادر كسبه، وأسباب اقتنائه، وشاع هذا الفكر الغوغائى بين الجماهير، فإذا المسلمون من بضعه قرون لا يحسنون استخراج معدن من الأرض، ولا إجادة صناعة من صناعات السلام أو الحرب وإذا هم يحسبون الصعلكة تقوى، والافتقار فى الدنيا هو الاغتناء فى الآخرة، ونشأ عن هذه الجهالات السائدة فى مصادر الثقافة الدينية انهيار شامل للعالم الإسلامى، لأن مواهبه الدينية والمدنية تبلدت وفسدت..

١- الشيخ محمد الغزالى: الإسلام والمفاهيم الاشتراكية ص ٤٤ دار الكتاب العربى بدون.

أن العقل الإسلامي تحيط به غشا وات سميكة ، ولأبد من تمزيق هـــده الغشاوات أن أردنا الحياة، ولابد من مطاردة الغوغـــاء الذيـــن فرضـــوا أنفسهم على الثقافة الدينية، وهم لا يصلحون لا لدنيا ولا لدين [١].

وعن هزيمة الأمة الاقتصادية والمعنوية بسبب أخطاء فى التوجيه يقول الشيخ: إن الإسلام لا ينهزم أبدا فى ميدان متكافئ ،وإنما تنزل بـــه الكوارث فى ميدان ذل فيه دعاته، واستبعد هداته، وتولى وعى الشـــعوب فارغو القلوب والعقول ... وثم أمـــر آخـــر هـــو اســـتغلال الأوضـــاع الاقتصادية ، لاستمالة الفقراء وفتنة المترفين .. فى بقاع كثيرة مـــن دار الإسلام وجد البائسون اليائسون ، ووجد الأغنيـــاء المســـتعلون .. وقـــد استغل التتصير هذا التفاوت لمصلحته .[٢]

هنا يربط الشيخ بين سوء التوجيه وتردى الحالـــة الاقتصاديـــة ، ومساعدة ذلك فى تنصير بعض بعض المسلمين ، وعن ســـيطرة الفكـــر السلبى على الانسان يقول الشيخ : فسلبوا الإنســـــان الإرادة الجزئيـــة ، ودفعوا البشرية - المسلمين - إلى الاستسلام والعطل فى هذه الدنيا .[٣]

وعن العبادة والعمل يقول الشيخ : وعندما ننظر إلـــى العبـــادات السماوية نجد أداءها فى اليوم والليلة لا تستغرق نصف ســـاعة ، ونجـــد تعاليمها تستغرق صفحة إو صفحتين ، ويبقى الزمان بعد ذلـــك واســـعا

---

[١]- الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ١/١٦٠، ١٦١ ط دار ثابت ١٩٨٣ ط ثانية.

٢- لشيخ محمد الغزالى : صيحة تحذير من دعاه التنصير ص ١١٥ ط دار الصحوة ١٩٩١ م .

[٣]- الشيخ محمد الغزالى : دفاع عن العقيدة والشريعة ص ١٠٦ ط : دار الكتب الإسلامية ١٩٨٨ .

والمجال رحبا لفهم الحياة ، واكتشاف طاقاتها ، وتسخيرها كلا وجــزءا لخدمة الدين .. وكل جهد يبذل فى ذلك يسمى شرعا عمـــلا صالحـــا ، وجهادا مبرورا ، وضميمة إلى الإيمان ، توهل المرء لرضوان الله تعالى قال تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ، وإنا له كاتبون)[١]... ومن المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرســالة ، إذا كــان أصحابه جهالا بالدنيا ، عجزة فى الدنيا ، والصالحات المطلوبة - فى هذه الآية وغيرها - تصنعها فأس الفلاح، وابرة الخيــاط ، وقلــم الكــاتب ، ومشرط الطبيب ، وقارورة الصيدلى، ويصنعها الغواص فـــى بحـــره، والطيار فى جوه ، والباحث فى معمله، والمحاسب فى دفتره ويصنعـــها المعلم صاحب الرسالة ، وهو يباشر كل شئ ، ويجعل منه أداة لنصـــرة ربه، وإعلاء كلمته .. وأنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا فى ميـادين الحياة، وحسبنا أن مثوبة الله تعالى فى كلمات تقال ومظـــاهر تقـــام.. إن هناك سبعين صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه والانتفـــاع بمشتقاته، لا نعرف منها شيئا، فهل تخدم عقيدة التوحيد وما يتبنى عليـــها بهذا العجز المبين .. ؟.. إن الله تعالى لا يقبل تدينا يشينه هـــذا الشـــلل المستغرب، ولا أدرى كيف نزعم الإيمان والجهاد، ونحن نعانى من هـذه الطفولة التى تجعل غيرنا يطعمنا ويداوينا؟ ويمدنا بالسلاح إذا شاء، ولقـد راقبت كثيرا من الشباب الذين يستحبون خدمـــة دينـــهم، وأفزعنـــى أن الموروث يهيمن عليهم، أنهم لا يحسبون عرق الجبين فى البحـــث عـــن

١- سورة الانبياء :٩٤

البترول أو تلوث الجبهة وراء آلة دوارة، لا يحسبون ذلك جهادا، أن الجهاد فى وهمهم تلاوات، وتكرار ما تيسر من ذلك ما دام فى الوقت متسع .. وقد رأيت صيدليا مشغولا ببحث قضية صلاة تحية المسجد فى أثناء خطبة الجمعة، ومهتما بترجيح مذهب على مذهب، فقلت له: لماذا لا تنصر الإسلام فى ميدانك، وتدع هذا الموضوع لأهله؟ [١]

يقول الشيخ: وبهذا التعريف الجديد للتقوى أصبح المؤمنون فرسانا لا رهبانا، ورفض الإسلام الترهب الذى يدع الإثم يسير من غير نكير، وأصبح الإقبال على الحياة ومعالجة كروبها وهمومها لإثبات معروف ومحو منكر، جهادا مبرور الغدو والرواح .. وما قيمة عبادة تجعل صاحبها محايدا، أو مشلول اليد، فى حرب بين الكفر والإيمان لا ندرى نتائجها .. ومضت السنة المروية عن صاحب الرسالة العظمى تصور الحسنات التى تسجل للمجاهدين، وتذكر الأضعاف التى تنضاف إليهم من حيث لا يحتسبون حتى عدت فى موازين أعمالهم أدوات الخيل التى يمتطونها وهو يجربون الميادين إحقاقا للحق وإبطالا للباطل، إن هذه الأدوات أذكى من الحرير الذى يخب فيه القاعدون. [٢]

وعن بعض موانع التقدم الحضارى فى بلاد المسلمين يقول الشيخ: لكلمة "نحن أمة أمية" تسرى كالخمر فى أبدان السكارى - دون فهم

---

[١]- الشيخ محمد الغزالى : مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ص ١٦، ١٧ط دار البشير ١٩٨٩م.

[٢]- الشيخ محمد الغزالى : من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث ص ٩٩ وما بعدها ١٩٦٣ ط ثانية.

لمعناها الحقيقى - مما جعل المسلمين يتسولون لمعرفة من ألسنة أخرى، وأمم أخرى، لأن مصادرها فى العربية وبين العرب أدركها الجفاف.

ولنشر إلى فروق بين العلم الدينى، والعلم المدنـــى، الأول محـــدد أساسه الأتباع، والآخر مطلق أساسه الاختراع والأبتداع ، فالصلاة مثـــلا والطهارة اللازمة لها، لا يتطلب تعليمها إلا ساعة من نهار، وعلى المسلم بعد هذه المعرفة تكرار ما أمر به سائر عمره ليفيد من هذا التكـوار أدب النفس وسكينة الروح .. أما علوم الدنيا فهى متجددة، وقد لا حظنا فـــى نصف القرن الأخير أن المعارف الإنسانية زادت بما يساوى أو يفوق مـا حققته الإنسانية طوال القرون الماضية .. ومن المؤسف أن المسلمين لـــم يسهموا فى هذه الوثبة الرحبة، أعنى مسلمى القرون الأخيرة، أما آباؤهم الكبار فأياديهم على العالم لا ينكرها إلا متعصب جاحد..

إن المسلمين الأولين اخترعوا علوم المعـــانى والبيـــان والبديـــع، والنحو والصرف لخدمة الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم .. وخدمة هذا الكتاب تحتاج إلى جانب ذلك حاجة ماسة إلى علوم الأحيـــاء والفيزيـــاء والكيمياء والفلك وطبقات الأرض .. والجهالة بهذه العلوم خيانة مخزيـــه للإسلام وكتابة الضخم، .. وهى مع كونها خيانة دينية خيانـــة إنســـانية عامة لرسالة أبينا آدم الذى ألهم الأسماء كلها، وجعلت له الأرض ذلـــولا وسار فيها فى البر والبحر .. لماذا يغوص غيرنا فى الماء ويسبح فـــى الهواء ونحن ننظر مشدوهين؟ لماذا يملك إلا لحاد الكهرباء والـــذرة ولا نملك نحن إلا الهروات؟ نهدد من يعترض أهواءنا..

أليس عجيبا أن تكلف أمة ببناء إيمانها على دراسة الكون، ومـــع ذلـــك تحيا محجوبة عن الكون، ونواميسه، وأسراره وقواه .. لو كـــانت أمتنــا حين تكاسلت واستنامت تعيش على ظـــهر الأرض وحدهـــا لكـــان وزر تخلفها على رأسها، تعاني منه في شئون قلت أو كثرت.. لكن أمتنا فـــي سباق مع أمم أخرى لا تنام، أمم لا رسالة لها أولها رسالة مادية محـــدودة قوامها الباطل والهوى.. ومع ذلك فإن المبطلين يسابقون الريـــح نشــاطا وعزيمة، ونحن ممثلي الحق جاثمون على الثرى، ننظر ببرود أو بلاهـــة إلى الآخرين، ولا نعي من رسالتنا شيئا ذا بال .. الآدمية في كتابنا علـــم عجزت عنه الملائكة، وظفر به آدم وحده، فاستحق الخلافة فـــي الأرض، والآدمية في حياتنا طعام وسفاد، وتحاسد وتفـــاخر، أي هـــي الحيوانيـــة الهابطة.. أنا ما أشك في أن هناك عطبا أو كسرا أو تلفـــا فـــي كياننـــا الفكري والنفس جعلنا في هذا الوضع المهين.. [١]

إن الشخص الذي يسير في الحياة مسلوب الإرادة، ميت الفكـــر لا شئ إلا لأن قدميه تخطوان في طريق مهدها الأقدمون، هو شخص نـــاء بفكره وإرادته عن الإسلام.

أعيب على العرب والمسلمين بإجمال أنـــهم يباشـــرون أعمالـــهم بنصف وعي ونصف جد، وأن الرغبة في الإكمال والتجويد قـــد تكـــون شهوة عند غيرهم، يندفعون إليها بشوق وحماس، أما عندنا فإن الإتقان قد يكون واجبا عمليا من الخارج، أو تكليفا شاقا نساق إليه سوقا، وهذا الجو

---

[١]- الشيخ محمد الغزالي : تراثنا الفكري من ميزان الشرع والعقل ص ٢٤ وما بعدها ط دار الشروق ١٩١٩ ط ثالثة.

لا يجود فيه شئ ، ولا نكسب فيه سباقا .... إنني أنظر إلى بعض الصناعات التجميعية عندنا فأدهش لأن ضم هذا إلى ذاك تتم على صورة حسنة هناك ، وتم على صورة رديئة هنا ، لماذا ؟ قلت : إننا نعمل بنصف وعي ، الهمة فاترة والعزيمة خائرة .

إن الدين يدخل النفس البشرية ليحرك المفاتيح التي تضيئها من الداخل ، وليحرك الأجهزة التي تنطلق بها في دروب الحياة على بصيرة .. والذين يعيشون في غيبوبة وذهول لا تهيج فيهم إلا غرائز الحياة البهيمية ، وليسوا من الله تعالى في شئ ، وهم أشد كفرا ونفاقا وأجدر إلا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله [١] .

وعن تشخيص حالة المسلمين الذهنية والعملية يقول الشيخ : أما مع النقائص الموجودة فمن المستحيل أن يكسب المسلمون خيراً .. إن أعطاباً نفسية وعقلية أصابت كيانهم بشلل لا تعرفه أمم أخرى ، وألحقت برسالتهم مهانة كبيرة ، أقول ذلك وأنا أقرأ كلمات لوزير الكهرباء المصري جاء فيها : أن قطاع الطاقة ظل يبحث منذ خمس عشرة سنة عن سر صناعة مادة معينة في العازلات الكهربائية دون جدوى ، فقد رفضت الشركات الأجنبية – نحو سبع شركات – أن تعطي أسرار هذه التكنولوجيا حتى تبقى المصدر الوحيد لها ، وحتى تبيعها وفق شروطها ..

---

[١] الشيخ محمد الغزالي : الحق المر ص ١٠٩ .

قال الوزير: ثم تطوع العلماء الصينيون بإخبارنا بأن المواد التى تصنع منها هذه العازلات موجودة فى تربتنا - أرضنا - وأنهم سيوسلون خبراءهم ليرشدونا إليها.

قلت لنفسى: إننى أعرض الدعوة الإسلامية كلاما، وهؤلاء الصينيون يعرضون الدعوة الشيوعية عملا، وخامرنى حزن عميق.(١)

إن إساءة المسلمين إلى دينهم وأنفسهم بالغة الشدة، وقد تتابعت هذه الإساءات فى الأعصار الأخيرة واتسع نطاقها، وفشت بين الخاصة والعامة جهالا غريبة أغرب بالحياة العامة، فإذا الأمة التى بقيت دهرا طليقة مرموقة ترجع القهقهرى، وتلاحقنا الهزائم، ويهون وجودها عليها وعلى الآخرين.(٢)

إن أجهزة الأقتصاد القومى - عندنا - تحيا على هامش الدنيا، وليس للاقتصاد الإسلامى تفوق حضارى أو صناعى ينظمه بين الدول العشر الأولى أو الثانية، بل جمهور المسلمين ينتسبون إلى العالم الثالث، العالم المتخلف الباحث عن الحياة على استحياء أو استخذاء ..

ويجئ آخرون .. وبعد شرح قاصر معتل يخرجون بهذه القاعدة "الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر" ولو أنهم قالوها عزاء لفرد مصاب أو عصابة من الناس منكوبة لهان الأمر، ولكنهم أطلقوها كلمة

١- الشيخ محمد الغزالى : مائة سؤال عن الإسلام ٣٦٧/١.

٢- الشيخ محمد الغزالى : الجانب العاطفى من الإسلام ٩٢ ط دار الدعوة ١٩٩٠م.

عامة حمقاء وحاكموا إليها أغنياء الصحابة فجعلوهم يدخلون الجنة زحفا، أو بعد لأى، لماذا؟

لأن الثراء طعن فى التقوى ، فكيف يقوم كيان أمة على هذا العجز والتسول؟ كيف يؤخر عن الجنة من جهز جيش العسرة وأعلى راية الايمان وهد ركن الطغيان ، ليقدم عليه بائس أقعده العدم ؟[١]

ويرى الشيخ أن الاستعمار له دور فى فكر المسلمين الاقتصادى فيقول: من أخلاق الضعة التى رمانا بها الاستعمار قديما، الشره فى طلب اللذائذ والرغبة فى الراحة دون عمل، ونيل المنغم القريب من غير مغرم يبذل، وقعود الهمم عن الآمال العراض، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا، وتتبع للعورات.[٢]

وعن خلافة الإنسان يقول الشيخ: جعل الله هذا العالم الصافح بالخيرات المشحون بالقوى بين يدى الإنسان، وتحت قدميه ليكون ملكا فيه، وعبد الله فى وقت واحد .. على أن هذا العالم لا تنشق الأرض عن خيره، ولا يهبط النعيم من سماتة دون سعى من الإنسان، أو دون استثارة تجئ فيها النتائج على قدر الكفاح المبذول كلا كلا .. فلا حصاد دون غرس، ولا وفرة فى الإنتاج دون كثرة فى الجهود . لقد تتبعنا ما يصرف الناس عن أداء وظيفتهم العمرانية، فوجدنا لبعضه رسوما دينية مكذوبة - لا أصل لها فى الإسلام - ووجدنا بعضه الآخر مسخا عن الفطرة ،

١- الشيخ محمد الغزالى : دستور الوحدة الثقافية بين المسلين ص ١٨ ط دار الشروق ١٩٩٧ م .

٢- الشيخ محمد الغزالى : كفاح لدين ص ٢٥١ مكتبة وهبة ١٩٩١

وعجزا شل المواهب .. كان جيل "المبكر" فى أيدى الأردنيين أجرد المناكب مقفر الأرجاء فلما استولى عليه اليهود لم تمض أيام حتى شجروه.

وكانت بحيرة "الحولة" على حدود سوريا مجموعة من المستنقعات العفنة، فإذا اليهود يجهزونها للزراعة.. ومررت بأرض "رفح" وهى قلع أملس لا حياة فيها، فلما وصل إليها اليهود - مهدوها للحبوب والفاكهة .. ياغوثاه ... فهذه أرضنا فكيف نعيش فوقها هملا؟ وكيف نتحول عنها ليجئ من يقدرها، ويجعلها مزدهرة بالحرث والنسل؟ [١]

وعن تجربة المسلمين السابقة فى العمل العمراني، يقول الشيخ: إن نجاح الإسلام فى تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له، وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى "يثرب" فلم تكن الهجرة تخلصا فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاونا عاما على إقامة مجتمع جديد فى بلد آمن .. وأصبح فرضا على كل مسلم قادر أن يسهم فى بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده فى تحصينه ورفع شأنه. [٢]

وعن قواعد النظام الإسلامى - الذى لا يعرف السلبية - يقول الشيخ: ويتلخص نظام الإسلام الاقتصادى فى قواعد منها:

---

[١]- الشيخ محمد الغزالى : نظرات فى القرآن ص ٦٤، ٦٥ ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٥.

[٢]- الشيخ محمد الغزالى : فقه السيرة ص ١٦٣ ط دار الريان ١٩٨٧م.

١- اعتبار المال المصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره.

٢- إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

٣- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد. [١]

أصيبت الأمة الإسلامية بقحط علمي مروع في عصورها الأخيرة .. فالأمة التي تأسست على القراءة والمعرفة غلبت عليها الأمية .. والتي طوف بها البحث في كل مجال .. قيدها الجمود والتقليد.[٢]

ما الذي أوصلنا إلى هذا الدرك، إن التقدم والتأخر ليسا حظوظا عمياء.. إن هذا الكيان الإسلامي تهاوى تحت ضربات المغيرين، وأصبح بين عشية وضحاها أسيرا تدميه القيود، ويرهقه الإذلال، لقد حدث هذا وكان لأبد أن يحدث لأن المسلمين فقدوا أسباب التمكين في الأرض، فعصفت بهم الريح الهوج .. إن الرياح مهما اشتدت لا تنقل الجبال، ولكنها تنقل كثبان الرمال.. وقد تأملت في أحوال الناس يعملون في الحقل الإسلامي، ويتحمسون لنصرة دينهم، ولكنهم يحملون في دمائهم جراثيم الفوضى القديمة .. والجهالة المدمرة، فأدركت أن هؤلاء يتحركون في

---

[١] - الشيخ محمد الغزالي : الاستعمار أحقاد وأطماع ص ٣٦٤.

[٢] - الشيخ محمد الغزالي : معركة المصحف ١٧٧ دار الكتب الحديثة ١٩٧١.

مواضعهم ، وأنهم يوم يستطيعون نقل أقدامهم فسيتجهون للوراء لا إلــى الأمام، وسيضيفون إلى هزائمنا الشائنة هزائم قد تكون أخرى وأنكى [١]

أينتصر الإسلام بهذا التبلد العقلى والتماوت الأدبـــى ؟ أم يدركــه الخذلان فى كل موقعه؟ إن الواقع الأليم يتكلم.. كم يغيظنــــى أن يكلــف الأنبياء بصناعات الحديد، وأن يطالبوا بتجويد آلات الحرب وإتقانها، وأن يتعلم الصالحون الرمى وإصابة الهدف وأن يكونوا خبراء ببناء الحصون وتشييد الاستحكامات العسكرية .. بينما صالحونا لا يدرون عـــن ذلــك شيئا. [٢]

وهكذا ننهى هذه الفقرات المتتالية التى توضح وتكون منهاج الشيخ فى تصوير الفكر الاقتصادى عند المسلمين، وقد أحاط الشيخ بهذا الأمــر إحاطة تامة، وشخص الداء ووصف الدواء، وجاءت كلماته لفرط عمقــها العملى واتساع نطاقها المادى - تحرر العقل الإسلامى، وتمسح عنه مـــا علق به مع الوقت، من صروف الحياة التى تتمثل فى الســلبية الداخليــة والعدوان الخارجى على البلاد الإسلامية.

متابعـــــة

كانت قضية الفكر الاقتصادى عند المسلمين من القضايا الهامــــة التى ركز عليها الشيخ وهى - بحق - قضية خاصة به، ومميزة لدعوتــه ولمنهاجه فى هذه الدعوة، فالقضايا الأخرى تناول بعضها بعض الدعـــاة

---

[١]- الشيخ محمد الغزالى : هموم داعية ص ١٤٢ ، ١٤٣ ط دار الاعتصام ١٩٨٣.

[٢]- الشيخ محمد الغزالى : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص ٦٨ ط: دار الصحوة ١٩٨٩م.

ولكن الشيخ تميز فيها– من خلال الأبعاد الأربعة - تميزا جعلـــه إمـــام الدعاة فى العصر الحديث. ولكن هذه القضية تعتبر قضية الغزالى بحـــق وتظهر عمق فكر الشيخ وشمولية الدعوة فى آن واحد، وقـــد تناولـــها - كعادته - من زوايا عديدة ومن أوجه مختلفة، حتى ليجـــد فيـــها القـــارئ تشخيص الداء، ووصف الدواء فى الوقت نفسه، ثم يضع القارئ يـــده - بعد مطالعة هذه القضية - على أزمة المســـلمين وتخلفـــهم الحضـــارى، وإمكان العودة إلى الأيام الأولى، أيام الذين فقـــهوا الإســـلام، وغاياتـــه المحلية والعالمية. وسوف نورد عرض المتابعة على هذه القضيـــة كمـــا يلى:

١– نظرة الصوفية للحياة وأثرها على حضارة المسلمين:

بدأ الشيخ بالمواجهة دون تردد، ولم يخش إلا الله تعـــالى وقـــال بصوت مال وواضح: أن الصوفية بأفكارها السلبية سبب مـــن أســـباب تخلف المسلمين الحضارية، وبين أنهم لم يقصدوا إلـــى ذلـــك، وكـــانت دعوتهم تنصب على علاج بعض مظاهر السرف والانشغال بالحياة الدنيا عن الآخرة، ولكنهم أسرفوا فى تكديس جرعات العلاج حتى قضوا علـــى المريض تماما، وهم يظنون أنهم عالجوه، ولما سكنت روحه فرحوا بذلك واعتبروا هذا ذروة العلاج، ونجاح المنهاج.

والصوفية لا يتبرؤن من مسلكهم هذا فى دعوة الناس، بـــل هـــو مبسوط فى كتبهم، ومحور أفكارهم، وقوام أمرهم.

يقول الطوسى: ويقال إن من سمى باسم الزاهد فى الدنيا فقد سمى بألف اسم محمود، ومن سمى باسم الرغبة فى الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم.

يرى الطوسى فى هذا النص أن رغبة المسلم فى الدنيا وأن كانت لتطويرها وجعلها سياجا وحصنا للدين، فهى تجعل من يرغب يسمى بألف اسم مذموم.

ويقسم الطوسى الزهاد إلى ثلاث طبقات:

الأولى: المبتدؤن: وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم.

كما سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الزهد فقال: تحلى الأيدى من الأملاك، وتخلى القلوب من الطمع.

وسئل سرى السقطى من الزاهد فقال أن يخلو قلبه مما خلت منه يداه وقال رويم بن أحمد عن الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا، فهذا زهد المحققين، لأن فى الزهد فى الدنيا حظا للنفس لما فى الزهد من الراحة والمحمدة، واتخاذ الجاه عند الناس فمن زهد بقلبه فى هذه الحظوظ فهو متحقق فى زهده.

وقد عملوا وتيقنوا: أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكا حلالا، ولا يحاسبون عليها فى الآخرة، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئا ثم زهدوا فيها لله عز وجل، لكان زهدهم فى شئ منذ خلقها الله تعالى ما

نظر إليها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة ماء، فعند ذلك زهدوا فى زهدهم وتابوا من زهدهم.

وقال يحى بن معاذ: الدنيا كالعروس، ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها، وينتف شعرها، ويخرق ثوبها، والعارف مشتغل بالله تعالى لا يلتفت إليها.

وعن الفقر يقول الطوسى قال الشيخ رحمه الله تعالى: الفقر مقام شريف وقد وصف الله تعالى الفقراء ووصفهم فى كتابه "للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله ... (١)

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص: الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين ، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع الدرجات، ومبلغ إلى الغايات ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار والفقر هو شعار الصالحين ودأب المتقين. والفقراء ثلاث طبقات:

منهم من لا يملك شيئا، ولا يطلب بظاهرة ولا بباطنه من أحد شيئا، ولا ينتظر من أحد شيئا، وأن أعطى شيئا لم يأخذه فهذا مقام المقربين.

---

١ - الآية ١٧٤ من سورة البقرة والآية لا تعى نزعم الناس فى الفقر ما هى تصف واقعا يجب تغييره داخل مجمع المسلمين الاستفادة هنا مس باب لزوم ما لا يلوم

وقال سهل الأصبهاني: حرام على كل من يسمى أصحابنا الفقراء لأنـــهم أغنى خلق الله تعالى، يقصد غنى النفس.

وقال أبو على الروزباري : سألني أبو بكر الزقاق فقال: يـــا أبـــا على: لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة ؟ فقلت لأنهم مستعينون بالمعطى على العطاء، فقال: نعم، ولكن وقع لي شئ آخر، فقلت: هـــات أفدني ما وقع لك، فقال: لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود. إذ الله فاقتـــــهم ولا تضرهم الفاقة، إذ الله وجودهم.

ويقول أبو بكر الطوسي: كنت مدة طويلة أسأل عن معنى اختيـــار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجبني أحد بجـــواب يقنعنـــي، حتى سألت نصر الدين الحمامي، فقال لي: لأنـــه منزلـــة مـــن منـــازل التوحيد، فقنعت بذلك.

ومنهم: من لا يملك شيئا، ولا يسأل أحدا، ولا يطلب، ولا يعـــوض وأن أعطى شيئا من غير مسألة أخذ..

وقال الجنيد: الفقير الصادق، لا يسأل، ولا يعارض، وأن عـــورض سكت .

وقال سهل بن عبد الله: الفقير الصادق لا يسأل ولا يرد، ولا يجبر

وقال إبراهيم الخواص: علاقة الفقير الصادق ترك الشكوى، واخفاو أثـــر البلوى، وهذا مقام الصديقين...

وقال رويم: الفقير، عدم كل موجود، ويكون دخوله فى الأشياء لغيره لا له، وهذا مقام الصديقين فى الفقر.

وقال الحريرى: الفقير لا يطلب المعدوم حتى يفقد الموجود [١]

فى هذا النص يتحول الزهد والفقر إلى عقيدة وطريق وحيد لمعرفة الله تعالى، وهذا مناف للحقيقة كما سنبين فيما بعد، وسوف نعدد المزايا التى أطلقت على الزهد والفقر فى هذا النص.

- حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة.
- تخلى الأيدى من الأملاك، وتحلى القلوب من الطمع.
- الزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره.
- الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين، ومكفر للسيآت، ومعظم للحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار، والفقر هو شعار الصالحين، ودأب المتقين.
- مقام المقربين. وأول منزلة من منازل التوحيد.
- مقام الصديقين.

---

[١]- السراج الطوسى : اللمع ص ٧١ وما بعدها ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م.

هذا الاحتفاء بالفقر، يجعله هدفا ساميا يجب أن تصل الأمة إليـــه، وقـــد وصلت.

هذه الأفكار كفيلة بقتل كل طموح وتنمية ليس عند الأمة الإسلامية فحسب، بل عند جميع الأمم فى الأرض، ولولا ذيوع هذه الأفكـــار فـــى المجتمع الإسلامى لظلت هذه الأمة قائدة، ورائدة كما بدأت.

والشيخ فى مواجهته للفكر الصوفى السلبى لم يكن قاسيا بـــالقدر الكافى لأنهم جعلوا من الفقر عقيدة وشريعة، ومنهاج حياة.

فكتاب اللمع[١] من المراجع الأساسية في علم التصوف ومعظم مراجـــع التصوف لا تخلو من هذه الأفكار، وتدعو إليها بإصرار.

ويمكن بطلان دعوى الصوفية فى اختيار الفقر طريقا للوصول إلى رضا الله تعالى بما يلى:

(أ) لو كان الفقر شعار الصالحين، ولباس المرسلين، لكان طلب الغنـــى نقصاً فى حق نبى الله تعالى سليمان، قال تعالى (وورث ســـليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ أن هذا لـــهو الفضل المبين (٢)

وقال تعالى (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعـــدى أنك أنت الوهاب). (٣)

١- أنظر أيضا فى ذلك الرسالة القشيرية.

٢- سورة النمل : ١٦.

٣- سورة ص : ٣٥.

واستجاب له الله تعالى: (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب).[١] هذا نبى الله تعالى سليمان يطلب من الله تعالى أعلى درجات الغنى والتمكين فى الدنيا - يبدو أنه لم يأخذ بنصائح الصوفية - فيعطيه الله تعالى ما طلبه، ولا ينقص ذلك من درجته عند الله تعالى شيئا، بل يؤكد الحق سبحانه وتعالى أنه سيعطيه فى الآخرة الزلفى وحسن المآب، وهذا يؤكد أن طلب الفقر فى الدنيا للوصول إلى الآخرة حرافة لا يقوم عليها دليل، لأن من عمى عن مصالح أمته فى الدنيا فسيحشر أعمى فى الآخرة وليس من الصالحين.

قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[٢]

وعن سليمان يقول الإمام ابن كثير: "المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظيمة أيضا فى الدنيا والآخرة، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه السلام فى الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله تعالى يوم القيامة أيضا فقال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أن فى الدنيا والآخرة. [٣]

١- سورة ص : ٣٦-٤٠.

٢- سورة الإسراء ٧١.

٣- تفسير القرآن العظيم ٣٩: ٣٠ دار المعرفة .

فى هذه الفقرة من تفسير ابن كثير ما يدحض حجة الصوفية فى اختيار الفقر والزهد طريقا للإيمان.

والحقيقة أن منهاج الصوفية قد وجد قبولا عند العامة، لأنه يريحهم من الكد والكدح، والفكر المستقبلى فى شئون الحياة، وأصبح هذا المذهب جزءا من فكر كثير من الناس حتى من غير الصوفية.

ومنهم بعض الدعاة، وظهر هذا الاتجاه السلبى فى وعظهم وفى دعوتهم على العموم، حتى أصبح بدرجات متقاربة منهاجا هاما فى فكر المسلمين على العموم.

ومن الإنصاف القول بأن بعض مشايخ الطرق الصوفية خاصة الدارسين مهم ينتهجون الآن نهجا مختلفا ويأمرون اتباعهم بالعمل والحصول على الرزق من مظانه الحلال إلا أنهم لا يصلون بالعمل الدينوى إلى درجة العبادة كما فعل الشيخ، وأن بقى اتجاههم الحديث محمودا، ويؤخذ عليه أنه اتجاه عند البعض ولم يسد فى كل الطرق حتى الآن.

وليس معنى هذا أننا نسلم بالمناهج الصوفية فى مجملها، لأن الصوفية لو دعت إلى العمل العمراني فستبقى عندهم مناحى عديدة تحتاج إلى تجديد وتحديد حتى تتطابق مع المنهاج الإسلامى العام.

وفى غمرة ما يكتنف الأخلاق من فساد على المستوى العالمى والمحلى، فيمكن للطرق الصوفية أن تؤدى دورا فى التربية وفى جمع

الشباب على البر والتقوى بشرط الالتزام التام بالكتاب والسنة والبعد عن كل المخالفات والشطحات التى اعتبرت كرامات فى أزمنة عديدة وأماكن عتيدة، وتوجيه الجماهير إلى العبادة الحقة والعمل العمراني المتقن فى آن واحد، لأن الوقت لا يسمح بالفرقة وعدو المسلمين لن يترك سنيا ولا سلفيا فى نهاية الأمر.

(ب) العمل العمراني فى الإسلام:

إن معرفة المكانة التى يتبواها العمل العمراني فى الإسلام هى أبلغ رد على أصحاب الفكر السلبى، وفكر الانسحاب، فكر دعاة الفقر والزهد من غير سبب راجح، وكما قال الشيخ: حاولوا العلاج ولكنهم قتلوا المريض بجرعات زائدة من العلاج، وسوف نعرض لموقف الإسلام من العمل العمراني فيما يلى:

(١) قصة نوح عليه السلام مع الطوفان:

دعا نبى الله تعالى نوح عليه السلام إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين عاما، وعبد الله تعالى فى هذه القرون حق العبادة، ولم يستجب له من قومه إلا قليل، وأخبره الله تعالى بأنه لن يؤمن من قومه أحد بعد ذلك، قال تعالى (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون). [١]

هود ٢٦

وهكذا انتهت الدعوة عمليا فى قوم نوح، وانتهى أمر إيمانهم، وأخبر الله تعالى نوحا بعد ذلك أنه سيدمر قومه بالطوفان وسأل نوح عليه السلام ربه النجاة له ولمن معه من المؤمنين، فأمره الله تعالى بأن يصنع الفلك لتحمله هو من معه، وظل نوح عليه السلام يصنعه الفلك سنوات طوالا، قيل: سبع سنوات، وقيل أكثر، لأنها كانت سفينة ضخمة، هيئت لحمل زوجين من كل المخلوقات الموجودة على ظهر الأرض، لقيام حياة أخرى فى مكان آخر، وبعض المفسرين يرى[1] أن طول السفينة كان ألفا وثلثمائة ذراع، ومنهم من يزيد على ذلك، ومنهم من ينقص، ويقتربون من الاتفاق على الجهد المبذول فى بناء السفينة "وأقبل نوح على عمل الفلك، وجعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يمرون به وهو فى ذلك من عمله، فيسخرون منه .. ويزعم أهل التوراة أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه طوله ثمانين ذراعا، وأن يجعله ثلاثة أطباق، سفلا، ووسطا، وعلوا. [2]

هذا النص القرآنى وتفسيره يثيران فى النفس أكثر من سؤال:

لماذا لم يعف نبى الله عليه السلام من هذا العمل الشاق، ولا سيما وأنه يصنع سفينة على الجبل وبين قوم يسخرون منه؟

---

[1]- انظر: ابن حسن الطبرى فى تفسيره مجلد ٧ جـ ١٢ ص ٤٦ ط دار الفكر ١٩٩٥م.

[2]- تفسير ابن جرير الطبرى مجلد ٧ جـ ١٢ ص ٤٨.

والجواب: أن نوحا لو تمت نجاته عن طريق الملائكة مثلا، أو المعجزة أو الكرامة التى انشغل بها المسلمون كان دور الخلافة المناط بنوح عليه السلاح، سوف يتقلص، ويتلاشى، كان نبيا عابدا، نعم، وكان رسولا مبلغا، نعم، ولكن كل هذا لا يعفيه من القيام بأعباء الخلافة، لأبد من قيامه بصناعة السفينة، فى ظروف قاسية ليصنع النجاة له، وللمؤمنين معه، ولذلك أمره الحق سبحانه وتعالى بصناعة السفينة، قال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا أنهم مغرقون) (١)

يقول الإمام ابن كثير : قال بعض السلف: أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه، فكان ذلك فى مائة سنة، ونجرها فى مائة سنة أخرى، وقيل فى أربعين سنة، والله أعلم.

وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراع فى عرض خمسين، وعن الحس طولها ستمائة ذراع، وعرضا ثلثمائة، وعنه مع ابن عباس: طولها ألف ومائتا ذراع، فى عرض ستمائة وقيل: طولها ألف ذراع وعرضها مائة ذراع فالله تعالى أعلم.

قالوا كلهم: وكان ارتفاعها فى السماء ثلاثين ذراعا، ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للأنس

---

(١) سورة هود ٣٧.

والعليا للطيور، وكان بابها فى عرضها، وله غطاء من فـــوق مطبــق عليها. [١]

ويلاحظ على هذه الفقرة من تفسير ابن كثير ما يلى:

١- اتفاق العلماء على طول مدة صناعة السفينة، فمنهم من قال مائة سنة ومنهم من قال أربعين سنة، أى أنها مدة طويلة فى كل الأحوال.

٢- أنها تطلبت عملا شاقا فى ظروف قاسية.

٣- أنها كانت كبيرة جدا ومكونة من ثلاث طوابق للدواب والوحـــوش، وللإنسان، وللطيور، وليس هناك خبر يقينى يحـدد بدقـة كـل هـذه المعلومات عن السفينة، باستثناء أخبار التوراة وهى لا تحتمل اليقيـن العلمى كما هو معروف.

ومع ذلك نلمح فى التوراة ما يدل على التزام نوح بنجـاة نفسـه ومن معه فإن كان هذا وحيا فيها ونعمت وإن لم يكن، فـهو فـهم جيـد لطبيعة الخلافة، خلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض، وإعمارهـا وحـل مشاكلها على هدى من الله تعالى.

جاءت قصة نوح عليه السلام فى التوراة ابتداء مـن الإصحـاح السادس من سفر التكوين: فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمـامى، لأن الأرض امتلأت ظلما منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر، تجعل الفلك ساكن وتطليه من داخل ومـن خـارج

---

[١]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/٤٤٤ ط دار المعرفة ١٩٦٩م.

بالقار .. فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما فى الأرض يموت، ولكن أقيم - انفذ - عهدى فتدخل الفلك أنت وبنوك، وامراتك ونساء بنيك معك، ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين. [١]

فى هذا النص بعض المعلومات عن الطوفان وصناعة السفينة ولكن أهم ما فيه قوله: كل من فى الأرض يموت ولكن أقيم عهدى معك أى أن نوحا كلف بإنقاذ نفسه ومن معه، وأن الله تعالى تضمن له النجاة إذا قام بصناعة الفلك بحجمها وظروفها والجو الذى صنعت فيه، وأن نوحا لو ادعى التوكل وترك الأمور من غير عمل شاق وتنظيم دقيق فإن مصير من معه من المؤمنين كان سيلحق بمصير أولئك الذين دمرهم الطوفان، والجدير بالذكر أن نوحا لم يطلب من ربه طريقا آخر للنجاة غير طريق العمل الشاق المضنى الذى استغرق عشرات السنين.

٤- ثبت بالقرآن الكريم أن هذه السفينة كنت فى غاية القوة، فالحق تعالى يصفها فى خضم الطوفان بقوله: (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال..)[٢] ومن المعلوم أن السفن الكبيرة التى صنعها الإنسان فى العصر الحديث لا تستطيع السير فى البحار إلا فى ظل حد أقصى لارتفاع الأمواج، وتغلق الموانى فى وجه السفن إذا وصل ارتفاع الموج أكثر من ستة أمتار ويطلق على هذه الحالة العاصفة، فكيف

١- التوراة العبرانية: سفر التكوين اصحاح ٦ ص ١١ ط دار الكتاب المقدس.

٢- سورة هود: ٤٢.

تحطت هذه السفينة موجا كالجبال، أى ارتفاعه مثلا ألـــف، أو ألفـا متر، لأبد أنها كانت قوية ومتينة ومتقنة وتستحق السنوات التى حددهـا العلماء - مائة سنة - أربعين سنة - لأن الواقع العلمى للسـفينة يثبـت ذلك ويزيد عليه، (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ..) الموج جمـع موجة، وهى ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح.. وجـاء فى التفسير: أن الماء جاوز كل شئ بخمسة عشر ذراع). [١] ارتفـاع خمسة عشر ذراعا وقيل : ثمانين ميلا. [٢]

ويقول الإمام أبو السعود: (فى موج كالجبال) هو ما ارتفـع مـن الماء عند اضطرابه كل موجه من ذلك كجبل فى ارتفاعها وتراكمها. [٣]

ونخلص من هذا إلى أن سفينة نوح عليه السلام كان يتوافر لـــها كبر الحجم، والمتانة، والقوة، وأن كل هذا قد حدث نتيجة لقيام نوح عليـه السلام، بعمل شاق ومضن، استغرق فى أكثر الروايات تواضعا - أربعين سنة وفى ظروف سبقت الإشارة إليها.

نستخلص مما تقدم أن عبادة نوح عليه السلام تسعمائة وخمســين عاما، ودعوته إلى الله تعالى فى هذه السنوات، وقيامه بأعبــاء الرســالة والتبليغ، كل ذلك لم يشفع له فى ترك أعباء الخلافة - خلافة الله تعــالى فى الأرض - وتوقفت نجاته ومن معه على جهدهم وعرقــهم وعملــهم

---

[١] - الإمام القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٣٨/٩ ط دار أحياء التراث العربى ١٩٨٥.

[٢] - ابن كثير ٤٤٦/٣.

[٣] - الإمام أبو السعود ٣٤/٣ ط دار الفكر.

الشاق، فالعبادة لا تغنى عن الخلافة - العمل العمرانى - وكذلك النجـاح فى الخلافة لا يغنى عن العبادة، ولأبد من نجاح المسـلم فـى العبـادة والخلافة على السواء، وهذا هو جوهر دعوة الشيخ - يرحمه الله تعـالى - وقد ثبت ذلك فى معظم كتبه، وركز عليه فى أحاديثه ومحاضراته، وظل يدعو إلى هذا المنهاج - النجاح فى الدنيا والآخرة - حتى لقى ربه سبحانه وتعالى.

(ب) قصة مريم عليها السلام:

نذرت امرأة عمران ما فى بطنـها لله تعـالى، وكـانت تتمنـى أن يكون ذكرا، ولكنها جاءت أنثى وعاشـت مريـم عـابدة طـاهرة، وقال الله تعالى فيها (وإذ قالت الملائكـة يـا مريـم إن الله اصطفـاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)[١]، فـهذه منزلـة لـم تصـل إليها امرأة قط عبر تاريخ البشـرية الطويـل.

وقد اختار الله تعالى مريم لتحمل معجـزة أن يولـد لـها غـلام من غير أب له، وقد تعجبت من هذا، قال تعـالى (قـالت أنـى يكـون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا. قال كذلـك قـال ربـك هـو على هين ولنجعله آيه للناس ورحمة منـا وكـان أمـرا مقضيـا)[٢]، ولم تجد مريم مفرا من التسـليم لأمـر الله تعـالى وقضائـه، وتمـت المعجزة وحملت مريم من غير زوج، ولكن هـل يفـهم عامـة النـاس

---

١ - آل عمران : ٤٢.

٢ - سورة مريم : ٢٠، ٢١.

ذلك، ويسلمون كما سلمت مريم واستسلمت، لقد عانت مريم كثيرا من هذا الحمل، وتعذبت عذابا معنويا لا حدود له.

يقول الإمام ابن كثير: فلما حملت ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به.[١]

ومضت مريم تعانى متاعب الحمل، وآلام اتهام الناس لها بالباطل، حتى جاء وقت المخاض، وعانت فيه من ألم مزدوج، فالآم المخاض أليمة واشد منها ألما مواجهة الناس بطفل ينكرونه، ويرفضونه، ويرفضون وجوده قبل أن يأتى إلى عالمهم، ووضعت وهى فى هذه الحالة النفسية والجسدية السيئة حتى هتفت (.. قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)[٢] وهى فى هذه الظروف القاسية وضعت عيسى عليه السلام، وشعرت بعد وضعه بالجوع، وهذا أمر طبيعى لفراغ بطنها من الجنين، فمن يأتيها بالطعام؟ أنها قريبة عهد بالتعامل مع الملائكة فهم الذين أخبروها بخبر وليدها، فأين هم الآن (فناداها من تحتها ألا تخزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا).[٣]

---

١ - ابن كثير ١٦٦/٣.

٢ - مريم : ١٣.

٣ - مريم : ٢٤، ٢٥.

إذن مع كل هذه الآلام والمشاق، وكل هذا لأبد أن تقوم بعمل ما لكى تأكل.[1]

لقد امتلأت كتب الصوفية بصور من توفير الطعام للناس من غير عمل،فهذا يأكل حينما يدخل إلى مكان مظلم، وهذا يأكل هو وأهله إذا وضع غطاء فوق إناء، وطلب منه أن يملأ بالطعام، ومنهم من وجد عند الطعام الكثير، ولم يستطع أن يحدد من أن جاءه قصص كثيرة أختزلت حضارة الأمة وحولتها إلى خرافات ، فهذه الطاهرة المصطفاة على نساء العالمين بنص القرآن الكريم، تتحمل معجزة تعجز عن تحملها الجبال، وتتهم بسبب هذه المعجزة فى عرضها وشرفها، وعندما تجوع لا تأكل إلا من عمل يدها، هذا هو منطق القرآن الكريم الواضح لكل ذى عقل ودين.

---

[1] - من المفارقات العجيبة أن مريم عليها السلام، وهى صغيرة كانت تعيش فى المحراب لخدمة بيت الرب، وكان الطعام يأتيها من غير عمل وجهد منها، لأنها كانت ضعيفة لا تقوى على الكسب، وكان نبى الله زكريا عليه السلام، يدخل عليها ويتعجب من وجود هذه الأنواع المختلفة من الطعام. يقول الله تعالى فى ذلك (فتقبلها ربها بقول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكلفها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها زرقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) آل عمران: ٣٧.

فمع الضعف والصغر يكون الرزق بغير حساب، وهذا يحدث لكل أطفال العالم عن طريق آبائهم، ولكن مريم امتازت عن الجميع بالأنواع المختلفة مثل فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف وأنواع أخرى كثيرة من الطعام.

وهذا ما تعجب منه زكريا عليه السلام،

ونستخلص من هذا أن الله تعالى تكفل برزق البشر جميعا، فالضعيف والمريض والصغير يحصل على الرزق من غير جهد، وبغير حساب، أما القوى القادر على تحصيل الرزق فلا يصل إليه الرزق إلا إذا بذل جهدا للحصول عليه.

وهذا هو ما يدعو إليه الشيخ بأساليب مختلفة.

(جـ) قصة نبى الله تعالى داود عليه السلام

استطاع نبى الله تعالى داود عليه السلام أن يصل إلى حكم بنى إسرائيل بعد هزيمته لجالوت، وأصبح ملكا على بنى إسرائيل، ولم تمنعه النبوة والملك ، من تأسيس دولة من أقوى الدول فى وقتها، وشارك هو فى بناء هذه الدولة، بما قدم من مساهمة فى صناعة الحديد، وهى الصناعة التى تقوم عليها حضارة الدولة وقوتها.

قال تعالى **(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)**[١] وعن قوة الدولة تحت حكمه يقول الله تعالى (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب).[٢]

وظل سيدنا داود عليه السلام يحكم ويعمل ويخترع، حتى أصبحت الدولة فى غاية القوة، فبدأ يزيد من عباداته التطوعية، حتى استغرقه ذكر الله تعالى، فلم يشعر إلا والخصوم أمامه يسألونه فى مسألة فسمع من أحدهم، ولم يسمع من الآخر، فعوتب فى ذلك، فاستغفر وتاب وأناب إلى الله تعالى، وأدرك أن انشغاله بالعبادة التطوعية عن العمل العمراني هو سبب ما حدث له، فعاد إلى الحكم الجيد والعمل الجيد، والعبادة الجيدة، وظل على ذلك فترة من الزمن، ثم غلبه حنين العبادة والذكر، والانقطاع إلى الله

---

١ - سورة الأنبياء : ٨٠.

٢ - سورة ص : ٢٠.

تعالى، وكان ذلك إيذانا بنهاية حكمه، فقد عرضت عليه مشكلة تحتاج فى حلها إلى ترو ودراسة، ولكنه تعجل فى حلها- حتى يفرغ إلى ذكر الله تعالى - وكانت المشكلة مشكلة الغنم التى اعتدت على الحرث، قال تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان ..) [١] أى أنه كانت هناك مشكلة - قضية قضى فيها داود ولكنه لم يوفق وقضى فيها سليمان فوفقه الله تعالى، وذلك لكى يترك داود الحكم ويتفرغ لعبادته التى يريدها، ويقوم سليمان بأعباء الحكم وخلافة الله تعالى فى الأرض، ولم يشفع لداود أنه كان نبيا، وأنه أقام حضارة الدولة بسواعده من خلال صناعة الحديد، لم يشفع له كل ذلك ، حين أهمل فى العمل العمراني غير أو أقيل بالتعبير المعاصر إن العمل الدنيوى له قداسة العبادة فى الإسلام طالما أنه لم يؤثر على العبادة أو يؤخرها.

وترك داود سلطان الحكم لابنه سليمان حين أثبت أنه هو الجدير به، وعاد داود إلى ذكر الله تعالى بصوته الجميل وأناشيده المباركة وتلمح فى القرآن الكريم أنه يكرم وهو يترك الحكم، قال تعالى: (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين).

---

١ - سورة الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩.

والقصة التى تسببت فى ترك داود للعرش هى قصة أصحاب غنم نفشت فى حقل آخرين فأفسدته، فحكم داود بالتعويض، وهو: أن يأخذ أصحاب الأرض أغناما يساوى ثمنها الخسارة التى لحقت بحقلهم، وعند عمل حصر لهذه الخسارة وجد أنها تستغرق جميع الأغنام، فحكم داود عليه السلام، بأن يقوم أصحاب الأغنام بتسليم أغنامهم لأصحاب الحقل، ويخسرون المهنة التى عاشوا بها ولها العمر كله، ويتحولون إلى متسولين غير منتجين.

وعندما صرخ أصحاب الغنم من قسوة الحكم سمعهم نبى الله تعالى سليمان عليه السلام وكان صغيرا، ولما سألهم عن حالهم وأخبروه ، طلب اليهم أن يخبروا والده داود بأنهم يرتضون حكم سليمان فى هذه القضية، وعندما جلس سليمان على كرسى الملك أوقف الخصوم أمامه وسمع قصتهم فى حضورهم جميعا وانتهى إلى الحكم التالى فى هذه القضية، فقال: يا أصحاب الغنم تأخذون الحديقة لمدة عام تتعاهدونها وتقومون عليها وتأكلون من فضلها وتسلمونها لنا سليمة من أى أذى فى العام القادم.

ويا أصحاب الحديقة تأخذون الغنم فترعون بها وتحافظون عليها وتأكلون من أولادها وألبانها وأصوافها، وتسلمونها لنا عددا فى العام القادم من غير نقص، ففرح الطرفان وهللوا وكبروا وخرجوا من عنده متحابين وعندما رأى ذلك نبى الله تعالى داود

عليه السلام، أدرك أن الحكم اسـند إلى ابنه سليمان بتوفيق الله تعالى.

ويلاحظ على حكم سليمان أنه أعاد الحياة والنشاط إلى الفريقين، وتعلم كل فريق صنعة جديدة غير الحرفة التى أتقنها طوال عمره، وشعر أصحاب الغنم بقسوة الزراعة ووجوب الحرص عليها وعدم إتلافها ، وشعر أصحاب الحديقة بقسوة رعى الغنم ومتابعة شاردها وواردها، وعذر كل فريق الفريق الثانى، وعند الأجل المحدد سلم كل عهدته، وعادوا أخوة متحابين.

وعن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرعاء معهم الكلاب، فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم، فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا، فأخبر بذلك داود فدعاه، فقال: كيف تقضى بينهم، قال: أدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها، وسلاؤها، ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذى كان عليه، أخذه أصحاب الحرث، وردوا الغنم إلى أصحابها. [1]

ونخرج من رواية ابن كثير هذه، ومما سبق أن إتقان عمل الدنيا يتوقف عليه ملكها، ويفسر لنا هذا أن الغرب الصليبى حين

---

[1] - تفسير ابن كثير ١٨٦/٣.

أتقن عمل الدنيا سيطر عليــها، وأن المســلمين حيــن نظــروا للدنيــا باستخفاف واحتقار خسروها وانزووا فيها بعد حكـــم واتســاع.

غير أن داود عليه السلام ترك الحكـــم لأبنــه ســليمان لمزيــد من القوة للدولة وتفرغ هو لذكره وحبه وشتان مــا بيــن النموذجيــن.

(د) قصة سليمان عليه الســـلام:

تسلم نبى الله سليمان الحكـــم مــن والــده داود عليــه الســلام، فوجد أمور الدولة منضبطة، والحياة مزدهـــرة، ولكنــه كــان يطمــح إلى تقدم أكثر وعلم أغزر، ونظام أحكـــم، ووجــد أن لديــه مشــكلات لا يمكن تجاوزها بالطرق العادية منـــها مشــكلة المواصــلات والتـــى تعتمد على وسائل العصر المتاحة وبســـرعة معينـــة، ومنـــها مشـــكلة استخراج المعادن من الأرض ودراسة آفـــاق الســماء، ولذلــك ســأل الله تعالى أن يسخر له الريح تجـــرى بــأمره رخــاء حيــث أصـــاب، لكى يختصر الوقت ويزيد السرعة فى الانتقـــالات، وســـأل الله تعـــالى أن يسخر له الجن يأمرهم بالغوص والبنـــاء وصناعـــة الأشـــياء التـــى لم يتوصل إلى تصنيعـــها الإنســـان فـــى هـــذا الوقـــت، قـــال تعـــالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصـــــاب والشـــياطين كـــل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفـــــاد، هـــذا عطاؤنـــا فـــامنن أو أمسك بغير حســـاب).[١]

---

١ - سورة ص : ٣٦-٣٩.

وهكذا بدأت حضارة أخرى أقوى وأسرع فى ظل حكم سليمان عليه السلام.

وقد فطن نبى الله تعالى سليمان إلى قيمة الوقت فى حياة الإنسان، فحرك الريح لاختصار الوقت، وفطن إلى قيمة العمل فى حياة الناس، فأضاف جهد الجن إلى جهد الإنسان، ولتكثيف القوة المنتجة لصالح الإنسان. وظل نبى الله تعالى سليمان يعمل فى إعمار الأرض وتحقيق الخلافة بجهده وجهد شعبه، والجهود المضافة عن طريق الريح والجن، ظل يعمل حتى وافته المنية وانتهى عمره، ولكنه كان فى موقع العمل خلف العاملين، ولا يزال فى المشروع المنفذ بعض الأعمال التى تحتاج إلى بعض الوقت، فاستبقاه الله تعالى واقفا كما هو، حتى أنتهى العمل، ولم لا وسليمان هو الذى أراد تطوير الحياة بأسرع من وسائلها المتاحة، فلابد أن يبقى فى موقع العمل حتى بعد موته، ليضاف عمر منتج إلى عمره، ويكون سليمان عليه السلام قد ضرب المثل فى استغلال الوقت، وتسخيره فى الإنتاج، فلما انتهى أجله، أضاف الله إليه أجلا منتجا وهو ميت حتى يضيف شيئا إلى الحياة من خارج الحياة قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين). [١]

---

١ - سورة سبأ ١٤

فهل بعد هذا العطاء القرآنى لتطوير الحياة، وإقامة مشروع الله تعالى فيها، يقول بعض الناس: إن ترك العمل والإنتاج ورع ودين ! والحقيقة أن الدين الإسلامى فى مصادره القرآن والسنة يأمر بالعمل العمرانى ويحض عليه، ولكن ترك العمل والتكاسل، والتخاذل كله فكر بشرى عادى حسبه بعض الناس دينا.

(هـ) نبى الله تعالى موسى عليه السلام:

خرج موسى عليه السلام من مصر هاربا من أهلها، بعد أن قتل المصرى، وهو يمنعه من قتل اليهودى، وظل يهيم على وجهه حتى وصل إلى مدين، ووجد الرعاء يجتمعون على الماء، ويسقون وكل منهم يدفع ماشيته للأمام، ولكنه رأى امرأتين تمنعان ماشيتهما من الماء، فسألهما فأخبرتاه، أنهما تفعلان ذلك حتى يذهب الرعاء، ويصبح الجو مناسبا لهما، فسقا لهما وتجاوز الرعاء ، ثم انصرف إلى شجرة يستريح ، وعلم والد البنتين بما حدث من موسى فأرسل إليه، وتعرف عليه وكان رجلا صالحا، وطلب منه أن يزوجه إحدى ابنتيه، فى مقابل أن يعمل عنده ثمانى سنوات، أو عشر سنوات، وسواء كانت المدة التى قضاها موسى هى ثمانى سنوات أو عشر سنوات، فالملاحظ أنه لم يحصل على الزواج والإقامة، وهو نبى مرسل، ومصطفى ومجتبى من الله تعالى إلا بالعمل والعمل الشاق لمدة طويلة، فلماذا لم يكن زواجه

وإقامته بطريق الكرامة، التى تتجاوز نـــاموس الحيـــاة، وتحبـــط كـــل جهد إنسانى فيها؟ هـــذا لأن الإنســـان خليفـــة لله تعـــالى فـــى أعمـــار الأرض، وسبيله إلى ذلك العمل الإنســـانى، والرســـل عليـــهم الســـلام هم قادة الناس، وهم المثل العليا للبشر، فلأبـــد أن يكونـــوا مثـــلا فـــى العمل والجهد المبذول. قال تعالى (قال إنـــى أريـــد أن أنكحـــك إحـــدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فـــإن أتممـــت عشـــرا فمـــن عنـــدك ومـــا أريـــد أن أشـــق عليـــك ســـتجدنى إن شـــاء الله مـــن الصـــالحين). [1]

هذا الحض على العمـــل العمرانـــي[2] فـــى القـــرآن الكريـــم لا يمكن حصره فى بحث كهذا ، وحســـبنا الإشـــارة إليـــه، حتـــى تثبـــت صحة ما ذهب إليه الشـــيخ.

٣- الدعوة للفقر والزهد بين الفقراء توطيـــد للظلـــم:

يرى الشـــيخ أن الدعـــوة للفقـــر وحـــب الفقـــر والزهـــد بيـــن الشعوب الإسلامية الفقيرة توطيـــد للظلـــم فـــى بـــلاد المســـلمين ومـــا ذهب إليه الشيخ فى هذه النظرية أو المذهب، هـــو مـــن الأمـــور التـــى شغلت أذهان العلماء فى الغرب والشرق، خاصـــة علمـــاء الاقتصـــاد، لأنهم يعتبرون رجل الدين - إذا توقفـــت دعوتـــه عنـــد طلـــب الزهـــد والصبر من الفقراء- يعتبرونه حجر عـــثرة فـــى ســـبيل تقـــدم الأمـــة

---

[1] - سورة القصص: ٢٧.

[2] - أنظر : كتاب دراسة عن العمل العمراني في القرآن الكريم للمؤلف.

ورخائها، بل يعتبرونـــه مـــن العـــاملين الموطئيـــن للظلـــم، بدعوتـــه للناس بقبول واقع لا عدل فيـــه ، ولا قســـط.

ومن المؤكد أن بعـــض الدعـــاة يمـــارس هـــذا العمـــل بـــبراءة وطهر، ولكنه يتفق مع البعض الآخـــر الـــذى يحـــترف هـــذا العمـــل مقابل مال أو توجيه يتفق معـــــه فـــى النتيجـــة وإن اختلـــف الغـــرض والهدف عند كليهما وهذا بالنسبة للدعاة فى كـــل مكـــان فـــى العـــالم، ولكل الأديان، وربما وجدت بعـــض الإشـــارات فـــى بعـــض الأديـــان للدعوة إلى الانسلاخ من الحياة والزهـــد فيـــها، ولكـــن الإســـلام: (قـــد استهدف من التعليم تكوين النفس المسلمة، والعقـــل المســـلم، وتحريـــر هذه النفس وهذا العقل من كل العوائـــق التـــى تحـــول بيـــن المســـلمين وبين السعادة والتمكين فـــــى الأرض).[1]

ولذلك فالإسلام يدعـــو إلـــى العـــدل وإلـــى المســـاواة، وإلـــى حصول كل إنسان على حقه فى مقـــابل جـــهده، والإســـلام مـــن هـــذه الناحية يطور الحياة ويسمو بالإنسان، واعتبار الإســـلام عائقـــا أو بـــه عوائق للتقدم، دعوى لا تقوم علـــى بينـــة ، ولا ينـــهض بـــها دليـــل، والدعوة إلى الفقر والزهد والرضا بـــالظلم هـــى دعـــوة غريبـــة علـــى الإسلام، ولا تمت إليه بصلة، وإذا مـــارس بعـــض الدعـــاة المســـلمين هو الدعوة ، فإنهم يمارسونها بفكر الغير، ولحســـاب الغـــير، وســـواء علموا ذلك أم جهلوه، أما دعاة بعض الأديـــان فإنـــهم كـــانوا يطلبـــون

---

[1] - أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ص ٣٥ ط دار الاعتصام ١٩٨١.

ممن ضرب على خده الأيمـــن، أن يحـــول لضاربـــه الخـــد الأيســـر، لكى يضربه مرة أخرى، ونسبوا فقر الناس، وما حل بـــــهم مـــن ظلـــم إلى الله تعـــالى، وطلبـــوا مباركـــة اللاعنيـــن، والصـــلاة مـــن أجـــل الجلادين، وهذا ما أثار بعض العلماء، وجعلـــهم يتـــهمون الديـــن - أى دين- بأنه عائق للتطور ومانع منه، إن علمانية مـــاركس وهـــى التـــى تتمثل فى المادية التاريخيـــة الإلحاديـــة، هـــى: هـــدم الديـــن كمقدمـــة ضرورية، لقيام عالم يكون فيه الإنسان ســـيد نفســـه، وتنتـــهى ســـيادة الإنسان إلى سيادة المجتمع والدولة، ووضعهما بالنســـبة للأفـــراد هـــو وضع المعبود الخالق من الأفـــراد المخلوقيـــن.[١]

وهكذا انتهى تقديم الدين للناس - فى الغـــرب - بصـــورة غـــير حقيقية إلى تدهـــور أحـــوال معتنقـــى هـــذا الديـــن، وثـــورة العلمـــاء والمفكرين على الدين نفسه حتى قال كـــارل مـــاركس فـــى يـــوم مـــن الأيام: الدين أفيون الشعوب ولـــم يقـــل ذلـــك إلا لأنـــه رأى أن الديـــن يســـتخدم للتوطئـــة للظلـــم ولزيـــادة أربـــاح الإقطـــاع والرأســـمالية الصناعية على حساب الطبقات الكادحـــة التـــى آمنـــت بتحويـــل الخـــد للضارب، والصلاة من أجل الجـــلاد اللاعـــن.

ومن المؤكد أن دعوة بعض الدعـــاة المســـلمين مـــن الصوفيـــة وغيرهم، إلى حب الفقر والزهد، ونبذ الدنيـــا، والانســـلاخ منـــها، مـــن المؤكد أن خطر هذه الدعوة لم يقف عند ترضيـــــة الجمـــاهير بـــالفقر،

---

[١]- د. محمد البهى. الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص ٣١ ط مكتبة وهبة ١٩٧٨م.

وترك الأغنياء الأقوياء يكنزون ما شاؤا من مال، وحسبهم أنهم من أهل الدنيا وكفى بهذه سبة لهم ولعنة، فليتنعموا كما يشاءون، وليبق الفقير العامل المنتج يسرق جهده ويختزل رزقه لصالح هؤلاء الأغنياء فى داخل البلاد الإسلامية، ولم يقف خطر هذه الدعوة عند هذا الحد كما سبق، بل تعداه إلى خارج البلاد الإسلامية، فالبلاد الصناعية تنتج من كل شئ كميات وفيرة، ويهمها توزيعها داخل البلاد الإسلامية لاستبدالها بالموارد الطبيعية داخل هذه البلاد، وأشد ما يقلق البلاد الصناعية - الغرب الصليبى وخلفاؤه - هو وجود إنتاج فى البلاد الإسلامية، يمنعها من الاستيراد من هذه البلاد تماما، أو تقليل هذا الاستيراد، بقدر الإمكان، وتقوم حروب خفية فى هذا المجال، لعلها أشد من الحروب العسكرية ، وأكثر خطرا لأن الهزيمة فى الحروب العسكرية، يمكن التغلب عليها وتحويلها إلى نصر فيما بعد، وضحاياها أعداد محدودة من البشر، أما الهزيمة فى ميدان الاقتصاد فيصعب التغلب عليها، وضحاياها هم كل أفراد الدولة المسلمة، وفى سيطرة الاقتصاد الغربى على كل بلاد المسلمين، يكون الضحايا هم كل أفراد الأمة الإسلامية الغنى منهم والفقير على السواء.

وفى الدول الاستعمارية تقوم مؤسسات لوضع الخطط الخاصة بالحروب الاقتصادية، ولهم كثير من الوسائل، وعديد من

الأساليب، إلا أنه من أخطر الأسلحة فى هـذه الحـرب هـو السـلاح المحلـى - الداخلـى فوجـود دعـاة يصعـدون المنـابر ويطـالبون الجماهير بترك الدنيا والزهد فيـها ونبذهـا، ويكـثرون مـن الأدلـة على ذلك، وجود هؤلاء الدعاة ييسـر مهمـة الاسـتعمار الاقتصـادى فى بلاد المسلمين، ويجعل العاملين المنتجيـن فـى البـلاد الإسـلامية ينظرون إلى عملهم نظرة اسـتخفاف، وإذا عملـوا لا يلـتزمون الدقـة ولا يحاولون ذلك، وهذا ما يفسر لنا وجود إنتـاج فـى بعـض البـلاد الإسلامية، يوزع محليـا، ولكنـه لا يرقـى إلـى العالميـة، أى إلـى التصدير إلى بلاد العالم المختلفـة.

ولقد ألحت على فكـرة جيـدة وهـى: لمـاذا لا يقـوم الدعـاة الذين يصرفـون النـاس عـن الدنيـا، برفـع دعـوى ضـد الـدول الصناعية الكبرى، للحصول علـى حقـهم- عمولتـهم - فـى توزيـع السلع المنتجة فـى البـلاد الصناعيـة داخـل البـلاد الإسـلامية، لأن مساهمتهم فى نشر هذه السلع وتوزيعـها أمـر واقـع لا يحتـاج إلـى كثير من الأدلة، وسيجدون - إن أحسـنوا التخطيـط لـهذه الدعـوى - اعترافا عالميا بعلمهم وعملهم فى هـذا الشـأن ويكونـون بذلـك قـد حصلوا على شئ من الدنيا التى زهدوا الناس فيـها، بمـا ألقـوه علـى سمعهم من مواعـظ، وحكايـات، لأن سـؤال الدعـاة فـى الآخـرة، سيكون عن جهدهم فى دعوة الناس إلـى التفـوق فـى الديـن والدنيـا على السـواء.

ملاحظـات:

أولا: أن ما سبق من سطور لا يشمل جميـع الدعـاة إلـى الله تعـالى لأن منهم مـن يدعـو إلـى الله تعـالى علـى بصـيرة، ويحـاول النهوض بأمته، وتبصيرها بدينـها ودنياهـا، وهـؤلاء لـهم جـهد مشكور فى إبقاء الحيـاة فـى الجسـد الإسـلامى حتـى يـأتى الله تعالى بـالفتح أو أمـر مـن عنـده، إلا أن هـؤلاء عددهـم قليـل وتضيع أصواتهم أحيانا فى الزحـام:

ثانيا: أن كل ما جاء عن الدعوة للزهد فى الدنيا فـى القـرآن الكريـم والسنة الشريفة، فإنه جاء لعلاج بعـض الأمـراض النفسـية عنـد بعض الناس، ولم يأت لاختزال مستقبل الأمـة الإسـلامية، فمثـلا: قارون أعطاه الله تعالى فـاغتر بالعطـاء فكـان وعظـه بـالزهد مطلوبا، وصاحب الجنتين فى سـورة الكـهف، أعطـاه الله فـاغتر بالعطاء حتى كفر بالله تعالى، فوعظه صديقـه وطلـب منـه عـدم الاغترار بالدنيا، لأنـها لا تـدوم وهكـذا يمكـن توجيـه النصـح والموعظة للمغترين بالدنيا فى كـل زمـان وكـان، أمـا مطالبـة الجماهير فى المساجد الجامعة بهذا، فهو دواء اشـد مـن المـرض الذى صرف له بكثـير.

ثالثا: عاش المسلمون فى العصر الأول والعصـور التـى تلتـه وهـم يحفظون القـرآن الكريـم، ويفهمونـه، ويحـافظون علـى السـنة الشريفة ويتعقلونها، وكانوا لا يجدون فى القـرآن الكريـم والسـنة

الشريفة ما يمنعهم عن تكوين الأمة وبناء الدولة، والانطلاق بقوة فى كل مجالات الحياة، حتى سادوا وقادوا وسيطروا ونشروا نور الله تعالى فى كل مكان، بل كانوا يجدون فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يدفعهم للعمل وبذل الجهد بأقصى طاقة لإعمار الحياة، فالقرآن الكريم يأمرهم بالانصراف من المساجد بعد قضاء الصلادة مباشرة، ودون تأخير لكى يستأنفوا عملهم الدنيوى لأعمار الأرض وإقامة الخلافة، قال تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون[١])..

وفى السنة الشريفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل فله بذلك أجر" [٢]

هل بعد كلام الله تعالى وسنة رسوله من كلام؟

لا شك أننا إذا أردنا أن ننهض بأمر الدين والدنيا، فيجب علينا أن نعود إلى عصر النبوة والصحابة والتابعين، حتى نستطيع أن نحدد لنا مكانا بين الأمم المتقدمة، كما نحصل به على القيادة والريادة التى كانت لنا يوماً من الأيام.

---

١ - سورة الجمعة : ١٠.

٢ - رواه البخارى فى الأدب المفرد ورواه أحمد فى مسنده ٩/٣ ط : دار الفكر بيروت.

الباب الثالث

قضيـــة المـــرأة

(الباب الثالث: قضية المرأة)

الفصل الأول: الوضع العام

يتلخص فكر الشيخ محمد الغزالي بالنسبة للمرأة المسلمة في الفقرات التالية والتي تعتبر تقدمة لقضية المرأة عنده، وهو يبدأ الموضوع بهذا السؤال: أنني أسأل أولا: هل عوملت المرأة في العالم الإسلامي وفق تعاليم الإسلام؟

ويجيب ما أظن ذلك وقع إلا لماما..

إن الحاكم في مستدركه روى حديثا موضوعا حكم العالم الإسلامي[1] أكثر من ألف عام، يقول هذا الحديث: "لا تعلموا النساء الكتابة ولا تسكنوهن الغرف"، أي إذا كان البيت مكونا من طبقات، لم يجز إسكان النساء في الطبقات العليا، حبسهن ظهر الأرض أو تحتها أن أمكن..

وتطبيقا لهذا الحديث المكذوب، لم تفتح مدرسة لتعليم البنات في قرية أو مدينة خلال القرون الماضية، وأصبح تثقيف النساء من الفضول، بل من المناكر المحظورة..

وروى عبد الله بن عمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] - المقصود حكم فكر العالم الإسلامي.

"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" (١)

وفى رواية أخرى، ائذنوا للنساء بـــالليل إلـــى المســـاجد "فقـــال ابنه معترضا التوجيـــه النبـــوى ، إذن يتخذنـــه دغـــلا، - أى مـــهربا لاقتراف المفاسد - والله لنمنعهن، فركز عبـــد الله ابنـــه فـــى صـــدره، وأشتد عليه غضبـــه، وقـــال أقـــول قـــال رســـول الله، ويقـــول: لا .. وقاطعه إلى آخر حياتـــه.

والغريب أن العالم الإسلامى لم يكـــترث لروايـــة ابـــن عمـــر - على صحتها وتبع رأى ابنـــه. (٢)

وبعد جهاد سنين طويلة للسماح بصـــلاة المـــرأة فـــى المســـجد، أمكن فتح ١٠% من بيوت الله لاماء الله، أمـــا الكـــثرة الســـاحقة مـــن مساجد القرى والمدن فهيهات أن يدخلـــها النســـاء ..

وفى الريف كان أغلـــب النســـاء يفقـــدن ميراثـــهن الشـــرعى، فتقسم الأرض على الذكور وحدهم، ويقـــول الأخـــوة الذيـــن اجتـــاحوا

---

١ - صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر كتاب الجمعة ٧/٢ ط دار الفكر بدون وعن ابن عمر عن النبى صلـــى الله عليه وسلم قال: "إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن" صحيح كتـــاب الآذان أن بـــاب خـــروج النساء إلى المساجد باليل ٣٤٧/٢.

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كانت امرأة لعمر تشيد صلاة الصبح والعشاء فى الجماعة فقيل لها لما تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار، قالت ما يمنعه أن ينهانى؟ قال يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله".

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم "ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد" صحيح البخارى كتاب الجمعة باب : هلى على من يشهد الجمعة غسل" ٣٨١/٢ ، ٣٨٢ ط المكتبة السلفية.

٢ - تم تغيير اللفظ لأنه لا يناسب الصحابى المذكور المؤلف.

الأرض: كيف نترك غريبا ينزل بأرض أبينا؟ ويعنون بالغريب زوج أختهم، فإذا حدث أن طالبت الأخت بميراثها الشرعى قاطعها إخوانها إلى الأبد.

والأسر الشريفة لها تقليد عجيب - أعنى الأسر التى تدعى الانتساب إلى البيت النبوى - فالمرأة تموت عانسا بائسة إذا لم يطلبها الكفء من الأشراف، أما الرجل فله حق الزواج من الإنكليز والأمريكان.

ويظهر أن بنات العم سام أو العم جون، لهن شرف يضارع شرفه، أما النساء اللاتى نكبن بالدم الشريف، فلا كفء لهن على المدى البعيد إلا الموت.

وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم، فنسقى القوم، ونخدمهم، وترد الجرحى والقتلى إلى المدينة. [١]

ويبدو أن هذا التقليد كان قصير العمر جدا، فاستخفى فى أيام الحرب والسلم على السواء .. وإذا كان النساء قد منعن المساجد، أفكان يؤذون لهن بالذهاب إلى ميادين القتال؟ .. أريد إعمال النصوص المكتوبة، أو المفهومة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلفه الأول..

[١] - أخرجه البخارى كتاب الجهاد باب رد النساء الجرحى والقتلى ٨٠/٦ المكتبة السفلية.

لقد رأيت فى قضية المرأة أحاديث موضوعة، وأحاديث واهية صححها الغرض المدخول، وأحاديث صحيحة حرفت عن موضعها.

واستغربت وأنا أقرأ الفقهاء أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام، أو المسجد النبوى..

وقلت لو كان الأمر كذلك فلم أشرف الرسول صلى الله عليه وسلم على تنظيم صفوفهن فى مسجده؟ ولم جعل لهن بابا خاصا بهن، ولم ذهب إليهن فعلمهن وحثهن على الصدقة [١]، ولم حذر "البعض" أن يحرص على القرب من صفوفهن؟؟

الواقع أن المرأة أولى بها أن تصلى فى البيت، إذا كانت مسئولية التغذية أو التربية تفرض عليها ذلك، أما إذا تخففت من هذه الواجبات لسبب أو لآخر، فلا يمنعها بشر من الذهاب إلى المسجد ليلا أو نهارا.

إن صلاة الجمعة ليست مؤكدة فى حقها كالرجال، ولا يفيد ذلك فرض حصار قاتل على حياتها العملية والعبادية، وتحويلها

---

[١] - يشير هنا إلى الحديث الذى رواه عطاء عن جابر قال سمعته يقول :

قام النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة ، ثم خطب فلما فرع فأتى النساء فذكرهن، وهو يتوكأ على يد بلال باسط ثوبه يلقى فيه النساء الصدقة، قلت لعطاء زكاة يوم الفطر، قال : لا ، ولكن صدقة يتصدقن حينئذ، تلقى فتخها، ويلقين قلت : أترى حقا على الأمام ذلك؟ ويذكروهن قال: أنه لحق عليهم، وما لهم لا يفعلونه؟

أخرجه البخارى فى كتاب العيدين ١٧/٢ ط دار الفكر.

إلى مسخ لا مكان لها فى دنيا ولا دين، كما انتهت بذلك الأوضاع الاجتماعية فى العالم الإسلامى.

عندما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة خرج النساء لمبايعته، وتلقى تعاليم الإسلام منه، ولم يحتبسن فى بيوتهن قعودا عن هذا الغرض، أى أن علاقة المرأة بالحياة العامة كانت قائمة، وكانت من الناحية العملية تسير فى خط يحاذى علاقة الرجل، ولا يتطابق معه.

وقبل فتح مكة اهتدت نساء كثيرات إلى الإسلام ورفضن البقاء مع أزواجهن الكفار، ففررن الهجرة إلى المدينة، وحدث ذلك فى وقت كان المسلمون فيه ملزمين برد كل من يلحق بهم من مكة فارا بدينه تنفيذا لمعاهدة الحديبية [١] ولكن القرآن نزل يستثنى النساء من ذلك الحكم فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار)[٢].

ورد أن عمر بن الخطاب كان فى ذلك الامتحان يحلف المرأة المهاجرة بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله ما

---

[١] - والنص عند ابن هشام هو: على أنه من أتى محمد من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد له يردوه عليه.

سيرة ابن هشام ٢١٦/٦/٣ ط دار التوفيقية.

[٢] - الممتحنة : ١٠.

خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله[1]

ماذا ترى فى هذا القسم؟ وفيمن أدته؟ ألا ترى شخصية مستقلة، واضحة الوجهة، محترمة المسلك، تحارب وتسالم، وتقيم أو تسافر وفق ضميرها وتفكيرها؟

أين هذه الشخصية التى واثقت الرسول فى مكة، والتى هاجرت إليه فى المدينة، من شخصية المرأة المسلمة فى القرون الأخيرة؟ المرأة التى لا تعرف كتابا ولا إيمانا ولا صلاة ولا ثقافة عامة، بل التى يعتبر من العيب الفاضح أن يعرف لها اسم، أو يبدو لها شبح؟ لأنها لا وظيفة لها إلا إعداد الطعام وإرضاء البعل[2]...

فى هذه التقدمة تتضح ملامح قضية المرأة عند الشيخ محمد الغزالى، فهو يحدد ملامح توجهه فى هذه القضية على النحو التالى:

١- لم تعامل المرأة فى العالم الإسلامى وفق تعاليم الإسلام الصحيحة وإنما عوملت وفق التقاليد الموروثة، واستتد الذين

---

[1] - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤/٣٥٠ط دار المعرفة بيروت.

وقد أخرج البخارى عن عائشة نفس الحديث مع الاختلاف فى الألفاظ فى جـ٨ ص ٦٣٦ فى كتاب التفسير باب (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات).

[2] - الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام : ٤٣١ : ٤٣٥ط : دار ثابت ١٩٨٤م.

فرضوا هذه التقاليد إلى بعض المرويات التى لم يسلم الشيخ بصحتها مثل الحديث الذى أخرجه الحاكم فى مستدركه (لا تعلموا النساء الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف)، وإذا عوملت المرأة وفق تعاليم الإسلام، فإن ذلك لم يحدث إلا فى القليل النادر، وبتعبير الشيخ (إلا لماما).

٢- إن صلاة النساء فى المساجد مفيدة جدا، للمجتمع الإسلامى، لأن المرأة فى المسجد، وفى جوه الروحى تتشرب تعاليم الإسلام، التى تمدها بالزاد الطيب فى حياتها، وفى حياة أسرتها، ومع هذا تمنع المرأة من الخروج للصلاة فى المساجد، استنادا إلى رأى يخالف حديثا صحيحا،رواه عبد الله بن عمر رضوان الله تعالى عليهما، وبعد جهاد سنين طويلة لم يسمح فى العالم الإسلامى إلا بفتح ١٠% من المساجد للنساء.

٣- ويعامل المجتمع الإسلامى المرأة وكأنها فى مرتبة أقل من الرجل، وفى ريف مصر لا يورثون النساء فى أغلب الأحيان، وإن تم التوريث يكون فى أقل من حق المرأة المفروض.

٤- وعند الأشراف الذين ينتسبون إلى البيت النبوى لا تتزوج المرأة إلا من شريف، ويمكن أن تبقى عانسا طوال حياتها، فى حين يتزوج الشريف بمن يشاء من النساء العربيات والأجنبيات.

ومحنة المرأة عند الغزالى فى هذه التقدمة تتجلى فى أنها محرومة - فى أغلب الأحيان - من حقها فى العبادة - الصلاة فى المساجد - ومن حقها فى الميراث، ومن حقها فى الحياة الطبيعية كزوجة وأم لأطفال فيا بعد، ويتم هذا فى الأحوال الثلاثة بدافع من التقاليد، وليس بشرع من الإسلام، أى أن المرأة فى المجتمع الإسلامى تعامل بالتقاليد، ولا تعامل بالإسلام.

ومن أجل حالة المرأة فى المجتمع الإسلامى التى سبقت الإشارة إليها، جعلها الشيخ قضية من قضاياه التى أراد أن يخدم بها دعوة الإسلام، وينهض بالمجتمع الإسلامى فى كل المجالات، وقضية المرأة عند الشيخ ليست قضية عادية، بل هو يرى أنها من القضايا ذات الأهمية والبعد (الاستراتيجى) فى النهوض بالمجتمع الإسلامى، ولا غرابة فى ذلك، فالمرأة نصف المجتمع الإسلامى، بل تعتبر فى جميع الظروف والأزمان أكثر من النصف، بسبب خروج الرجال للحروب، والمهام الشاقة وتحمل كثير من الأعباء المعيشية وغيرها، ولا يجوز إهمال أكثر من نصف المجتمع الإسلامى، إذا أريد لهذا المجتمع النهوض والوثوب إلى الأمام فى اتجاه قويم.

وليس هناك مبرر للتضحية بأكثر من نصف الأمة والتمسك فى ذلك بتقاليد لا تصل ولا تتصل بالإسلام من قريب أو بعيد.

ويقسم الشيخ الغزالى قضية المرأة العامة إلـــى قضايـــا فرعيـــة ويبثها فى كل مؤلفاته دون اســـتثناء وســـوف نجمعـــها ونرتبـــها فـــى نسق متكامل كحبات اللؤلؤ تبدو جميلة وهى متنـــاثرة، ولكنـــها تكـــون أجمل وهى منتظمة فى عقد واحـــد.

ويفيد هذا التنظيم الدراســـات العمليـــة لفكـــر ومنـــهاج الشـــيخ، ويقدم لطلاب العلم نســـقا منتظمـــا مترابطـــا للقضيـــة التـــى يريـــدون دراستها. وسوف تأتى هـــذه القضايـــا تباعـــا، تحـــت عنـــوان يخـــص موضوعا بعينه حتى تتكـــون القضيـــة العامـــة مـــن هـــذه العنـــاصر الجزئية، فإذا كان العنوان الفرعى قضية المرأة فـــى التعليـــم - يكـــون داخل النسق حق المرأة فى التعليـــم - ومـــن هـــذه العنـــاصر تتكـــون قضية المرأة داخل المجتمع الإسلامى، وسوف تفصـــل كمـــا يلـــى:

١ - حق المرأة فى التعليـــم:

يهتم الشيخ بحق المرأة فى التعليـــم أبلـــغ اهتمـــام، لأنـــه يـــرى أن تعليم المرأة وتثقيفها روحيا وعلميا يؤدى إلى الســـمو بـــالمرأة فـــى روحها وذاتها، ويعـــود بـــالنفع علـــى أســـرتها، وعلـــى أمتـــها علـــى السواء، ويرى كذلك أن تجهيل أكـــثر مـــن نصـــف الأمـــة الإســـلامية ليس من مصلحة أحد، إلا أعـــداء الإســـلام المـــتربصين بـــه الدوائـــر والأوقات والأزمان فيقول: كنت أتحدث فى أحد الأنديـــة عـــن حقـــوق المرأة المسلمة، فقلت: إن لها حق الدعـــوة إلـــى الله تعـــالى، والأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتدريـــس هدايـــات الإســـلام ومجادلـــة

الملحدين فيـــها.. فـــإذا يقــول شـــخص لصاحبـــه: كنـــا نظـــن هـــذه المحاضر رجلا صالحا، فتبين أنه ألعن من قاســـم أميـــن.

ونذكر ما قاله الأستاذ/ أحمد موسى ســـالم عـــن قاســـم أميـــن، وعن الدور الذى قام به فى الدفاع عن الإســـلام ضـــد الغـــزو الثقـــافى الفرنسى الذى حمى واشتد فـــى عصـــره..

وكان دور قاسم أمين فـــى هـــذا الحـــوار جـــاهزا: [١] وكـــان محوره الأساسى هو المـــرأة [٢] فـــى الشـــريعة الإســـلامية، وكـــانت المبادرة التى خاضها مـــع الخصـــم الفرنســـى "دوق داركـــور" الـــذى أصدر سنة ١٨٩٣ كتابا عنوانـــه "مصـــر والمصريـــون" تنـــاول فيـــه حياة المجتمع المصرى أيام الحكم المملوكـــى، والـــتركى وهـــى فـــترة بلغت ستة قرون عجـــاف، تراجعـــت فيـــها خصـــائص الحيـــاة عـــن جمهرة الأمة الإســـلامية، ممـــا جعـــل "دوق دراكـــور" يبســـط قلمـــه بالأذى ويرسم صورة قاتمة، وبذيئـــة للشـــعب كلـــه، ويخـــص المـــرأة بمزيد من التجريح والرزاية .. ويرد ذلك كله إلـــى طبيعـــة الإســـلام، والمتأبية على الترقى والحضـــارة.

ماذا فعل قاسم أمين ليدافـــع عـــن دينـــه وأمتـــه؟ ســـارع إلـــى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمـــه، وشـــرح حقـــوق المـــرأة فى الإسلام، وما كلفه الدين لـــها مـــن كرامـــة ماديـــة وأدبيـــة، ووازن

---

[١] – الجدل الدائر حول الإسلام وأنه ضد المرأة.

[٢] – يعرض الشيخ الغزالى صورة طيبة لقاسم أمين.

قاسم أمين بين حجاب الستر والاحتشام عندنا، وبين تبذل المدنية الحديثة، وما أحاطت به أوضاع المرأة من أنحلال وتهتك.

إن ما فعله قاسم كان مملوكا بأمرين أولهما الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدريه الرئيسيين، والآخر الاعتذار عن تخلف المرأة من تقاليد غريبة عن التوجيه الالهى، ناشئة عن أخطاء الشعوب وما يستطيع الرجل أن يفعل إلا هذا. هب أن أوربا أو أمريكيا اتهم الإسلام بأنه يحظر على المرأة الذهاب إلى المسجد، وأن الإسلام بهذا الحظر دين شاذ، لأن الأديان كلها لا تمنع النساء من التردد على بيوت الله تعالى، أو على معبدها الخاص بها، فماذا أقول له؟ أأصدقه فى اتهامه؟ أم أقول له: أن هذا الحظر ليس من تعاليم الإسلام، وإنما هو من تقاليد بعض البيئات. أدافع عن الإسلام صادقا؟ أم أدفع عن المنتمين إليه كاذبا؟[١]

فى الفقرة السابقة يوضح الشيخ حاجة المرأة المسلمة إلى التعليم، وأنه حق من حقوقها الشرعية والإنسانية، وأن أعداء الإسلام استغلوا تخلف المرأة المسلمة للهجوم على الإسلام، واتهامه بالتخلف، ثم يظهر تعاطفه مع قاسم أمين فى دفاعه عن المرأة فى الإسلام، وأن تخلفها ليس من الإسلام، وإنما هو من تقاليد وعادات الشعوب الإسلامية، وأن الإسلام كفل للمرأة الحرية

١ - الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ١٧، ١٨ ط دار الشروق ١٩١٩م.

والكرامة والتعليم مثل الرجل سواء بسواء، ولـــهل مـــرد الفعـــل عنـــد قاسم أمين كان قويا مما عرضه للانتقاد فيمـــا بعـــد.

إلا أن ما يلفت النظــــر أن الشـــيخ بـــدأ حديثـــه بـــإبرار حـــق المرأة فى الدعوة إلى الله تعـــالى، والأمـــر بـــالمعروف والنـــهى عـــن المنكر، وتدريس هدايات الإســـلام، وكلـــها أمـــور لا تتـــم إلا بـــالتعليم والتثقيف للمرأة، ويســـاور النفـــس هـــاجس أن المـــرأة لـــو اشـــتغلت بالدعوة إلى الله تعالى وكثر عـــدد النســـاء اللائـــى يمارســـن الدعـــوة بين اخواتهن من النســـاء، فـــإن عـــدد المثـــل الأعلـــى الطيـــب كـــان سيزداد فى المجتمـــع الإســـلامى، فـــالمرأة الآن حينمـــا تنظـــر إلـــى المتفوقات من النساء فستجد أنـــــهن تفوقـــن فـــى مجـــالات كثـــيرة الا التفوق فى العلم الدينى، وربما اســـتحوذ علـــى فكرهـــا المثـــل الســـيئ بين النساء فنظرت إلى تفوق بعض النساء فـــــى أعمـــال تـــدور كلـــها حول الشهوة وأسعار نارها فى نفـــوس الآخريـــن.

ويعقب الشيخ الغزالـــى علـــى تعليـــم المـــرأة لتقـــوم بواجـــب الدعوة قائلا: (وقد رأيت فى أواخر عصر الجاهليـــــة، وبدايـــات عـــهد الإسلام، أن المرأة حضـــرت بيعـــه العقبـــة دون اعـــتراض، وبـــايعت على الموت تحت الشجرة أو على عـــدم الفـــرار، وكـــان مســـتحيلا أن

يؤذن بذلك فى أواخر التاريخ الإسلامى، فماذا يعنى هذا الوضع؟[١]

وعن الظروف التى مرت بها المرأة المسلمة فى مصر يقول: (إن تعليم البنات فى مدارس خاصة، بدأ بعد الاحتلال البريطانى لمصر، فإن التقاليد السائدة كانت تفرض الأمية على النساء باسم الإسلام.

ومع غزو المرأة للفضاء فى العصر الحديث، فإن أناسا عندنا يقاتلون دون أن تصلى المرأة فى المسجد، يقولون بيتها أولى بها، ويوم يتقرر هذا الموقف فى الأرض الإسلامية، فإن مجون الحضارة المنتصرة لن يجد أمامه عائقا أبدا. [٢]

ويرى الشيخ أن ترك تعليم المرأة لا يساعد سترها واحتشامها، كما يظن أولئك الذين فرضوا عليها الأمية، بل تعتبر أمية المرأة وجهلها طريقا سهلا لوصول الضار من الحضارة الحديثة إليها، خاصة فيما يتعلق بزينة المرأة وتبرجها وسفورها، ولا يعصم المرأة من الانزلاق إلى الدرك الأسفل من الأخلاق إلا العلم وبلوغ أعلى الدرجات فيه.

ويغضب الشيخ لنقل مرويات - ليست حقيقية - عن كبار الصحابة تقف ضد تعاليم المرأة فيقول: غضبى يشتد عندما أرى

---

١ - المصدر السابق ص ١٩.

٢ - المصدر السابق ص ٢٢.

كلاما يخدش كرامة الإنسان، وينال من رسالته، فقد سألنى أحد القراء عن حكم قرأه فى مصدر إسلامى مهم، أن عمر منع النساء من تعلم الخط، وكأنه يرى الأمية أولى بهن، فأجبت ساخرا: ولم تكون الأمية حكرا عليهن وحدهن، يبغى أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى تمشيا مع الفهم الأعوج لحديث "نحن أمة أمية"[١]

إن الحديث الذى يمنع النساء من تعلم الكتابة مكذوب، وكل خير يهون من شأن العلم بما فى الأرض والسماء لا يوثق به، وقد ورد وصف الأمية فى الكتاب والسنة للعرب الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أنه واقع معروف عالميا، ومحليا، وهذا الواقع زال مع نزول القرن الكريم، وانهمار غيوث من المعارف مع آياته البينات (ولئن اتبعت أهواء هم بعد الذى جاءك من العلم ، مالك من الله من ولى ولا نصير)[٢]

(بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون)[٣] وعلى الرجال والنساء أن يزدادوا علما، وألا يشبعوا من فنون الثقافات التى تتاح لهم).[٤]

---

١ - الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال حديث رقم ١٥ جـ٢ /٧٦١ ط الحلبى.

٢ - سورة البقرة : ١٢٠.

٣ - سورة العنكبوت : ٤٩.

٤ - المصدر السابق ص ٢٣، ٢٤.

ثم يقول عن العادات التى يقيمها الناس ثم يألفونـــها بعـد فـترة من الزمن: (هل هذه تقاليد إســلامية أم عـادات أنشـأها النــاس مــن عند أنفسهم، ثم جعلوها دينا؟ وباسم الحجــاب قــامت تقــاليد تــزدرى المرأة وتؤخرها، وترفض منحـــها الحقــوق الأدبيــة والماديــة التــى أقرها لها الإسلام فماتت إنسانيتها علـــى مــر القــرون، وتولــى كــبر ذلك كله متدينون جهلة، يحسبون التقوى تجــهيل المــرأة وإذلالــها.

إن أى مطالع للقرآن الكريم والســنن الصحــاح، يــرى المــرأة جزءا حيا من مجتمع حى، فــهى تتعلــم وتتعبــد، وتــأمر بــالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد إذا شاعت - فـــى الــبر والبحــر، وتؤخــذ منها البيعة علـــى معــاقد الإيمــان والأخــلاق، وتعــارض الحكــم أو تؤيده .. ألــخ.

ودخل التحريف على تعاليمنـــا وتقاليدنـــا، فــإذا المــرأة " كــل على مولاه أينما يوجهه لا يــأت بخــير" ..

وقال لى صديق: عندما أمــر الملــك فيصــل البنــات تحولــت أسرعن البلد الذى أنشئت فيه أول مدرســـة، وكرهــت أن تــرى هــذه البدعة المنكــورة.

ولا يزال نفــر مــن علمــاء الديــن يكرهــون وجــه المــرأة، ويحملونها مسئولية خروج آدم مــن الجنــة، كمــا زعــم اليــهود فــى كتبهم. ويرون الديــن إمســاك النســاء فــى البيــوت حتــى يتوفــاهن

الموت، وحرمانهن من أى نشاط عـــام .. وأعتقـــد أن هـــؤلاء العلمـــاء القاصرين لو كانوا على عـــهد رســـول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم، لطالبوه بطرد السيدتين اللتين حضرتـــا بيعـــة العقبـــة الكـــبرى وقـــالوا له: ما للنساء وهذه الشئون؟ ولو كـــانوا موجوديـــن عنـــد فتـــح مكـــة لقالوا لـــه:

حسبك بيعة الرجال ، وهم يعلمـــون نســـاءهم ، أمـــا اســـتخراج النساء للبيعة فقد يكون سببا فى غرورهـــن وجرأتـــهن .

هذه العقلية المتخلفة فرضـــت نفســـها طويـــلا علـــى ديـــن الله تعالى ، وبعـــد أن أعـــانت أقـــدار حســـنة علـــى زلزلـــة ســـلطانهم ، رأيناهم يستميتون فى إخـــراج المـــرأة المســـلمة ، وتعكـــير مســـتقبلها بفتاوى مكذوبة على الإســـلام [١]

يركز الشـــيخ علـــى تحكـــم التقـــاليد والعـــادات فـــى ســـلوك المسلمين ، وأوضح صورة لـــهذا التحكـــم هـــو تـــرك المـــرأة بـــدون تعليم ، ويوضح ما كان للنساء من شأن فـــى نهايـــة الجاهليـــة وبدايـــة الدعوة الإسلامية ، حيث كانت المرأة تبايع علـــى الإيمـــان والأخـــلاق ، وتبايع على بذل النفس والمال وكانت تتعلم وتعلـــم فـــى آن واحـــد ، وكأنه يوجهنا إلى أن المرأة لـــم تحصـــل علـــى حقـــها - فـــى نهايـــة القرن الرابع عشر الهجرى - الذى حصلت عليـــه فـــى بدايـــة القـــرن

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص١٣٢ ١٢٤ ط دار الشروق ١٩٩٧م .

الأول وقد استشهد بحديث صحيح– لا تمنعوا اماء الله مساجد الله - وذهاب المرأة إلى المسجد يساعدها على التعليم والعبادات فى وقت واحد .

ثم هو يركز على أن ترك المرأة بدون تعليم فيه مخالفة للشرع وإهدار لكرامة المرأة وموت لإنسانيتها .

أضف إلى ذلك أنه تجهيل لنصف الأمة أو يزيد ، ولهذا آثاره التى تتداعى مع الزمن فتسبب الضعف والوهن فى جسد الأمة الإسلامية .

ونخرج من هذا إلى أن الشيخ يركز فى تعليم المرأة على ما يلى :

١ – أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

٢ – آن القرآن الكريم والسنة الصحيحة يحضان على طلب العلم بكل الوسائل المتاحة .

٣ – أن الأمة الإسلامية لم تعد أمة أمية بعد نزول القرآن الكريم وتفجر المعارف العلمية والعالمية من فهمه وتطبيقه .

٤ – أن ما جاء من أحاديث تنهى عن تعليم المرأة هى أحاديث لا تصل إلى مرتبة الصحة .

٥ – أن تضافر المجتمع الإسلامى فى عدم تعليم المرأة يعود إلى العادات والتقاليد ولا يعود إلى الإسلام .

٦ – أن المرأة الجاهلة خطر على نفسها وقومها فى آن واحد .

٧ – أن المرأة الجاهلة تكون طيعة القياد يسيرة الإنحراف مقلدة لكل ما تجد من عناصر الحضارة المنتصرة حضارة أعداء الإسلام .

٨ – لا يكتفى بتعليم المرأة فقط ، بل يطلب منها التفوق فى العلم الذى تدرسه ، وتصل فيه إلى ما يساعد هذه الأمة وينهض بها من كبوتها .

٩ – على المرأة القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى وتعليم بنات جنسها هدايات الإسلام ، وما فيه من خير لكل البشر .

حق المرأة فى العمل :

حق المرأة فى العمل من الأمور التى يوليها الشيخ اهتماما خاصا ، لأنه لا يتصور الأمة الإسلامية وهى تعمل بشطرها فقط ، ولكنه يضع الكثير من الضوابط على الخروج للعمل من قبل المرأة مع التنبيه المتكرر على أن عمل البيت بالنسبة للمرأة يعتبر أهم أعمالها على الإطلاق حيث رعاية الزوج ، وتربية النشئ تربية جيدة ، فإذا تخففت المرأة من هذه المسئوليات لسبب أو لآخر وتفوقت فى جانب من جوانب العمل العمرانى ، أو لم تجد

من يعولها ويعول أطفالها فى حالة فقد الزوج ، فــلا بــأس بخروجــها للعمل ، وسيضاف جهدها إلى حصيلة أمتها من عمــل الأفــراد العــام ، وهناك كثير من المهن يفضــل فيــها النســاء علــى الرجــال مثــل تطبيب النساء النساء وتعليــم الأطفــال فــى المراحــل المبكــرة مــن العمر ، وهكذا هناك خروج للضـــرورة الخاصــة ، وهنــاك خــروج للضرورة العامة ، فالضرورة الخاصة : حاجة المــرأة نفســها للعمــل والارتزاق ، والضــرورة العامــة : حاجــة المجتمــع المسـلم لعمـل المرأة وتقديم ما عندهما من علم وخدمة وخــبرة لــهذا المجتمــع .

وفى هــذا يقــول الشــيخ : إن للمــرأة أن تخــرج للصلــوات الجامعة خمس مرات فى اليوم ، ولها أن تخــرج إلــى حوائجــها فــى الإسواق والمحال التجارية ، ولها أن تخرج مــع الجيــش ، إذا كــانت لديها مهارة عسكرية أو طبية أو هندســية ، والعصــر الــذى نقتــدى به أو نقتبس منه هو عصر النبــوة فــهو خــير القــرون يقينــا ، أمــا عصور الانحراف أو الجهالة فلا يقاس عليــها ، ولا يتأســى بــها ..

كتب الزعيم السلفى عبد الحميد بن باديس[١] عــن "الربيــع بنــت معوذ" فقال إنها حضرت بيعة الرضوان وكــانت ممــن يغــزون مــع النبى صلى الله عليه وسلم ، مع نســاء أخريــات ، يخدمــن الجيــش ، ويسقين الماء ، ويداوين الجرحى ، ويحملنهم إلــى المدينــة ..

ثم قال ابن باديس بعد ما شــرح موقــف الديــن مــن المــرأة ، إنه لابد من مراعاة ما يفرضه عليهن الإســلام مــن تصــون ، وعــدم

---

(١) الشيخ / عبد الحميد بن بـاديس رائـد الحركـة الإسـلامية فـي الجزائـر المعـاصرة (١٣٠٦هـ / ١٣٥٩هـ) (١٨٨٩ / ١٩٤٠م) .

تبرج ، وعدم اختــلاط ، ولــن تكتمــل حيــاة الأمــة إلا بشــطريها ، الذكر والأنثى ، وكشف الرجل عــن قيمــة مــا رواه الطــبراني عــن عائشة مرفوعــا - فــى شــأن النســاء - " لاتــنزلوهن الغــرف ، ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل ، وســـورة النــور "[١]

وقد أعلنا نحن أسانا مــن أن هــذا الحديــث الموضــوع يحكــم المجتمع الإسلامى من قــرون ، أمــا الســنن المتواتــرة والصحيحــة والحسنة ، فقد تم تجميدها بطريقة غريبــة ، وبذلــك أخــذ المســلمون يتدحرجون إلى العالم الثالث ، ويتزاحمون فــى ذيــل القافلــة البشــرية ، لفقدان التربية الصحيحة ، ولا تربية مــع جهالــة المــرأة ، وعزلــها عن العلم والعبادة ودعوات الخير وشــئون المســلمين .

وإيضاح أخير : أن الرجل قد يقول عن نفســه : أنــا لا أذهــب إلــى المقاهى والأندية ، حياتى بين عملى وبيتـــى ، إن دلالــة هــذا القــول معروفة ، وهى لاتعنـــى أبــدا أنــه لا يذهــب إلــى المســاجد ، أم لا يتردد على الأسواق ، كذلك الأمر بقــرار المــرأة فــى البيــت ، أنــه

---

[١] - هذا الحديث موضوع - أنظر الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى ص١١٩ حيث يقول :

(رواه الخطيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها - مرفوعا - وفى أسناده محمد بن إبراهيم الشافعى كان يضع الحديث .

ملاحظة : يأتى القرطبى بهذا الحديث فى الجامع لأحكام القرآن صدر سورة النور ، ويتركه بدون تعليق ليوهم من يقرأ أن الحديث صحيح ، أى أن هذا النهج لا يقتصر على القرطبى وحده يتغياه بعض المفسرين ، ويؤدى هذا إلى خلط كثير فى عقول المسلمين .المؤلف .

أنظر ك الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٢ ط دار أحياء التراث العربى ١٩٨٥ .

وأنظر أيضا تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة بزيادة (وعلموهن الغزل) ٢٠٩/٢ .

لفت إلى وظيفتها العتيدة ، من حيث هى ربة بيت وقيمة على الأسرة ، ولا يعنى ذلك أبدا أنها سجينة لا تخرج إلا إلى القبر .. أو الزوج ..[١] ويقول : فالمسجد والشارع وأرجاء المجتمع يوجد فها الجنسان تحكمهما هذه الآداب ، عدم التبرج والاثارة ، غض البصر والتزام العفة ، انشغال كل مسلم ومسلمة بالأغراض المشروعة التى خرج من أجلها .

وقد تواتر ذلك فى حياة السلف الأول فوجدت المرأة فى المساجد ، بل تبعت الجيوش المقاتلة ، يحيط بها سياج من آداب الإسلام المقررة ،

وأعرف أن هناك آثارا واهية نبذها أصحاب الدقة العلمية فى تمحيص المرويات ، ولم يذكرها عالم يروى الصحاح ، ولا احترمها فقيه ينقل حقائق الإسلام ، مثل ما روى عن فاطمة " إن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل " .

ومثل حديث منع الرسول بعض نسائه " أن يرين عبد الله بن أم مكتوم [٢]" وتلك كلها أخبار لا تساوى الحبر الذى كتبت به ، وهى ظاهرة التناقض مع مقررات الكتاب والسنة المقطوع بثبوتها ودلالتها.

---

١ - الشيخ محمد الغزالى : الحق المرخص ٦٠ ، ٦١ ط٢ دار الجيل بيروت ١٩٨٧ .

٢ - أخرجه أبو داود فى كتاب اللباس باب قوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) ٦٣/٤، ٦٤ ط المكتبة المصرية بيروت

ولكن هذه الروايات المنكرة من الناحية العلمية ، هـــى التـــى صنعــت الفكر الإسلامى فى العصور الأخـــيرة وفرضـــت الأميـــة والتخلــف لا على المرأة وحدها ، بـــل علـــى نظـــام الأســـرة وكيـــان المجتمـــع ، وطبيعة التشـــريع ...

أن هناك عقولا معتلة تتعشق الآثـــار المعتلـــة ، وتبنـــى عليـــها ما تهوى من أحكام ، والإسلام النقى برئ مـــن هـــذه الانحرافـــات .

أننا فى عصر شاركت المـــرأة الرجـــل غـــزو الفضـــاء ، فـــلا يجوز أن نترك القاصرين يثيرون على ديننـــا التـــهم ، وينقلـــون إلـــى الناس ما فى نفوسهم من علـــل [1].

ويقول : المرأة عندنا ليس لـــها دور ثقـــافى ولا سياســـى ، ولا دخل لها فى برامج التربية ، ولا نظم المجتمـــع ، ولا مكـــان لـــها فـــى صحون المساجد ، ولا ميادين الجـــهاد .

ذكر أسمها عيب ، ورؤية وجهها حـــرام ، وصوتـــها عـــورة ، وظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعـــام والفـــراش .

المرأة اليهودية تشارك مدنيا وعســـكريا فـــى قيـــام إســـرائيل ، وهاهى توشك أن تكون ملكة فـــى البيـــت الأبيـــض تضـــع اللمســـات الأخيرة فى الإجـــهاز علينـــا ولا يـــزال نفـــر مـــن أدعيـــاء التديـــن

---

[1] – الشيخ محمد الغزالى : الحق المر ص١١٨ ، ١١٩ ط دار الشروق ١٩٨٩

يجادلون فى حق المرأة أن تذهب إلى المسجد تحضر الجماعات ، أننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت ، فهل نعى ونرشد[١]؟

ويقول : "والإسلام لم يمنع المراة من الجهاد ، إذا قدرت عليه ، وأوجبه عليها وعلى الرجال جميعا عند الدفاع عن دار الإسلام ".

* إن شخصية المرأة ولدت مع مجئ الرسالة الإسلامية ..

جاء فى دفاع الشيخ عن حق المرأة فى العمل ، أن المرأة اليهودية تتشارك مدنيا وعسكريا فى قيام إسرائيل ، والحقيقة أن الصراع الحضارى بين الإسلام وأعداء الإسلام ، يحتاج إلى جهد كل إنسان مسلم رجلا كان أو امرأة ، والجدل الدائر حول المرأة يدل دلالة واسعة على المناخ السائد فى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث فالمرأة عملت فى القرآن الكريم وفى أصعب الظروف التى يستحيل معها العمل ، وكان العمل شرطا لإنقاذ حياتها ، فها هى مريم عليها السلام وهى تعالج المخاض – فى ظروف قاسية – تحتاج إلى الطعام فيأمرها من تحتها بهز النخلة من جذعها لكى تنزل عليها الرطب ، قال تعالى (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[٢] وكان من الممكن أن تسقط هذه الرطب من غير جهد يذكر ، ومع هذا طلب من مريم بذل الجهد للحصول

---

١ - الشيخ الغزالى : قضايا المراة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص٣٣

٢ - سورة مريم : ٢٥ .

على الرزق وهذا ليس أبلغ دليل على عمل المرأة فحسب بل على وجوبه فى بعض الأحيان .

ووجد نبى الله تعالى موسى عليه السلام امرأتين (.. تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)[١] امرأتان تمارسان العمل وقد ساعدهما نبى الله تعالى موسى عليه السلام فى عملهما وعمل المرأة فى السنة الشريفة متواترة ولا ينكره أحد خاصة فى خير القرون قرن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ساق الشيخ - فى دفاعه عن عمل المرأة - فكرة جديدة وجريئة فى نفس الوقت ، وهى اعتبار القرار فى البيت التزاما بالواجب الأول للمرأة - رعاية الأسرة - وليس سجنا لا يعنى الخروج نهائيا ، والمعنى فى القرآن الكريم (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ..[٢])

وحكى الإمام القرطبى مذهبين عن النحاس ، أحدهما ما حكاه الكسائى بمعنى البقاء فى المنزل والآخرين عن على بن سلمان : (وهو من قررت به عينا أقر ، والمعنى : واقررن به عينا فى بيوتكن قال وهو وجه حسن)[٣] ، بمعنى أن تعيش فى

---

١ - جزء من الآية ٢٣ سورة القصص .

٢ - سورة الأحزاب : ٣٣ .

٣ - الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/١٤ ط دار أحياء التراث العربى ١٩٦٤م .

حالة من الرضا ، وعلى هذا يكون رأى الشيخ فى القرار بمعنى الالتزام بواجبات الأسرة ، وأن هذا لا يمنع الخروج للعمل والعبادة ، رأيا صحيحا له وجاهته من هذه الزاوية على قول على بن سلمان . ويرى الأستاذ سيد قطب أن (قرن فى بيوتكن) من وقر يقر : أى ثقل واستقر ، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقا ، إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن)[١].

إلا أن الأستاذ سيد قطب يتشدد فى خروج المرأة للعمل ولا يبيحه إلا للضرورة القصوى وكتب فى ذلك كلاما طيبا يمكن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة .

إلا أن بيت القصيد فى كلامه : أنه لا يجعل (قرن) بمعنى ملازمة البيوت وهو يتفق مع الشيخ الغزالى فى الدلالة اللفظية لكلمة (قرن) ويختلف معه فى التفريع عليها .

وبهذا يتضح أن الشيخ الغزالى يجعل حق العمل حقا ثابتا للمرأة فى حالة الضرورة الخاصة أو العامة على السواء .

---

[١] - ظلال القرآن ٥/٢٨٥٦ ط دار الشروق

حق المرأة فى الخروج من البيت للعبادة وغيرها من الحاجات المشروعة :

يهتم الشيخ بقضية خروج المرأة من بيتها لحاجتها الشرعية اهتماما شديدا ، وهذه الفكرة تلح عليه فى كثير من كتبه لأنه يعتبر مساهمة المرأة فى البناء العلمى والحضارى للأمة الإسلامية مساهمة مطلوبة تفرضها الحاجة وتحتمها الظروف ، لكنه يضع بعض القيود بحيث يجعل هذا الخروج فى خدمة الدين والدنيا للمسلمين ، ومن خلال التحشم ومراعاة الآداب الإسلامية لأقصى درجة ممكنة ، ومن هنا يفهم موقف الشيخ من خروج المرأة أنه خروج للإسلام ، وليس خروجا عليه ، وفى السطور التالية سوف تتجسد فكرة خروج المرأة عند الشيخ والضوابط التى وضعها لهذا الخروج .

يقول : (ومن ثم كانت الجماعة من معالم الدين ، وبعض الفقهاء يرى الجماعة فرضا للصلوات الخمس ولا يسقطه إلا عذر صحيح ، ولكن الذى عليه الجمهور أن الجماعة سنة مؤكدة ..

فهل هى سنة مؤكدة للرجال والنساء على السواء ؟ كذلك يقول الظاهرية ، ولكن الأمر يحتاج إلى تأمل .

فقد صح فى السنة أن المرأة راعية فى بيتها وهى مسئولة عن رعيتها [١].

---

١ - صحيح البخارى ٦/٢ ك الجمعة وأول الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)

ولا ريب ان شئون الأولاد خصوصا الرضع ، وإعداد البيت لاستقبال الرجل العائد من عمله ، كل ذلك يحول دون انتظام المرأة فى الجماعات الخمس ، ولذلك نرى أن حضور الجماعات مطلوب منها بعد أن تفرغ من وظائف بيتها ، فإذا قامت بما عليها فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى المسجد وقد جاء فى الحديث (لا تمنعوا اماء الله مساجد الله) . ونحن موقنون بأن النبى صلى الله عليه وسلم جعل أحد أبواب المسجد خاصا بالنساء ، وأنه أقامهن فى الصفوف المؤخرة من المسجد - وذلك أصون لهن فى الركوع والسجود - وأنه زجر الرجال الذين يقتربون من صفوفهن كما زجر النساء اللائى يتقدمن قريبا من صفوف الرجال وقد بقيت صفوف النساء فى المسجد طيلة العهد النبوى ، وأيام الخلافة الراشدة ، لم يشغب عليها شاغب ، تبدأ مع الفجر وتنتهى عند العشاء ، وربما قامت للنساء جماعات حاشدة لصلاة التراويح فى رمضان ، ومعروف أن اشتراكهن فى صلاة العيد وسماع الخطبة من شعائر الإسلام .

بيد أن الازدهار الذى أحدثه الإسلام فى عالم المرأة أخذ يتعرض للذبول والتلاشى ، فوضع حديث يمنع تعليم النساء الكتابة ، كى يبقين على أميتهن الأولى.

لحساب من تعود هذه الجاهلية ؟ وعندما يفرض على نصف الأمة الجهل والعمى ، فكيف تنشأ الأجيال المقبلة ؟ ثم شاع

حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها ، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة فى بيتها أن تختار المكان الموحش المعزول ، فصلاتها فى سرداب أفضل من صلاتها فى الغرفة ، وصلاتها فى الظلمة أفضل من صلاتها فى الضوء .

وراوى هذا الحديث يطوح وراء ظهره بالسنن العملية المتواترة عن صاحب الرسالة ، وينظر إلى المرأة المصلية وكأنها أذى يجب حصره فى أضيق نطاق وأبعده ، ولنقرأ هذا الحديث الغريب كما ذكره ابن خزيمة وغيره : (عن أم حميد امرأة حميد الساعدى أنها جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إنى أحب الصلاة معك ، قال : قد علمت أنك تحبين الصلاة معى ، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك ، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك ، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى)[1] قال الراوى فأمر فبنى لها مسجد فى أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، وكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل .

---

[1] - الحديث أخرجه ابن خزيمة عن أم حميد . وفى نفس السياق روى الإمام أبو داود بسنده عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاته فى حجرتها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها ، أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب التشديد فى ذلك ١٥٦/١ ط المكتبة العصرية ببروت ز وربما عالج هذا الحديث جانبا آخر من صلاة المرأة فى حالة خوف الفتنة ولا علاقة له بصلاة الجماعة لأن صلاة الجماعة تضمن العفاف للمرأة.

والبيت فى الحديث هو غرفة النوم ، والحجرة غرفة الجلوس ، والصلاة فى الأولى أفضل من الصلاة فى الأخرى ، وكلما ضاق المكان واستوحش كانت الصلاة فيه أفضل ، ويجعل ابن خزيمة عنوان الباب الذى ذكر فيه هذه القضايا صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى مسجد رسول الله ، وأن قول النبى عليه الصلاة والسلام " صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد " إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء .[1]

والسؤال الملح : إذا كان هذا الكلام صحيحا ، فلماذا ترك النبى النساء يشهدن معه الصلاة طوال عشر سنين من الفجر إلى العشاء ولماذا خص أحد أبواب المسجد لدخولهن ؟ ولماذا لم ينصحهن بالبقاء فى البيوت ، ولماذا قصر صلاة الفجر على سورتين صغيرتين عندما سمع بكاء رضيع مع أمه حتى لا ينشغل قلبها ؟ ، ولماذا قال "لا تمنعوا اماء الله مساجد الله" ولماذا استبقت الخلافة الراشدة صفوف النساء فى المساجد بعد وفاة الرسول الكريم ؟ .. ولم يجئ فى أحد الصحيحين ما يفيد منع النساء من الصلاة فى المساجد .. وقد أتت على المسلمين عصور ماتت فيها السنة الصحيحة ، ولا تزال هذه الماساة باقية تتعصب لها بيئات لا تعرف إلا المرويات المتروكة والمنكرة .

---

[1] - الحديث أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ٢٨٤/١ ، ٥٢٨/٢ ، ٣٤٣/٣ ط دار صادر بيروت .

ولا يقبل زجر المرأة عن حضور الجماعات إلا إذا كانت متبرجة ، فإن الذهاب للمساجد ليس استعراضا للزينات ، وبعثرة للفتن ، أنه سعى لمرضاة الله تعالى ، وغرس للتقوى ، وحجز النساء عن هذا الشر هو بتنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم " **يخرجن تفلات**"[١] أى فى ملابس عادية وهيئة طبيعية لا تعطر ولا تبخر .. أما إصدار حكم عام بتحريم المساجد على النساء فهو مسلك لا صلة له بالإسلام[٢].

فى نهاية الفقرة السابقة يتضح منهج الشيخ فى دعوته لخروج النساء للمساجد وللحاجات الشرعية ومنها العمل وكسب الرزق فى بعض الأحيان ، ويتضح هذا من تعليقه على الخروج بحديث (يخرجن تفلات) ويتبع الحديث بقوله : أى فى ملابس عادية وهيئة طبيعية لا تعطر ولا تبخر ، ويقول : يجب منع النساء عن المساجد فى حالة الخروج بالزينة ، لأن الذهاب للمساجد ليس استعراضا للزينات ، وبعثرة للفتن .

وخلاصة منهجه أنه مع الخروج المتسق مع شرع الله تعالى ، وضد الخروج على شرع الله تعالى ، وسنة رسوله الله عليه وسلم .

---

[١] – الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب ما جاء فى خروج النساء إلى المساجد ١/١٥٥

[٢] – الشيخ محمد الغزالى : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ٦١ ـ ٦٤ ط دار الشروق ١٩٨٩م

يضيف الشيخ إلـــى آرائـــه الســـابقة بعـــض الصـــور التـــى يحسبها القارئ تكرارا لما سبق ، ولكنـــه نـــوع مـــن تحديـــد الملامـــح داخل الصورة المعروضة لمزيـــد مـــن الإيضـــاح والتحديـــد فيقـــول : (منذ افتتاح المسجد النبوى بعد الـــهجرة إلـــى أن لحـــق النبـــى صلـــى الله عليه وسلم بـــالرفيق الأعلـــى ، والنســـاء يصلـيـــن فيـــه ، والبـــاب المخصص لهن لم يغلق قط ، أى أنهن أدين فيه ، بيـــن ســـبعة عشـــر ألف وثمانية عشر ألف صلاة وهذا من المتواتـــر المســـتيقن .. وقـــال بعضهم : لقد روى عـــن عائشـــة أم المؤمنيـــن (لـــو رأى رســـول الله صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النســـاء بعـــده لمنعـــهن كمـــا منعـــت نساء بنى إســـرائيل)[1]

.. إن عمر بن الخطاب أمر ســـلمان بـــن أبـــى حثمـــة أن يـــؤم النساء فى مؤخرة المسجد فى شهر رمضـــان ، وكـــان علـــى رضـــى الله عنه يأمر النساء بالقيـــام فـــى رمضـــان فيجعـــل للرجـــال إمامـــا وللنساء إماما . قال : عجرفة - الراوى - فـــأمرنى فـــأممت النســـاء .

وروى الزهرى : أن عاتكـــة بنـــت زيـــد زوجـــة عمـــر بـــن الخطاب ، كانت تشهد الصلاة فى المسجد ، وكـــان عمـــر يقـــول لـــها : والله أنك لتعلمين أنى ما أحب هذا . فقـــالت : والله لا أنتـــهي حتـــى تنهاني ، قال عمر : فإنى لا أنهاك ، فلقـــد طعـــن عمـــر يـــوم طعـــن وإنها لفى المســـجد .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب التشديد فى ذلك ١٥٥/١ ، ١٥٦ ط المكتبة العصرية . بيروت .

أما ما روى عن عائشة من رفض صلاة النساء في المسجد ، فهو يفتح بابا لإلغاء شعائر الإسلام ، ومن الممكن أن يقول أى إنسان : لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجره القنبلة الذرية من تهم للإسلام لألغى الحدود .

إن هذا القول يعني أن بعض أحكام الإسلام موقوت ، يبقى لظروف خاصة ، فإذا انتهت الظروف انتهت ، والظروف الجديدة الطارئة لا يعلمها صاحب الرسالة في حياته ولذلك لم يحدث لها تشريعا ..

وهذا التفكير باطل كله لأن الله تعالى يعلم ما كان ويكون ، وقد أذن للنساء بالصلاة في الجماعات ، وأمرهن بالذهاب للمسجد محتشمات قانتات عابدات . ومن خرجت على حدود الأدب ، ومطالب الحياء منعت من دخول المسجد ، وكان ذلك عقابا لها .. أما الحكم على جميع النساء بعدم الصلاة في المساجد لأن إحداهن قد تكون متبرجة فهذا تعميم مرفوض ..

والغريب أن النساء منعن المسجد وحده ، أما غشيان الأسواق والانطلاق في الشوارع ، فلا حرج فيه .

أن تحريم المساجد على النساء كما تفعل شعوب إسلامية كثيرة (بقية) من وراء الانهيار الخلقي ، وفقدان التربية ، الذى أودى في هذه الحياة .[١]

ويقول : لو قام فى هذا العصر مجتمع إسلامى واضح المعالم ، فى بيان مكانه المرأة ، وميدان عملها ، ومجال نشاطها لاختفى من الدنيا فساد كبير . إن أصحاب الطباع السليمة يكرهون الاختلاط المسعور والتكشف الفاضح هناك ، واستخفاء جو الأسرة ، وانطلاق الغرائز دون ضابط وهم يتطلعون إلى بديل أفضل فلا يجدون .

والغلاة - من المسلمين - يخفون عن عمد وسوء قصد أن المسلمات كن يصلين فى المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء ، وكن يشاركن فى معارك النصر والهزيمة ، وكن يشهدن البيعات الكبرى ، وكن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر ، كانت المرأة إنسانا مكتمل الحقوق المادية والأدبية ، وليست نفاية اجتماعية كما يفهم أولئك المتطرفون الجاهلون .

ويقول الأستاذ أحمد موسى سالم : "الشرع فى حكمة الخالق وعدله هو نصير المرأة ومنصفها ومانحها كل الحقوق التى تقررت للرجل ، والتى تكفل حرية أرادتها فى علاقتها به

---

١ - الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافده ص١٩٦ ١٩٧ .

وتعاملها معه ، وهذا المعنى يؤكده قاسم أمين فى كتابه تحرير المرأة حين يقول [١]: (سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى فى مساواة المرأة بالرجل ، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم ، ومنحها كل حقوق الإنسان ، وأعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها ، وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات) .

إن حاجة العالم إلى الإسلام ملحة ، بيد أن أناسا من ذوى الجهالة والجراءة لا يعلمون ويكرهون من يعلم ، ولا يعملون ويكرهون من يعمل ، وقفوا فى هذا العصر سدا أمام تيار الإسلام ، يعكرون صفوه ، ويمنعون ورده ، ويصدون الأمم عنه .[٢]

ويقول : كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازددت معرفة بما كان للمرأة من مكانة وبما كفله الإسلام لها من حقوق ، لقد كانت لها شخصية مقدوره وأثر يحسب . يقول المحدثون : لما نزل قول الله لنبيه (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجبل ونادى : "يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من

---

[١] – وفى النفس شئ من استشهاد الشيخ بكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين لأن الأخير ينشد حرية للمرأة قد تتجاوز ما يسمح به الشرع أو ما يرجوه الشيخ الغزالى نفسه . المؤلف .

[٢] – قضايا المرأة ص٣٠ ، ٣١ .

الله ، يا صفية عمة رسـول الله ، ويـا فاطمـة بنـت محمـد اشـتريا أنفسكما من الله ، فإني لا أغنـي عنكمـا مـن الله شـيئا سـلاني مـن مالي ما شـئتما ".[١]

إن نداء المـرأة بـهذا الصـوت الجـهير شـئ مسـتنكر فـي عصرنا الأخير ، كنـا نعـد اسـمها كشـخصها عـورة لا يجـوز أن يعرف ..

لكن المرأة في صدر الإسلام عرفـت قدرهـا ، ولمـا سـمعت مناديا يدعو إلى الإيمان سارعت إلـى تلبيتـه .

ويحكي المؤرخـون : أن أخـت عمـر بـن الخطـاب كـانت أسبق منه إلى الإسـلام لقـد أدمـي وجهـها عندمـا علـم بإسـلامها وهاجمها بقسوة ، فقالت له : يـا عمـران الحـق فـي غـير دينـك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله ، ثـم اسـلم عمـر بعدها .

ودخل النساء والرجال في دين الله ، وأعطـوا المواثيـق علـى اعتناق الحق والعمل به ، وانتظمت الصفـوف فـي المسـجد النبـوى تستوعب الرجال والنساء على سـواء .

---

١ - الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد باب ما جاء فى إنذار النبى صلى الله عله وسلم قومه ٥٥٤/٤ ، ٥٥٥ ط مصطفى الحلبى .

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : "ما أخذت (ق. والقرآن المجيد) إلا من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة [١]" أي أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباهها وهي تسمع الخطبة .

وروى البخارى عن سهل بن سعد قال : كانت منا امرأة تجعل فى مزرعة لها "سلقا" فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله فى قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه ، فتكون أصول السلق عرقة (مرقة) قال سهل : كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها ، فتقرب ذلك الطعام إلينا ، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامنا ذلك ، ولم يكن فى الطعام لحم ولا دهن". [٢]

هذه امرأة مؤمنة سمحة تدخل السرور على الناس بما آتاها الله من فضله ، ولو فعلت ذلك فى عصرنا لأنكر المتزمتون عليها ، ولقال كل جرئ على الفتوى ، كيف يلقى عليها السلام ؟ وكيف

---

[١] - الحديث رواه مسلم فى كتاب الجمعة ١٣/٣ط دار الفكر – بدون .

[٢] - الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة باب فإذا قضيت الصلاة .

ترده ؟ وكيف تلقى الضيوف ؟ أن تقاليد المسلمين في معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة .[١]

ويقول : ولست مع ابن حزم فى أن النساء والرجال جميعا سواء فى سنة الجماعة ، والذى أراه أن المرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، فإذا احتاج الرجل أو الأولاد إلى إعداد طعام أو تهيئة راحة ظلت المرأة فى بيتها ، ولم يجز لها الذهاب إلى المسجد ، وترك البيت مهملا ضائعا ، ولها ثواب الجماعة التي تخلفت عنها لعذر شرعى ، أما إذا قامت بأمانات البيت كلها فلها أن تلحق بالمسجد ، وتشارك فى الجماعة ، وليس للرجل أن يمنعها ، كما جاء فى الحديث :

(لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) .[٢]

قبل التعليق على خروج المرأة إلى الحاجات الشرعية ومنها المساجد، نقف على آراء بعض العلماء لحساسية هذا الموضوع.

المغنى: لا يعترض على صلاة الجماعة فى المساجد للنساء ولكنه يتحدث عن تنظيمها:

---

١ - قضايا المرأة ص٥٦ ، ٥٧ .

٢ -المصدر السابق ١٢٥

"إذا كان مع الإمام رجال ونســـــاء، فالمســتحب أن يثبــت هــو والرجال بقدر ما يرى أنهن انصرفـــن ويقمـــن هــن عقيــب تسـليمه قالت أم سـلمة:

إن النساء فى عهد رسول الله صلــــى الله عليــه وسـلم كــن إذا سلم من المكتوبة قمن، وثبت رسول الله صلى الله عليــــه وســلم ومــن ثبت من الرجال قال الزهـــرى فــنرى والله أعلـم، لكــى يبعــد مــن ينصرف من النساء[1] ولأن الإخلال بذلك من أحدهمـــا، يفضـــى إلـــى اختلاط الرجال بالنساء فإن لم يكن معه نساء فى يســـتحب لــه إطالـــة الجلـوس [2]

عمل الزوجة خارج المـــنزل:

يوافق د/أحمد حمد على عمل المرأة خارج المـــنزل ويقــول:

"والاتفــاق بيــن الزوجيــن علــى أن تعمــل الزوجــة خـــارج البيت، يسقط حق الزوج فى اســـتقرار زوجتــه فـــى البيــت، أمـــا إذا كان عملها خارج البيت بدون إذن من زوجها فقد اتجـــه الفقـــهاء إلـــى القول بإسقاط نفقتـــها"[3]

---

[1] – رواه البخارى فى كتاب الآذان باب انتظار الناس قيام الإمام ٣٤٩/٢ وأخرج عن أم سلمة قالت: كان رســـو الله صلى الله عليه وسلم إذا قام النساء حين يقضى تسليمه وهو يمكث فى مقامه يسيرا قبل أن يقوم.

أخرجه البخارى فى كتاب الآذان باب صلاة النساء خلف الرجال ٣٥٢/٢

[2] – ابن قدامه المقدسى: المغنى ٥٦٠/١ ط عالم الكتب "بدون".

[3] – د/ أحمد حمد: الأسرة ص ٢١٣ ط دار الكتب الجامعية ط ١٩٨٦/٢

الإجماع على خروج النساء للمساجد:

"ويتضح مما تقدم من نصوص السنة الصحيحة وأقوال الفقهاء أن للنساء الحضور إلى المساجد لصلاة الجماعة، من اعتزالهن صفوف الرجال، ويكن متأخرات عنهم، ولهن الخروج لطلب العلم الضرورى لأمور دينهن.

كما يتضح أن أحدا من الفقهاء لم يقل بنسج تلك الأحاديث (التى تسمح للنساء بالخروج إلى المساجد، وغيرها مما ورد فى كتب السنة والسيرة، ومن قال بكراهة حضورهن إلى المساجد، مردود عليه بوجوب أداء فريضة الحج على من استطاعت منهن، وبإجماع الفقهاء على من أدت منهن صلاة الجمعة فى المسجد، أجزأتها عن صلاة الظهر ولو كان حضورها إلى المسجد محرما لبطلت صلاتها الجمعة، ولم ينقل لك عن أحد ممن يعتد به من الفقهاء، بل ولا عن الصدر الأول فى الإسلام.

هذا: ولا ينبغى أن يذهب أحد من المسلمين إلى القول بنسخ أحكام ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتب الصحاح من السنة، إذ من يقول بهذا يعتبر كاذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى دين الله تعالى.

وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) [١]

ومع القول بإجازة صلاة النساء الجماعة فى المساجد متأخرات صفوفهن عن الرجال، ينبغى أن يفرد لهن باب للدخول والخروج [٢]

ويرى الدكتور/ يوسف القرضاوى أن "صلاة التراويح بالنسبة للمرأة والرجل جميعا ، ويجوز أن تؤدى فى البيت، ويجوز أن تؤدى فى المسجد إلا أن صلاة المرأة فى بيتها - بصفة عامة - أفضل.

ولكن إذا كانت المرأة تستفيد فى المسجد درسا علميا أو تسمع موعظة تنتفع بها فى دينها، تكون صلاتها فى المسجد أفضل لها، فإن طلب العلم والتفقه فى الدين فرض عليها.

والحقيقة أنى أرى النساء فى هذه الأيام محرومات من التوجيهات الدينية النافعة، والدروس العلمية التى تفقهها فى دينها، وتعرفها حق ربها وواجب طاعته، وعبادته والاستقامة على نهجه، كما تعرفها حق زوجها، وحق أولادها". [٣]

---

[١] - رواه مسلم فى كتاب الزهد باب التثبت فى الحديث ٢٢٩٨/٤ ، ٢٢٩٩ رقم ٧٢. وأخرجه ابن ماجة فى المقدمة باب التغليظ فى تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣/١.

[٢] - الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر: بحوث وفتاوى ٣٧٣/١ : ٣٧٥ ط دار التعاون ١٩٩٢م.

[٣] - د/ يوسف القرضاوى : فتاوى معاصرة ٣٣٨/١ ط دار القلم بالكويت ١٩٩٦.

التعليـــــق :

بعد استطلاع آراء بعض العلمـــاء قدامـــى ومحدثيـــن، يتضـــح بجلاء أن الشيخ محمد الغزالى فى دفاعه عن خـــروج المـــرأة لتشـــهد الجماعة فـــى المســاجد، وخروجـــها لحاجاتـــها الشـــرعية لـــم يكـــن مبتدعا، بل كان مرتكزا على أصل أصيل فـــى الإســـلام.

ويلفت النظر أن الشيخ لثقته من عدالــــة القضيـــة التـــى يدافـــع عنها، لم يلجأ إلى إيراد كثير مـــن النصـــوص التـــى تعضـــد موقفـــه، وتؤيده واستعمل نصوصا قليلة ما فتى يكررها فـــى كـــل كتـــاب مـــن كتبه يتنـــاول فيـــه قضيـــة المـــرأة وخروجـــها للمســـاجد وللحاجـــات الشرعية، مثل زيـــارة الوالـــد والوالـــدة، والقيـــام بـــالعمل وتحصيـــل العلم، إذا دعت الضرورة لذلـــك.

ولكى يصل إلى حل لـــهذه المعضلـــة (خـــروج المـــرأة) اتجـــه لحل معضلات أخرى تقف فى طريـــق هـــذا الخـــروج مثـــل: كشـــف وجه المرأة وصوت المرأة، وهل كشف وجـــه المـــرأة وكفيـــها حـــلال أم حرام؟ كذلك صوت المرأة هل هو عورة أم ليـــس كذلـــك؟

الشعائر من المرأة فلما جاء المولود أنثى هى مريم الصديقة، اعتذرت إلى الله تعالى عن الوفاء بنذرها قائلة (رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ولكن الرجل قال له: الذكورة على كل حال أشرف من الأنوثة، فقال له الشيخ : تعنى أنك أفضل من مريم لأنك رجل وهى امرأة؟ أن امرأة فرعون أرجح فى ميزان التقوى منك، وإن كنت رجلا، وكانت هى زوجة جبار من الدعاة إلى النار.

ويقول بعد أن شرح موقف الحضارة الغربية من المرأة وأنها تجعلها للمتعة فقط سواء عند اليونان أو الرومان أو فى الحضارة الأوروبية التى تسيطر على العالم الآن: (إن الذى يتدبر القرآن الكريم يحس المساواة العامة بين الذكور والإناث، وأنه إذا أعطى الرجل حقا فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش. [١]

تحت عنوان قضية المرأة عندنا وعندهم يقول الشيخ "فى الكتاب الضخم الدارس لخطط التنصير بين شعوب المسلمين، نقرأ بابا خاصا بالمرأة ، كتبه المؤلفون واهمين أن قضية المرأة ثغرة فى تعاليم الإسلام، يمكن النفاذ منها...

---

[١] - الغزالى : الحق المر ص ١٢٦ ، ١٢٧ ط دار الشروق ١٩٨٩ بتصرف.

على أننا قبل الشروع فى رد الشـبهات، نريـد أن نسـأل: مـا موقف النصرانية من قضية المرأة؟ ونترك الإجابـة للكتـاب المقـدس الذى يشرح علاقة حـواء بالخطيـة الأولـى: (فقـال الـرب الالـه للمرأة : ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المـرأة: الحيـة غرتنـى فـأكلت .. فقال الرب الإله للحية : لأنك فعلت هـذا ملعونـة أنـت مـن جميـع البهائم، ومن جميع وحوش البريـة ...

وقال للمـرأة: تكثـيرا أكـثر أتعـاب حبلـك، بـالوجع تلديـن أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسـود عليـك[1]

تورد التوراة لعنة آدام بسبب امرأته وإنـها سـتجازى بحبسـه لها وتسلطه عليـها.

ويؤكد القرآن الكريم أن المـرأة بريئـة، وأن آدم هـو الـذى نسى وضعف وأضاع الأمر الألهى، بعد الأكل مـن الشـجرة.

ويؤكد القرآن الكريـم أيضـا أنـه لا حبـس ولا تسـلط، بـل قوامة من الرجل على بيته الذى تتبـادل فيـه الحقـوق والواجبـات [2] (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجـال عليـهن درجـة)[3]

---

[1] - التوراة العبرانية: سفر التكوين ص ٧ ط دار الكتاب المقدس وفى السامرية ص ٣٨ ط دار الأنصار مع اختلاف فى اللفظ إذ يقول: وإلى رجلك عودتك وهو المسئول عليك.

[2] - الشيخ محمد الغزالى: صيحة تحذير من دعاة التنصير ص ١٢٦ ، ١٢٧ ط دار الصحوة ١٩٩١ بتصرف.

[3] - سورة البقرة : ٢٣٨.

(الفصل الثانى)

حـق المرأة فى المساواة بالرجـل

من القضايا التى تشغل العـالم كلـه الآن، وهـى تثـار بحـق، وبغير حق، وأحيانا تدخل ضمن قضايا التبشـير، ويـراد بـها إفسـاد التماسك الاجتماعى فى بلاد المسـلمين.

والشيخ حين يتصدى لـهذه القضيـة يقصـد مـن وراء ذلـك الدفاع عن الإسلام فى مواجهة الخصوم، ورفـع الظلـم عـن المـرأة التى لا تجد المساواة بحجة أنـها امـرأة وهـذه هـى القضيـة التـى تبناها الشيخ ضمن قضايا المـرأة العديـدة.

يقول الشيخ: "هل صحيح أن الديـن جعـل المـرأة أقـل رتبـة وأنزل مكانة من الرجـل؟

إن الذين يذهبون إلـى هـذا الزعـم يستشـهدون عليـه بـأن الإسلام جعل نصيب الرجل فـى المـيراث ضعـف نصيـب المـرأة، كما جعل شهادتها على النصف مـن شـهادة الرجـل والحـق أن فـى هذا الاستشهاد مغالطة فإن الإسلام لو لم يجعـل نصيـب المـرأة فـى الميراث نصف نصيب الرجل لا ختـل مـيزان المسـاواة ولأصبحـت كفة المرأة المادية أرجـح.

ذلك أن الرجل مكلف فـى الإسـلام بالإنفـاق علـى المـرأة، ويسوق المهر لـها إن أراد الـزوج، ومعنـى هـذا أن مالـه سـوف

يستهلك فى الواجبات التى كلف بها على حين يجمد مال المرأة فلا ينقص، فلا أقل من استدراك هذا الحال بزيادة نصيبه فى الأرث.

فهذه الزيادة ليست تفضيلا أدبيا، وإنما هى تعويض مادى بحت .. أما مسائل الشهادات فإن شهادة المرأة تعتبر نصابا فيما هو من شئون النساء. أما فى الأمور الاجتماعية، وشئون المعاملات العامة فالذى لا شك فيه أن الإسلام يجعل وظيفة المرأة أكثرها فى البيت، وأقلها فى ميدان الحياة الصاخبة .. ومن ثم فهو بهذا الإجراء يريد صرفها إلى ما خلقت له، وإلى ما يناسب خصائصها العتيدة، من أمومة وتربية، ورعاية لجانب خطير فى المجتمع الإنسانى، وجانب لا يصلح غيرها له.. أما المرأة والرجل بعد ذلك فهما صنوان فى المساواة [1] (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض. [2]

جادله شخص وقال له: الله تعالى يقول (وليس الذكر كالأنثى) فقال له الشيخ: (الآية التى ذكرتها بقية كلام لامرأة عمران التى كانت حاملا فنذرت ما فى بطنها سادنا للمسجد، وكانت تنتظره رجلا، والرجل أقدر على إمامة الناس وإقامة

---

[1] - الشيخ محمد الغزالى : هذا ديننا ص ٤٩، ٥٠ ط دار الشروق ١٩٨٧ ق ط دار الكتب الإسلامية ص ٤٠: ٤١.

[2] - سورة آل عمران : ١٩٥.

ويقول: (في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأينا عجبا يوم حنين، لقد انهزم الطلقاء، وأسلموا سيقانهم للريح، وثبت مع المؤمنين الراسخين بضعة نسوة، قاتلن بشرف وبسالة، ودافعن عن نبيهن أشرف دفاع .. ورآهن النبى صلى الله عليه وسلم وهن كالآساد حوله. واقترحت أم سليم - بعد انتهاء المعركة - أن يقتل الرسول الفارين ولكن الرسول عفا.

قال المقريزى يصف قتال النساء فى معركة حنين: "وكانت أم عمارة فى يدها سيف صارم، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها، وهى يومئذ حامل بعبد الله بن أبى طلحة، وكانت أم سليم وأم الحارث حين انهزم الناس تقاتلان، وأم عمارة تصيح بالأنصار:

أى عادة هذه .. ما لكم وللفرار، وشدت على رجل من هوزان فقتلته وأخذت سيفه .[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهند زوجة عمرو بن الجموح "أن منكم معشر الأنصار من لو أقسم على الله لابره"

ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبر الشهداء ثم قال: يا هند قد ترافقوا فى الجنة - زوجها وأبنها وأخوها - قالت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى معهم. [١]

---

[١] - المقريزى : أمتاع الإسماع ١/٤٠٨ ، ٤٠٩.

ويقول عن المساواة: (إن الأعمدة التى تقوم عليها العلاقات بين الرجال والنساء - فى الإسلام - تبرز فى قوله تعالى (لا أضيع عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)[٢] وقوله (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[٣]

وقول الرسول الكريم: (النساء شقائق الرجال)[٤]

وهناك أمور لم يجئ فى الدين أمر بها أو نهى عنها، فصارت من قبيل العفو، الذى سكت الشارع عنه ليتيح لنا حرية التصرف فيه سلبا وإيجابا وليس لأحد أن يجعل رأيه هنا دينا، فهو رأى وحسب، ولعل من ذلك قول ابن حزم: إن الإسلام لم يحظر على امرأة تولى منصب ما، حاشا الخلافة العظمى.

وسمعت من رد كلام ابن حزم بأنه مخالف لقول الله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض،

---

١ - الشيخ محمد الغزالى : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٣٦، ١٣٧ بتصرف.

٢ - سورة آل عمران : ١٩٥.

٣ - سورة النحل : ٩٧.

٤ - رواه أبو داود فى كتاب الطهارة باب : الرجل يجد البلة فى منامه ٦١/١ ط المكتبة العصرية ، بيروت. وقال إسناده حسن.

وبالبحث فى هذا الحديث اتضح أن الراوى هو: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب "أبو عبد الرحمن العمرى: وقد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل بين معدل ومجرح قال عنه ابن نعيم: ليس به بأس وقال النسائى: ضعيف الحديث وقال ابن عدى صدوق. (انظر تهذيب لابن حجر العسقلانى ٢٢٦/٥ ، ٣١٧ ط دار الفكر العربى).

وبما أنفقوا من أموالهم [١] فالآية تفيد - فى فهمه - أنه لا يجوز أن تكون المرأة رئيسة رجل فى أى عمل ، وهذا رد مرفوض والذى يقرأ بقية الآية الكريمة، يدرك أن القوامة المذكورة هى للرجل فى بيته، وداخل أسرته.

وعندما ولى عمر بن الخطاب قضاء الحسبة فى سوق المدينة للشفاء كانت حقوقها مطلقة على أهل السوق رجالا ونساء، وتـ ـن الحلال وتحرم الحرام وتقيم العدالة وتمنع المخالفات.

وإذا كانت للرجل زوجة طبيبة في مستشفى، فلا دخل له فى عملها الفنى، ولا سلطان له على وظيفتها فى مستشفاها.

قد يقال كلام ابن حزم منقوض بالحديث: (خاب قوم ولوا أمرهم امرأة)[٢] وجعل أمور المسلمين للنساء يعرض أمور الأمة للخية فينبغى ألا تسند اليهن وظيفة كبيرة ولا صغيرة، وابن حزم يرى الحديث مقصورا على رياسة الدولة، أما ما دون ذلك فلا علاقة للحديث به.

ويجعل الشيخ مناسبة هذا الحديث هى: تعيين ملكة للفرس فى ظروف كانت البلاد تحتاج إلى حاكم قوى، وأدى ذلك إلى

---

[١] - النساء : ٣٤٤.

[٢] - الحديث أخرجه البخارى فى كتاب المغازى باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر ١٢٦/٨. والنسائى فى كتاب القضاء باب ٨.

نهاية الدولة نفسها، وكان ذلك تصديقا لقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم:

وقد قرأ النبى عليه الصلاة والسلام سورة النمل على الناس فى مكة، وقص عليهم فى هذه السورة قصة ملكة سبأ، التى قادت قومها إلى الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها.

وقد دعاها سليمان إلى الإسلام، ونهاها عن الاستكبار والعناد ، واستشارت رجال الدولة الذين سارعوا إلى مساندتها فى أى قرار تتخذه، ولم تغتر المرأة الواعية بقوتها ولا بطاعة قومها لها، بل قالت نختبر سليمان هذا لنتعرف أهو جبار من طلاب الثروة ، أم هو نبى صاحب إيمان ودعوة؟ .. ثم قررت طرح وثنيتها الأولى، والدخول فى دين الله تعالى، هل خاب قوم ولوا أمرهم من هذا الصنف النفيس؟ إن هذه المرأة أشرف من الرجل الذى دعته ثمود لقتل الناقة، ومراغمة نبيهم صالح عليه السلام.

ومرة أخرى أؤكد أننى لست من هواة تولية النساء المناصب الضخمة فإن الكملة من النساء قلائل، وتلك المصادفات هى التى تكشفهن، وكل ما أبغى هو تفسير حديث ورد، ومنع التناقض بين الكتاب والآثار الواردة.

إن انجلترا بلغت عصرها الذهبى أيام الملكة (فكتوريا) وهى الآن بقيادة ملكة ورئيسة وزراء، وتعد فى قمة الازدهار

الاقتصادى ، والاستقرار السياسى، فأين الخيبة المتوقعة لمن أختار هؤلاء النسوة؟

وقد تحدثت فى مكان آخر عن الضربات القاصمة التى أصابت المسلمين فى القارة الهندية على يد امرأة (أنديرا[1] غاندى) وكيف شطرت الكيان الإسلامى شطرين فحققت لقومها ما يصبون إليه.. على حين عاد المرشال يحيى خان يجر أذيال الخيبة.. أما مصائب العرب التى لحقت بهم يوم قادت (جولدا[2] مائير) قومها فحدث ولا حرج، وقد تحتاج إلى جيل آخر لمحوها.

أن القضية ليست قصة أنوثة وذكورة، أنها قصة أخلاق ومواهب نفسية ، لقد أجرت (أنديرا غاندى) انتخابات لترى أيختارها قومها للحكم أم لا ؟ وسقطت فى الانتخابات التى أجرتها بنفسها ثم عاد قومها فاختاروها من تلقاء أنفسهم دون شائبة إكراه. أما المسلمون فكأنهم متخصصون فى تزوير الانتخابات للفوز بالحكم ومغانمه، برغم أنوف الجماهير.

أى الفريقين أولى برعاية الله وتأييده والاستخلاف فى أرضه؟ ولماذا لا نذكر قول ابن تيمية: إن الله قد ينصر الدولة الكافرة - بعدلها - على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم؟

---

(١) رئيسة وزراء الهند حينذاك .

(٢) رئيسة وزراء إسرائيل حينئذ .

ما دخل الذكورة والأنوثة هنا؟ امرأة ذات ديـــن خـــير مـــن ذى لحية كفور، إننا لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبـــس وذبيـــان إلـــى أمريكـــا واستراليا إننا مكفلون بنقل الإســـلام وحســـب[١]

[١] – الشيخ محمد الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث ص ٥٤ وما بعدها ط دار الشروق ١٩٨٩م.

التعليـق:

إن المســاواة كاملــة فــى الإســلام بيــن الرجــل والمــــرأة، والحقوق والواجبات، وأن قوامــــه الرجــل، لا تعنــى التفضيــل إنمــا تعنى التنظيم وإن الزيادة التى يحصــل عليــها فــى المــيراث تقابلــها أعباء يتحملها الرجل فى قوامته علــى المــرأة.

ويرى الشيخ أن حديــث "خــاب قــوم ولــوا أمرهــم امــرأة) حديث صحيح ولكنه قيل فــى مناسـبة تولــى امــرأة علــى الفــرس، وأدت هذه التولية إلى ضياع الدولــة نفســها، وكــان هــذا الاســتكناه للغيب من معجزات الرسول عليه الصلاة والســلام التــى ســجلها لــه التاريخ.

وقد ضرب الأمثلة على مقدرة المرأة وقــوة إيمانــها وحكمتــها فى الماضى والحاضر، ففــى المــاضى ضــرب مثــلا: بمريــم أبنــه عمران، وبلقيس ملكة سبأ، وفــى الحــاضر ضــرب مثــلا: بــأنديرا غاندى، فكتوريا، وجولدا مائير، وغيرهن مــن النســاء.

وهو لا ينادى بأن تترك المرأة بيتــها وتتجــه لأى عمــل، بــل هو يجعل الأساس لعمل المرأة هو البيــت وتربيــة النشــئ. ويقــول : أكره البيوت الخالية من رباتها، وأن ربة البيــت روح ينفــث الــهناءة والمودة فى جنباته ويعين على تكوين إنسان طيــب، وكــل مــا يشــغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى مراجعــة، ولكنــه يكــره إلــزام

المرأة بهذا النمط من العيش دون الاهتمام بتعليمها وتثقيفها واحترام مواهبها العملية وذكائها الممنوح من الله تعالى فيقول: أنى أكره وأد البنت طفلة، ووأدها وهى ناضجة المواهب، مرجوة الخير لأمتها وأهلها.. فكيف نوفق بين الأمرين- رعاية الأسرة والنبوع العلمى - إذا كان هناك مائة ألف طبيب أو مائة ألف مدرس، فلا بأس بأمر أن يكون نصف هذا العدد من النساء والمهم فى المجتمع المسلم قيام الآداب التى أوصت بها الشريعة. وصانت بها حدود الله تعالى، فلا تبرج ولا خلاعة، ولا مكان لاختلاط ماجن هابط، أعرف أمهات فاضلات مديرات لمدارس ناجحة. واعرف طبيبات ماهرات شرفن أسرهن ووظائفهن، وكان التدين الصحيح من وراء هذه كله.

فالشيخ يرى البيت أولا ويجب أن تيسر المرأة له، ومع هذا يرى أن المرأة تستطيع أن تؤدى خدمات أخرى فى وظائف أخرى للمجتمع المسلم وفى بعض المهن تكون هى أقدر من الرجل على أداء هذه الوظيفة مثل طبيبات النساء والتوليد، ومدرسات الفتيات وكل ما يتعلق بشئون المرأة. أما المساواة فى التقوى والعلاقة بالله تعالى فلا هو - الشيخ - ولا غيره يجادل فيها لأنه الحق تعالى (هو أعلم بمن اتقى) ولذلك يقول:

"إن هناك نشاطا نسائيا عالميا فـــى ســـاحات شـــريفة رحبـــة، لا يجوز أن ننساه لما يقع فى مساحات أخرى مـــن تبـــذل واســـفاف".

فهو يرى أن المرأة يجب أن تشارك فيمـــا يعـــود علـــى أمتـــها والإنسانية بالخير محليا وعالميا مثلها مثل الرجـــل تمامـــاً، ولكـــن فـــى حدود ما يناســـب اســـتعدادها للبـــذل والعطـــاء، إلا أن النســـبة التـــى يرغبها الشيخ فى عدد المعاملات بالنسبة للرجال نســـبة مبـــالغ فيـــها، ولا تتفق مع رغبته فى جعل البيـــت هـــو العمـــل الأساســـى بالنســـبة للمـــرأة.

شهادة المـرأة:

ويلحق بالمساواة عند الشـــيخ حـــق المـــرأة فـــى أداء الشـــهادة وأهمية ذلك بالنسبة للمجتمع، فـــهو يـــرى أن شـــهادة المـــرأة مقبولـــة فى أمور كثيرة ويعرض لذلك فيمـــا يلـــى:

يقول الشيخ: إن قاعدة الأمر بالمعروف والنـــهى عـــن المنكـــر تشمل الرجال والنســـاء علـــى الســـواء وذلـــك ظـــاهر قولـــه تعـــالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـــاء بعـــض يـــأمرون بـــالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصـــلاة ويؤتـــون الزكـــاة ويطيعـــون الله ورســـوله..) [١]

[١] - سورة التوبة : ٧١

إن الأمر والنهى والصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله ليست حكرا على أحد الجنسين، والزعم بأن المرأة تصلى وتزكى وتسكت فى ميدان النصيحة زعم باطل..

فابن جرير يجيز للمرأة القضاء فى كل شئ يجوز للرجل أن يقضى فيه دون استثناء.

ويقول الأحناف - كما جاء فى البدائع - إن الذكورة ليست شرطا لتقلد منصب القضاء فى الجملة، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنها لا شهادة لها فى ذلك، وأهمية القضاء تدور مع أهمية الشهادة وهنا نسأل ما قيمة المرأة فى الحدود والقصاص؟

والجواب أن جمهور الأئمة يردها..

جاء عن الزهرى رضى الله عنه: مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده أنه لا تجوز شهادة النساء فى الحدود والنكاح والطلاق، وفى رواية أخرى والدماء.

ويرفض ابن حزم هذا الكلام كله، ويجيز شهادة النساء فى كل ما ذكر إذ يقول فى حديث الزهرى: أنه بلية، وإن إسناده منقطع وهو من طريق إسماعيل بن عياشى - وهو ضعيف- عن الحجاج بن أرطأة - وهو هالك تلك قيمة حديث الزهرى

ويرى ابن حزم قبول شـــهادة المـــرأة فـــى كـــل قضيـــة بعـــد مضاعفة النصاب فيقبل فى حد الزنا ثمـــانى نســـاء بـــدلا مـــن أربعـــة رجال. ودليل ابن حـــزم هـــو العمـــوم الظـــاهر فـــى حديـــث مســـلم "فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجـــل".[1]

وما رواه البخارى أليس شهادة المرأة نصـــف شـــهادة رجـــل؟ قلنـــا بلـــى"[2]

"وأبادر إلى القول بـــأنى لســـت ظاهريـــا، لكنـــى أتبـــع الدليـــل حيث كان وكثيرا ما أرفض اجتهادات لابن حـــزم ولغـــيره مـــن أئمـــة الفقه لأن وجهات نظر أخـــرى بـــدت لـــى أرجـــح، وغـــايتى خدمـــة الإســـلام".[3]

وعن المرونة المطلوبة فى تقديم الإسلام كدعـــوة عالميـــة إلـــى الناس يقول الشيخ: (والمرأة فى أوربا تباشر زواجـــها بنفســـها، ولـــها شخصيتها التى لا تتنازل عنـــها، وليســـت مـــهمتنا أن نفـــرض علـــى الأوروبيين مع أركان الإســـلام رأى مـــالك أو أبـــن حنبـــل، إذا كـــان رأى أبى حنيفة أقرب إلى مشاربهم فـــإن هـــذا تنطـــع أو صـــد عـــن ســـبيل الله ..

---

[1] - الحديث رواه الإمام مسلم فى الجامع الصحيح ك الإيمان ١/٦١ ط دار الفكر.

[2] - الحديث أخرجه البخارى ك الحيض ٢/٨١ ط دار الفكر. وأخرجه مسلم فى ك الإيمان ب نقصان الإيمان بالطاعات ١/٨٦ حديث رقم ١٣١، والدارمى فى ك الوضوء باب ١٠٤.

[3] - الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ص ٤٣٦ وما بعدها ط دار ثابت ١٩٨٤.

وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة، فلهم ماشاؤا، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله، فلم الإكراه على رأى ما؟ إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيؤا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه وكان ظاهر القرآن ضده).[1]

ويرى الشيخ أن تقديم الإسلام كدعوة عالمية يتطلب الاستفادة بكنوز الإسلام والآراء المتعددة فى المسألة الواحدة، لأن ذلك يؤثر فى قوة الدعوة وتدفقها بين الشعوب، ولا يوافق على هذا الدفع من الشيخ إلا من عانى مشاكل الدعوة الإسلامية، ولذلك فالشيخ هنا يتكلم عن اختيار رأى من داخل الفقه الإسلامى، ومن داخل اجتهادات علمائه.

أما حديثه عن تعارض السنة مع القرآن فسوف نؤجل مناقشة هذا الأمر حتى نناقشه فى الباب الخاص بهذا الموضوع.

وعن تعليل ضعف شهادة المرأة:

يقول الشيخ: (ومعروف أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وقد علل القرآن الكريم لذلك، بأن المرأة قد تنسى

---

[1] – الشيخ محمد الغزالى : السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ٦٠ ط دار لشروق ١٩٨٩.

أو تحار أو يشتبه عليها وجه الحق، وعندما تكون معها امرأة أخرى فسوف تتعاونان على الإدلاء بالحقيقة كاملة.

وقد بحثت فى هذا الموضوع فأدركت أن المرأة فى عادتها الشهرية تكون شبه مريضة، وأن انحراف مزاجها واضطراب أجهزتها الحيوية يصيبها ببعض الارتباك: والتثبت فى أداء الشهادات واجب، وذلك سر قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى [1]

وكان يجب أن يقف الأمر عند هذا الحد، لكن تيارا نشأ فى الفكر الدينى يستبعد شهادة المرأة استبعادا تاما، فى أهم ميادين التقاضى- وهو ميدان القصاص والحدود أى فيما يتصل بالدماء والأعراض.

وإذا كان اللصوص يسرقون البيوت ليلا أو نهارا، فما معنى رفض شهادة المرأة فى حد السرقة، وإذا كان العدوان يقع على النفس أو الأطراف فى حالات كثيرة بمشهد من النساء فما معنى أن ترى المرأة مصرع اقرب الناس إليها ثم ترفض شهادتها؟ ولماذا لم يلتزم نصاب الشهادة كما ذكره القرآن.

---

[1] - البقرة : ٢٨٢.

وابن حزم فى تصحيحه للآثار المروية يؤكد أن رفض شهادة المرأة والقصاص لا يوجد له أصل فى السنة النبوية ...

وإذا كان المسلمون الآن أكثر من ألف مليون نفس، فما معنى التطويح بكرامة خمسمائة مليون امرأة لقول أحد من الناس.

المأساة أننا نحن المسلمين مولعون بضم تقاليدنا وآرائنا إلى عقائد الإسلام وشرائعه لتكون دينا مع الدين، وهداية من لدن رب العالمين وبذلك نصد عن سبيل الله تعالى.[١]

أهمية تولى المرأة القضاء إذا كان ذلك فى صالح الإسلام:

يقول الشيخ: جاء صحافى يسألنى هل تتولى المرأة القضاء؟ ما حكم الإسلام فى ذلك؟

قلت: إن شرائع الإسلام اليوم معطلة، فى القصاص والحدود، فإذا تولت المرأة القضاء وأحييت ما مات من أمر الله تعالى، فالإسلام يرحب بالمرأة قاضية. وكان يسمعنا واحد من علماء الدين التقليديين فسألنى على عجل: ماذا قلت؟ فأجبته: هو ما سمعت. فقال: لا .. تبقى الأحكام معطلة ولا تحييها امرأة.

قلت له: إنك امرؤ فيك جاهلية.

---

[١] – قضايا المرأة : الغزالى ص ٦٦ ، ٦٧.

إن الأحناف قالوا: يصح قضاء المـــرأة، فيمـــا تصـــح شـــهادتها فيه، والظاهرية قالوا تشهد فى الحـــدود والقصـــاص. [١]

ويؤسس الشيخ موقفه من شهادة المـــرأة فـــى كـــل شـــئ علـــى عناصر كثيرة منها موقف ابن حزم من حديـــث: (مضـــت الســـنة مـــن النبى صلى الله عليه وســـلم ومـــن أبـــى بكـــر، وعمـــر أن لا تجـــوز شهادة النساء فى الطلاق ولا فى النكاح ولا فـــى الحـــدود).

ويقول ابن حزم عن هذا الحديث: إنه بليـــة لأنـــه منقطـــع مـــن طريق إسماعيل بن عياش وهـــو ضعيـــف، وقـــد رواه عـــن الحجـــاج بن أرطأة وهو هـــالك.[٢]

وابن حزم يرى أن الأدلة التى ســـاقها العلمـــاء الذيـــن يـــرون عدم استقلال النساء بالشهادة، وعـــدم الســـماح لـــهن - بالشـــهادة فـــى الطلاق والحدود أدلة متهافتة لأنها تقوم على حديـــث الزهـــرى الـــذى رواه إسماعيل بن عياش وهـــو لـــم يصـــح. إلا أن أبـــرز نقطـــة فـــى مذهب ابن حزم - فى شهادة النساء - هى اســـتقلال النســـاء بالشـــهادة فى حالة مضاعفة العدد ويسوق عليها أدلـــة كثـــيرة منـــها: مـــا روى عن عمر بن الخطاب أن مكان كل شاهد رجـــل امرأتيـــن "فـــلا يقبـــل فيما يقبل فيه رجلان، إلا أربع نسوة "وعـــن علـــى بـــن أبـــى طـــالب

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى: مستقبل الإسلام خارج أرضه ص ٢٩ دار الشروق ١٩٩٧.

[٢] - ابن حزم : المحلى ٤٠٣/٩ ط دار الفكر.

مثل ذلك، وهو قول الشعبى والنخعى فى أحد قوليهما، وعطاء .. وقتادة فى قوله جملة، وأبن شبرمة، الشافعى وأصحابه، وأبى سليمان وأصحابه، إلا أنهم قالوا: تقبل فى الرضاع امرأة واحدة، وقول عثمان البستي : لا يقبل فيما يقبل فيه النساء منفردات إلا ثلاث نسوة لا أقل وقالت طائفة: تقبل امرأتان من كل ما تقبل فيه النساء منفردات وهو قول الزهرى إلا فى الاستهلال - التوليد خاصة، فإنه يقبل فيه شهادة القابلة وحدها).[1]

ويرى الشيخ أنه لا بأس بالأخذ برأى ابن حزم فى شهادة النساء، وهى مضاعفة العدد بالنسبة للرجال، وليس معنى هذا أن الشيخ يسلم بكل ما يذهب إليه ابن حزم خاصة والظاهرية عامة بل يقف مع الحق فى ذاته، ومع قبول هذا الحق دعويا، وهذه المشكلة يعانيها الدعاة المخلصون حين يبحثون عن الصيغة المقبولة دعويا، والتى لا تغادر الحق المتفق نهجه مع القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، وعند الرجوع إلى الفقه الإسلامى نرى أن الشيخ لا يقبل رأيا منفردا لعالم بعينه، بل يقبل الرأى القائل به جمع من العلماء.

فابن رشد ينقل آراء العلماء فى شهادة النساء بقوله: (وأما شهادة النساء منفردات: أعنى النساء دون الرجال فهى مقبولة عند

---

[1] - المرجع السابق ٣٩٩/٩.

الجمهور في حقوق الأبدان التي لا يطلع عليها الرجال، غالبا مثل الولادة، والاستهلال وعيوب النساء، ولا خلاف في شئ من هذا إلا في الرضاع، فإن أبا حنيفة قال: لا تقبل فيه شهادتهن إلا مع الرجال، لأنه عنده من حقوق الأبدان التي يطلع عليها الرجال والنساء، والذين قالوا بجوار شهادتهن منفردات، في هذا الجنس اختلفوا في العدد المشترط في ذلك منهن:

فقال مالك: يكفي في ذلك امرأتان، قيل: مع انتشار الأمر، وقيل: إن لم ينتشر.

وقال الشافعي: ليس يكفي في ذلك أقل من أربع، لأن الله تعالى قد جعل عديل الشاهد الواحد امرأتين، وقال قوم: يكتفي في ذلك بأقل من ثلاث).[١]

في الآراء السابقة التي ساقها العلامة ابن رشد القول بشهادة النساء منفردات واستقلالهن بها في أمور خاصة، وإن كان ابن حزم يرى جواز ذلك في كل الأمور بعد مضاعفة العدد.

---

١ - ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٤٦٥/٢ ط الحلبي ١٩٨١م.

قضاء المرأة:

وعن تولى المرأة القضاء يقول ابن رشد:

(وقال أبو حنيفه: يجوز أن تكون المرأة قاضيا فى الأموال. قال الطبرى: يجوز أن تكون المرأة حاكما على الإطلاق فى كل شئ.

قال عبد الوهاب: ولا أعلم بينهم اختلافا فى اشتراط الحرية، فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى، وقاسها أيضا على العبد لنقصان حرمتها، ومن أجاز حكمها فى الأموال فتشبيها بجواز شهادتها فى الأموال، ومن رأى حكمها نافذا فى كل شئ قال: أن الأصل هو أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى).[1]

والقول هنا يتأرجح بين جواز قضاء المرأة، منعها من ذلك، أو جواز قضائها فى كل شئ إلا الإمامة الكبرى.

ويرى الإمام القرطبى أن شهادة المرأتين جائزة مع وجود رجال آخرين وليس كما يتوهم قبول شهادتين مع عدم وجود الرجال فيقول: (بل الظاهر منه قول الجمهور: أى أن لم يكن

---

[1] - المرجع السابق ٢/٤٦٠.

المستشهد رجلين، أى أن أغفل ذلك صاحب الحق، أو قصده لعذر ما فليستشهد رجلا وامرأتين، فجعل تعالى شهادة المرأتين مع الرجل جائزة، مع وجود الرجلين فى هذه الآية).[1]

والأقوال السابقة تؤكد ما ذهب إليه الشيخ، وأنه لم يكن يتحدث من فراغ أو عن هوى، وإنما كان يريد توضيح أمور أجاز غيره من العلماء، وهى تتعلق بقطاع كبير من الأمة الإسلامية، ولها شأنها فى الإسلام عن الشعوب الأخرى، وهذه القضية الأخيرة كانت تشغل حيزا كبيرا من فكر الشيخ - يرحمه الله تعالى.

صوت المرأة:

ويتعلق بحركة المرأة فى الحياة الإسلامية، موقف بعض العلماء والدعاة من صوتها واعتباره عورة، والشيخ لم يسلم بهذا أبدا فى كل مؤلفاته، فهو يقول عن صوت المرأة:

(كان شاب قريبا منى يكاد يتميز من الغيظ، ونحن نستمع إلى بحث تلقيه أحدى السيدات، قلت له: ما بك؟ هل فى الكلام خطأ؟ فرد على عجل: أتقر هذا؟ أليس صوت المرأة عورة؟ فأجبت فى برود:

[1] - الإمام القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٣٩١/٣ ط دار أحياء التراث العربى ١٩٨٥م.

هذا كذب لا أصل له فى دين الله تعالى. أسمع حكم الإسلام فى كتاب الله تعالى، ويقول الله تعالى لأمهات المؤمنين: (.. **لا** تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض [١])، فهل يصمتن فلا ينبسن ببنت شفه، لأن الصوت عورة؟ كلا .. (وقلن قولا معروفا) أى ليكن الكلام طبيعيا ليست به نغمة مريبة، ولا لحن مثير.

وعندما جاءت المؤمنات مهاجرات من مكة بعد الحديبية عقد لهن امتحان شفوى لتعرف أحوالهن، هل هن فازات بدينهن حقا؟ أم لهن مآرب أخرى تبين من النقاش إيمانهم قبلن فى المجتمع الإسلامى (فإن عملتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار)[٢].

ولم يدر بخلد أحد أن صوت المرأة عورة ، وعندما جاءت المجادلة تشرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم قضيتها، وتراجعه فى الحكم، لم يقل لها اسكتى إن صوتك عورة ..

وعندما جاءت بنت شعيب - التى صارت زوجة لموسى عليه السلام فيما بعد - تقول له (أن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما

---

١ - سورة الأحزاب : ٣٢.

٢ - الممتحنة : ١٠

سقيت لنا)[١] لم يقل لها موسى كيف تتحدثين معى هكذا، وصوت المرأة عورة.

وعندما دخلت ملكة سبأ قصر سليمان عليه السلام وأراها العرش الذى استحضره من اليمن إلى القدس وسألها: (أهكذا عرشك قالت كأنه هو).[٢]

قال المفسرون: عرف من إجابتها ذكاءها لأنها مع إحساسها بأنه عرشها استبعدت أن يطير آلاف الأميال لتقله هنا، ولم يقل عالم ولا جاهل أن صوتها عورة.

وعندما خرجت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين فى المسجد، وأعلنت أنها أجازت زوجها، الذى أ. ره المسلمون فى بدر استمع الناس إلى الصوت الراجى المحزون، وقال الرسول الكريم فى رقه:

لم نتفق على هذا، وإن شئتم رددتم إليها زوجها،[٣] ولم يقل أحد إن صوتها عورة.

---

[١] - سورة القصص: ٢٥.

[٢] - . ورة النمل : ٤٢.

[٣] - ابن هشام ٢/٢٢٠ط المكتبة التوفيقية وفى نفس السياق روى أبو داود بسنده عن ابن عباس قال: حدثتنى أم هانى بنت أبى طالب أنها أجازت رجلا من المشركين يوم الفتح فاتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال: قد أجرنا من أجرت وآمنا من آمنت.

أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد باب أمان المرأة ٨٤/٣، ٨٥ ط دار الفكر.

إننى أكره من أعماق فؤادى علاقة الرجل بالمرأة فى الحضارة المادية التى أقامها الغرب - الصليبى والشيوعى - بيد أن هذه الحضارة سوف تبقى بأرجاسها وأدرانها، ما بقى المتحدثون . عن الإسلام يقدمونه بهذا الجهل والعمى.

إن صوت المرأة ليس عورة، العورة هى فى هذا التفكير الذى لا سند له والذى يصرح به شباب جهول، باسم الإسلام المظلوم. (١)

ويقول: (إن التقاليد العربية الجاهلية التى كانت تجتاح الأنوثة قديما، وتجاوز حقوقها المادية والأدبية، عز عليها أن يطفر الإسلام بالمرأة هذه الطفرة ، فعادت تسلب ما منح الدين وتنكر ما أقر، وتعامل المرأة على أنها متعه وحسب.

وصدرت فتاوى مكذوبة بأن وجه المرأة عورة - ولو من غير فتنة وصوتها عورة، وأخذت الفتوى حكم الأمر اللازم، وليس الرأى الاحتمالى وقيل أن المرأة إجمالا لا علاقة لها بالنشاط الثقافى والاجتماعى أما سائر الأنشطة المدنية والعسكرية، فالوجود النسائى فيها منكر غليظ جملة وتفصيلا.

وللحق أن للشريعة الإسلامية فى شئون النساء تخرج من بين فرث ودم، فالجاهلية العربية التى فرضت نفسها مئات السنين

---

١ - الغزالى: قضايا المرأة ص ١٢٨، ١٢٩.

- ربما يقصد آلاف - مرفوضة، والجاهلية الأوربية الوافدة مرفوضة هى الأخرى، وبعض المتحدثين بالإسلام يبغى العودة بالمرأة إلى التقاليد البدوية، أو الأوضاع الجاهلية المزدرية للأنوثة، كما أن بعضا آخر يريد تقليد أوربا فى كل شئ، وأحكام الإسلام أشرف من أن يثرثر بها هؤلاء وأولئك. [١]

يركز الشيخ فى حديثه عن صوت المرأة، وأنه ليس بعورة على أمور توضح منهجه منها:

١- إن المرأة تعامل بالتقاليد العربية ولا تعامل بالإسلام.

٢- استخدام الشيخ أدلة ساقها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، واستخلص منها الأحكام مباشرة، وهى طريقة فريدة تعد من م ات منهج الشيخ - يرحمه الله تعالى - فقد ذكر عدة مواقف من القرآن الكريم تبين جهر المرأة بصوتها، وكذلك موقف من السنة - حادثة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - عندما أجارت زوجها، ومع هذا تبقى مواقف كثيرة فى القرآن الكريم، وسيرة السلف الصالح مثل: كلام الكثير من النساء فى القرآن الكريم، وفى السيرة المرأة التى راجعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر، وهى فى مكان النساء فى آخر المسجد، وهكذا ..

---

١ - الشيخ محمد الغزالى: سر تأخر العرب والمسلمين ص ٤٢ ، ٤٣ ط دار الريان للتراث ١٩٩٧.

وربما ذكر الشيخ هذه المجموعة هنـــا علـــى سـبيل المثـــال لا الحصر، ومـــع هـــذا فـــالموقف يحتـــاج إلـــى مزيـــد مـــن الإيضـــاح باستطلاع بعض الآراء الفقهية، فى هذه المســـألة - صـــوت المـــرأة - لبيان موقف الشيخ بعد تأصيله وتفصيله، وهـــل هـــو اجتـــهد فأصـــاب وأخطأ، أم نقل إلى الناس الصحيح من الدين وجـــاهد مـــن أجلـــه.

يقول الدكتور يوسف القرضـــاوى:

(وقالوا فيما قالوا أن صوت المرأة عورة، فـــلا يجـــوز لـــها أن تتكلم مع رجل غير زوج ولا محـــرم، لأن صوتـــها بطبيعتـــه الناعمـــة يغرى بالفتنة، ويوقظ فى القلب الشـــهوة، وســـألناهم عـــن الدليـــل فلـــم نجد لهم دليلا يعول عليه ويستند إليـــــه.

ترى هل جهل هؤلاء أن القـــرآن الكريـــم أجـــاز ســـؤال أزواج النبى صلى الله عليه وســـلم مـــن وراء حجـــاب، رغـــم التغليـــظ فـــى أمرهن حتى حرم عليهن ما لم يحرم على غـــيرهن، ومـــع هـــذا قـــال الله تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاســـألوهن مـــن وراء حجـــاب).[١]

والسؤال يقتضـــــى جوابـــا، وهـــو مـــا كـــانت تفعلـــه أمـــهات المؤمنين حيث كن يفتيـــن مـــن اســـتفتاهم، ويروين الأحـــاديث لمـــن يريد أن يتحملها عنـــهن.

---

[١] - سورة الأحزاب : ٥٣.

وقد كانت المرأة تسأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حضرة الرجال، ولم تجد فى ذلك حرجا، ولا منعها النبى صلى الله عليه وسلم.[١]

هذا القدر من كلمات د/ يوسف القرضاوى يفى بالغرض لأنه بعد هذه الفقرة ينقل تقريبا ما كتبه الشيخ الغزالى وورد فى الفقرات السابقة، فى صلب كلمات الشيخ والتى دارت حول حديث المرأة فى القرآن الكريم، بنت العبد الصالح مع موسى، وسليمان مع ملكة سبأ، والمجادلة وهكذا...

وجه المرأة :

يرى الشيخ أن الحديث عن كشف وجه المرأة من غير تبرج يعتبر من الأمور التى تيسر لها الحركة المشروعة داخل المجتمع فيقول: (ذكر ابن كثير فى كتابه "البداية والنهاية"[٢] أن عبد الرحمن بن عوف ظل ثلاثة أيام يستشير النساء فيمن يخلف عمر بعد مقتله - من السنة الموشحين - فلم يبق رجل ولا امرأة يعتد برأيه إلا استشاره..

---

[١] - د/ يوسف القرضاوى: فتاوى معاصرة ٢/٢٥٥ط دار الوفاء المنصورة ط ٣ سنة ١٩٩٤.

[٢] - ابن كثير البداية والنهاية ٧/١٥٧ ط دار المعرفة بيروت ١٩٩٨ والنص هكذا: (ويجمع رأى المسلمين برأى رؤس الناس، وأقيادهم جميعا وأشتاتا، ومثنى وفرادى، ومجتمعين، وسرا وجهرا، حتى خلص إلى النساء المخدرات فى حجابهن، وحتى سأل الولدان فى المكاتب، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة فى مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد أثنين يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان). أ هـ المؤلف.

كانت النساء تستشار، ولم لا وقد استشار النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة، عندما تقاعس الناس عن التحلل من عمرة الحديبية ...

أما المرأة المسلمة فى الأعصر الأخيرة فقد ماتت أدبيا وراء تقاليد جاهلية ليست من الدين حتى دهمتنا الحضارة بمنازعها المادية، ومسالكها الإباحية، فلم يدر أهل الدين ما يفعلون لقد طالعت فى السيرة أحاديث تبرز المجتمع الأول فى صورة أرحم وأرحب من الصورة التى يرسمها بعض الناس للمجتمع المسلم وهى صورة قاتمة موحشة.

روى مسلم فى صحيحه أن جارا فارسيا للنبى صلى الله عليه وسلم كان طيب المرق، فصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما- ثم جاء يدعوه فقال: وهذه أى عائشة - فقال الفارسى: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا - أى لا أذهب معك وحدى - فعاد يدعوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه .. قال :لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا، ثم عاد يدعوه للمرة الثالثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذه. قال الفارسى: نعم فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله[1]

---

[1] - الإمام مسلم : الجامع الصحيح جـ٣ ص١١٦ طبعة دار الفكر - كتاب الأشربة .

روى البخارى: (أن أبا سعد الساعدى دعا النبى صلى الله عليه وسلم لعرسه، وأصحابه رضى الله تعالى عنهم، فما صنع لهم طعاما ولا قربه إليهم إلا امرأته أم سيد، فقد بلت من الليل تمرات فى تنور - إناء من حجارة - فلما فرع النبى صلى الله عليه وسلم، أما شقه له أى هرسته بيدها - فسقته تتحفه بذلك - وكانت امرأته خادمتهم يومئذ وهى عروس).[١]

النقاب : ستر الوجه:

وقد زعم البعض أن النقاب كان مضروبا على الوجه، فلم يبد من المرأة شئ قط.. وهذا زعم مردود، فقد قرأت نحو أثنى عشر حديثا فى أصح كتب السنة، تشير إلى أن النساء كن يكشفن وجوههن وأيدهن أيام النبى صلى الله عليه وسلم، فما أمر واحدة منهن بتغطية شئ من ذلك، وكذلك كان أصحابه رضوان الله تعال عليهم يفعلون.

(مات سعد بن خولة فى السنة العاشرة للهجرة وترك امرأته حاملا - وشاء الله تعالى أن تضع قبل عدة الوفاة - قبل أربعة أشهر وعشرة أيام - فتركت المرأة حدادها، وتجملت للخطاب - اكتحلت وتخضبت وتهيأت - فلقيها رجل اسمه أبو السنابل، وأنكر عليها ذلك وقال لها: لعلك تريدين الزواج؟ بعد

---

١ - الإمام البخارى : صحيح البخارى

الأربعة أشهر وعشر، قالت: فـأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت له ما قيل، فقال لها: قد حللت حين وضعت).[1]

وهذه القصة وقعت فى آخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مساغ للزعم أنها قبل الحجاب .. إن شيئا آخر غير دين الإسلام يراد فرضه على الأمة الإسلامية، والذين يريدون ذلك يخضعون لدوافع نفسية لا لشواهد علمية.

والشئ الوحيد الذى يذكرونه هو التأسى بأمهات المؤمنين ونقول لو كان التأسى بهن مطلوبا فى هذه القضية فلم تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، ولم تركوا الوجوه مكشوفة دون اعتراض؟

والواقع أن تنظيم البيت النبوى خضع لظروف خاصة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، عندما قال لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم (لستن كأحد من النساء)[2] وظاهر هذا التنظيم خاص بأمهات المؤمنين، وأنه بعد نزوله رئى النساء المؤمنات مقاتلات فى حنين، ورئين فى مناسبات كثيرة فى المسجد وغيره سافرات الوجوه، فما أنكر عليهن أحد، ومن الناس من يحظر رؤية النساء للرجال، والرجال للنساء مطلقا، واستدل لرأيه بما روى من

---

[1] - الحديث أخرجه البخارى فى كتاب المغازى باب فضل من شهد بدرا ٣١٠/٦ ط المكتبة السلفية.

[2] - سورة الأحزاب جزء من الآية ٣٢ .

كراهية الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يــرى نســاؤه عبــد الله بــن أن مكتوم، ويرى ابن حجر أن ذلك كان لسبب خـــاص، هــو أن عبــد الله أعمى لا يحسن تعهد ثيابه، وستر بدنه كله، وهـــو تعليــل اضطــر إليه ابن حجر، لما رأى الحديث يخـــالف الصحـــاح.

إن ابن حجر رد حديث (أفعمياوان أنتمـــا) بطريقتــه الخاصــة فتغاضى عن السند وتأول المتن .. لكن ابن العربـــى رفــض الحديــث سندا ومتنـــا ..

وقال عـــن نبــهان - راوى هــذا الحديــث - إنـــه مجــهول .. ونبهان هذا كان خادما لأم سلمة رضى الله عنـــها، ولــم يعــرف بيــن أهل العلم بشئ، وحديثه إذا كان قـــد خـــالف مـــا رواه البخـــارى فـــى رؤية عائشة للأحباش عنـــد عرضـــهم الريـــاضى، فـــهو قـــد خـــالف واقعة أخرى رواها مسلم أيضا، تتصل ببنـــت عـــم لابـــن أم مكتـــوم، أمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تقضى عدتـــها عنـــده.[١]

روى مسلم عن فاطمـــة بنـــت قيـــس أن زوجـــها عمـــر بـــن حفص طلقها البتة، طلقة ثالثة، فجـــاءت رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم فذكرت له ذلك، فأمرها أن تعتد فى بيـــت أم شـــريك، ثـــم قـــال

---

١ - أخرجه مسلم ونصه: عن مسلمة أنه قال : سألت فاطمة بنت قيس فأخبرتنيأُن زوجها المخزومى طلقها فـــأبى أن ينفق عليها، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (لا نفقى لك فاذهبى إلى ابن مكتوم فكونى عنـــده، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده، أخرجه مسلم فى كتاب الطلاق بابا المطلقة ثلاث لا نفقة لها ٢/١١١٥.

(تلك امرأة يغشاها أصحابي) اعتدى عند ابـن أم مكتـوم، فإنـه رجـل أعمى تضعين ثيابك عنده.. وفـي روايـة انتقلـي إلـي أم شـريك - وهى امرأة غنية من الأنصار واسـعة النفقـة فـي سـبيل الله تعـالى، ينزل عندها الضيفان - فقلـت: سـأفعل، ثـم بـدا لرسـول الله عليـه الصلاة والسلام أمر آخـر، فقـال: لا تفعلـى، إن أم شـريك امـرأة كثيرة الضيفان، فإني أكـره أن يسـقط خمـارك، أو ينكشـف الثـوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهيـن، ولكـن انتقلـى إلـى ابن عمها عبد الله بن أم مكتوم، فإنك إذا وضعـت خمـارك لـم يـرك - الوضع الإنزال والكشف[1] - فانتقلت إليـه فقـالت: فلمـا انقضـت عدتى، سمعت نداء المنادى: الصلاة جامعة، فخرجـت إلـى المسـجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، فلمـا قضـى صلاتـه جلس على المنبر، فقال: إنـي والله مـا جمعتكـم لرغبـة ولا لرهبـة ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كـان رجـلا نصرانيـا فجـاء وبـايع وأسـلم.[2]

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: ووجـه دلالـة الحديـث على أن الوجه ليس بعورة ظاهرة، وذلك لأن النبـي صلـى الله عليـه وسلم، أقر فاطمة بنت قيس على أن يراهـا الرجـال وعليـها الخمـار

---

[1] - وضع الشئ إذا ألقاه. لسان العرب ٣٩٦/٨ ط دار صادر بيروت ١٩٩٢.

[2] - أخرجه مسلم فى كتاب الفتن باب قصة الجاسة ٢٢٦١/٤ حديث رقم ١١٩.

- وهو غطاء الرأس[١] - فدل هذا على أن الوجه منها ليس بالواجب ستره، كما ستر رأسها، ولكنه صلى الله عليه وسلم خشى عليه أن يسقط الخمار عنها, فينظر منها ما هو محرم بالنص، فأمرها عليه الصلاة والسلام بما هو الأحوط لها، وهو الانتقال إلى دار ابن أم مكتوم الأعمى.

وقال (وهذه القصة وقعت فى آخر حياته صلى الله عليه وسلم لأن فاطمة بنت قيس ذكرت بعد انقضاء عدتها: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يحدث تميم الدارى أنه جاء وأسلم، وإسلام تميم كان سنة تسع للهجرة، فدل ذلك على تأخر القصة عن آية الحجاب، فالحديث إذن نص كذلك على أن الوجه ليس بعورة).

وفى السنة العاشرة للهجرة، وبعد نزول آية الحجاب بست سنوات وقعت قصة (الخثعمية) وهى امرأة جميلة الوجه جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر، وهو فى حجة الوداع تريد أن تستفتيه فى شأن ما من مناسك الحج..

قال الرواة: وكان الفضل بن العباس رديف النبى صلى الله عليه وسلم فلقته جمال المرأة. حدث الفضل عن نفسه - كما جاء

---

[١] - أخرجه البخارى فى كتاب الحج باب وجوب الحج وفضله ٣٧٨/٣ ومسلم فى كتاب الحج حديث رقم ٤٠٧.

فى مسند أحمد يقول: فكنت أنظر إليها، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فقلب وجهى عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثا وأنا لا أنتهى).

وأصل هذه القصة ثابت فى البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى[1] كانت المرأة وضيئة الوجه، لم يرو أحد عن صاحب الرسالة صلوات الله عليه أنه زجرها عن كشف وجهها، أو أتهمها ببث الفتنة وقلة الحياء، ولكن الملكيين أكثر من الملك، يريدون الاستدراك على المشرع الأعظم، وإطلاق ألسنتهم فى الناس، ويريدون طى هذه السنن الصحاح، وإبراز آثار منكرة تفيد أن المرأة تغطى عينا وتبدى أخرى، أو تغطى جسدها كله من الوجه إلى القدم، فلا يرى منها شئ ولا يسمع لها صوت لأن الصوت هو الآخر عورة.

إن هذا الغلو أعقب - على امتداد القرون - آثاراً اجتماعية سيئة قتلت شخصية المرأة وإنسانيتها، وأساءت ولا تزال تسئ إلى الإسلام.. يقول البعض لا بأس أن تضع المرأة نقابها على وجهها اقتداء بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم.

نقول: ولا بأس أيضا من تحريم الزواج على المرأة إذا مات زوجها امتداد لهذه الأسوة ...

---

[1] - البخارى ٣٧٨/٣، مسلم رقم ٤٠٧.

إننا نريد التزام خط إسلامي صحيح لا علاقة له بتبرج الغربيات ولا بهوان الشرقيات المسلمات وإهدار آدميتهن .. إن الغضب لله تعالى على العين والرأس .. أما الغضب لتقاليد ملصقة بالوحى دخيلة عليه فشئ لا تكترث له، ولا نخشى أصحابه.

قال لى صديق: إن الطريقة التى تعرض بها قضايا المرأة تخالف تقاليد قوية، ومذاهب مستقرة، وهذا يسئ إليك وقد يعوق آراء صالحة شرحتها للناس فى ميادين أخرى..

قلت نصيحة مقدورة وأحب أن أذكر لك ما عندى لتدرك ما هنالك.. إننى فى هذه القضية وفى غيرها أرفض الأحاديث الموضوعة والواهبة ولا أحترم التقاليد التى تبنى عليها.. أن العرف السائد يحكم عليه، ولا يحتكم إليه، والأساس المرعى هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإننى أعوذ بالله أن أكون قد خرجت عليهما، إن المتواتر يحكمنى .. والصحيح يلزمنى .. أما المرويات الأخرى فلا اكتراث.

أنهار العالم الإسلامى كله، وأصبح رجاله ونساؤه أمثلة مزرية للتخلف، فإذا جاء من يعيد الكرامة الأدبية والعقلية للمرأة ويعيد الأمة إلى معالم سلفها الأول قيل له: لا، والدليل؟ فقه مغشوش .. أو نقل مريض، أو رأى امرئ يريد التقدم بين يدى

الله ورسوله، ليجعل من سلوكه وإدراكه النهج الذى يفرض على الكتاب والسنة، ولا نهج غيره .. إننا نؤكد أن النصوص على العين والرأس، وأن الخلاف الفقهى وجهات نظر تخضع للموازنة والترجيح ولا قداسة لأحدهما، وأن من حق المسلمين فى أى بلد أن يدعوا رأيا تبين من تطبيقه أنه حطهم فى الداخل وأزرى بهم فى الخارج .. ولا يوصف أبدا ترك هذا الرأى بأنه ترك للدين، بل أن أغلب ما يشيع بين المسلمين فى المجال الإنسانى مخالف للدين، وليس وراءه اتباع محترم.[١]

تحت عنوان معركة الحجاب يقول الشيخ: (نريد للصحوة الإسلامية المعاصرة أمرين):

أولهما: البعد عن الأخطاء التى انحرفت بالأمة وأذهبت ريحها وأطمعت فيها عدوها.

والآخر: إعطاء صورة عملية للإسلام، تعجب الرائين، وتمحو الشبهات القديمة وتنصف الوحى الألهى.

ويؤسفنى أن بعض المنسوبين إلى هذه الصحوة فشل فى تحقيق الأمرين، بل ربما فى إخافة الناس من الإسلام، ومكن خصومه من بسط ألسنتهم فيه..

---

[١] - الشيخ محمد الغزالى : مائة سؤال عن الإسلام ص ٤٤٨٠ وما بعدها ط أولى ١٩٨٤ دار ثابت.

قرأت كتيبا فى إحدى دول الخليج يقول فيـــه مؤلفــه:

إن الإسلام حرم الزنا وإن كشــف الوجــه ذريعــة إليــه، فــهو حرام لما ينشأ عنه من عصيـــان..

قلت: إن الإسلام أوجب كشف الوجه فـــى الحــج، وألفــه فــى الصلوات كلها، أفكان بهذا الكشــف فــى ركنيــن مــن أركانــه يثـير الغرائز ويمهد للجريمة؟ ما أضل هـــذا الاســتدلال..

وقد رأى النبى صلـــى الله عليــه وســلم الوجــوه ســافرة فــى المواسم والمساجد، والأسواق، فمـــا روى عنــه أنــه أمــر بتغطيتــها، فهل أنتم أغير على الدين والشرف مــن الله ورســوله؟

ولننظر إلى كتاب الله تعـــالى:

١- إذا كانت الوجوه مغطاة فمـــم يغــض المؤمنــون أبصـــارهم كمـــا جاء فى الآية الشريفة (قـــل للمؤمنيــن يغضـــوا مــن أبصـــارهم ويحفظوا فروجهم، ذلـــك أزكـــى لـــهم[1] أيغضونـــها عــن القفـــا والظهر؟الغض يكون عند مطالعة الوجـــوه بداهـــة، وربمـــا رأى الرجل ما يستحسنه من المـــرأة فعليــه ألا يعـــاود النظـــر عندئـــذ كما جاء فى الحديث: قـــال رســول الله صلـــى الله عليــه وســلم

---

١ - سورة النور: ٣٠.

ولعلى رضى الله عنه: (يا على لا تتبع النظرة النظـــرة فـــإن لـــك الأولى وليست لك الأخـــرى).[١]

وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم من تســـتثار رغبتـــه عنـــد النظر المفاجئ، وعندئذ فـــالواجب علـــى المـــتزوج أن يســـتغنى بمـــا عنده كما روى جابر عـــن النبـــى صلـــى الله عليـــه وســـلم: (إذ رأى أحكم امرأة فأعجبته فليأت أهله- أى ليذهب إلى زوجتـــه- فـــإن ذلـــك يرد ما فى نفسه)[٢] فإن لم تكن لـــه زوجـــه فليتبـــع قـــول الله تبـــارك وتعالى (وليستعفف الذيـــن لا يجـــدون نكاحـــا حتـــى يغنيـــهم الله مـــن فضلـــه)[٣]

وقد حكى القاضى عياض عـــن علمـــاء عصـــره - كمـــا روى الشـــوكانى أن المـــرأة لا يلزمـــها ســـتر وجهـــها وهـــى تســـير فـــى الطريق، وعلى الرجال غض البصر كما أمرهـــم الله تعـــالى.

قال البعض: إن الأمـــر بكشـــف الوجـــه فـــى الحـــج، أو فـــى الصلاة يعطى أن الوجه يجـــب ســـتره فيمـــا وراء ذلـــك، وأن علـــى المرأة ارتداء النقاب والقفـــازين.

---

١ - الحديث أخرجه الترمذى من حديث شريك فى كتاب النكاح باب ما جاء فى نظرة المفاجأة ١٠١/٥ وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

٢ - الحديث رواه الإمام مسلم عن جابر ١٣٠/٢ كتاب النكاح ط دار الفكر.

٣ - سورة النور: ٣٣.

ونقول: هل إذا أمر الله تعالى الحجاج بتعرية رؤسهم في الإحرام كان ذلك يفيد أن الرؤس تغطى وجوبا في غير الإحرام؟ من قال ذلك؟ من شاء غطى رأسه ومن شاء كشفه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه - لم يجبها بشئ- فلما رأت أنه لم يقض فيها بشئ جلست..)[1]، وفي رواية أخرى أن أحد الصحابة خطبها، ولم يكن معه مهر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم التمس ولو خاتما من حديد، وانتهت القصة بزواجه منها والسؤال: فيم صعد النظر وصوبه إن كانت منقبة؟

على أن قوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن[1]) يحتاج إلى تأمل، إذا لو كان المراد إسدال الخمار على الوجه لقال: ليضربن بخمرهن على وجوههن، ما دامت تغطية الوجه هي شعار العالم الإسلامي، وما دامت للنقاب هذه المنزلة الهائلة التي تنسب إليه .. وعند التطبيق العملي لهذا الفهم، اضطرت النساء لاصطناع البراقع، أو حجب أخرى على النصف الأدنى للوجه كي يستطعن السير، فإن إسدال الخمار من فوق يغشي

---

(١) متفق عليه .

٢- سورة النور: ٣١.

العيون، ويعسر الرؤية ، ومن ثـم فنحـن نـرى الآيـة لا نـص فيـها على تغطية الوجـوه.

ولا شك أن بعض النساء فى الجاهلية، وعلـى عـهد الإسـلام، كن يغطين أحيانا وجوههن، مـع بقـاء العيـون دون غطـاء، وهـذا العمل كان من العادات لا من العبادات فـلا عبـادة إلا بنـص، ويـدل على ما ذكرنا أن امرأة جاءت إلى النبى صلى الله عليـه وسـلم يقـال لها (أم خلاد) وهى منتقبة تسأل عـن ابنـها الـذى قتـل فـى أحـدى الغزوات، فقال لها بعـض أصحـاب النبـى صلـى الله عليـه وسـلم جئت تسألين عن ابنك وأنـت منتقبـة؟ فقـالت المـرأة الصالحـة: إن أرزأ فى أبنى فلم أرزأ فى حيـائى، واسـتغراب الأصحـاب لتنقيـب المرأة دليل على النقاب لم يكن عبـادة[1]

قد يقال: إن مـا روى عـن عائشـة يؤكـد أن النقـاب تقليـد إسلامى، فقد قالت: كان الركبان يمرون بنـا ونحـن محرمـات فـإذا جازوا بنا سدلت إحدانـا جلبابـها مـن رأسـها علـى وجهـها، فـإذا جاوزنا كشـفناه[2]

ونجيب بأن هذا الحديث ضعيف من ناحيـة السـند، شـاذ مـن ناحية المتن فلا احتجاج بـه.

[1] - الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم ٣/ ٥، ٦

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والبيهقي .

والغريب أن هذا الحديث المردود يروج له دعـــاة النقـــاب مـــع أنهم يردون حديثا خيرا منه حـــالا، وهـــو حديـــث عائشـــة أن أســـماء بنت أبى بكر دخلت على النبى صلى الله عليـــه وســـلم وعليـــها ثيـــاب رقاق فأعرض عنها وقال: (يا أسماء إن المـــرأة إذا بلغـــت المحيـــض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهـــه وكفيـــه)[1]

ونحـــن نعـــرف أن الحديـــث مرســـل، ولكـــن الحديـــث قوتـــه روايات أخرى، وهو أقوى من الحديث الـــذى ســـبقه.

ويقيم الشيخ آراءه فيقول: (هـــل مـــا قلتـــه رأى انفـــردت بـــه؟ كلا كلا أنـــه رأى المذاهـــب الأربعـــة - الفقـــهاء الأربعـــة الكبـــار - ورأى أئمة التفسير البارزين .. إن المشـــاغبين علـــى ســـفور الوجـــه يظاهرون رأيا مرجوحا، ويتصرفون فى قضايـــا المـــرأة كلـــها علـــى نحو يهز الكيان الروحى والثقـــافى والاجتمـــاعى لأمـــة أكلـــها الجـــهل والأعوجاج لما حكمت على المرأة بـــالموت الأدبـــى والعلمـــى.[2]

وظيفـــة الثيـــاب:

وعن وظيفة الثياب يقـــول الشـــيخ: (إن تعريـــة المـــرأة حينـــا، وحشرها فى ملابس ضيقة حينـــا آخـــر، وعمـــل لـــم يشـــرف عليـــه علماء الأخلاق وإنما قام به تجار الرقيق، ولكى توفـــر تربيـــة شـــريفة

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ، وإرواء الغليل وصحيح الجامع الصغير وتخريج الحلال والحرام .

٢- الشيخ محمد الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث س ٤٤ وما بعدها بتصرف.

للجنسين يجب أن نعـــترض هــذا الموكـــب الســـاخر مـــن الكاســـيات العاريـــات.

أن من حق المـــــرأة أن تتجمـــل، ولكـــن ليـــس مـــن حقـــها أن تتبرج، ولا أن ترتدى ثوب شهرة تختال فيه وتســــتلفت الأنظـــار، بـــل أن الإسلام رفض ذلك من الرجال والنســـاء جميعـــا.

قال رســـول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم: "لا ينظـــر الله يـــوم القيامة - إلى من جر ثوبه خيلاء[1]" وإنـــها لطفولـــة عقليـــة ســـخيفة أن يرى امرأ ما مكانته فى حــــذاء لامـــع، أو رداء مطـــرز بـــالحرير أو الذهب .... إذا لم يتحصن المرء فى نصـــــاب كبـــير مـــن العلـــم أو الخلق فلن يغنى عنـــــه جمـــال الثيـــاب وليـــن الأهـــاب .. وللملابـــس وظيفتها المقررة، ولا يجوز أن تكون وســـــيلة للإغـــراء المكـــروه، أو التطاول المعيـــب.(٢)

نمـاذج مرفوضـة:

فى الوقت الذى يدافع فيه الشيخ بشدة عـــــن حقـــوق المـــرأة، لا يقبل النماذج التى تخـــرج بـــها المـــرأة عـــن الحيـــاء، وعـــن أســـاس

(١) الحديث أخرجه البخاري ك : اللباس .

٢ - الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص ١٩٣ ط دار الشروق ١٩٩٠م.

دورها الطاهر العظيم فى المجتمع، وعن هذه النماذج المرفوضة يقول:

(فى عصرنا الحديث افتن الذين يتبعون الشهوات فى عرض مفاتن النساء، وإقحامهن فى كل ميدان، دونما حاجة إلى هذا الإقحام .. عند عرض "راديو" جديد قالوا: صوته صوت سيدة، وعند عرض شراب بارد، جاؤا بامرأة تضع عنق الزجاجة فى فمها، وعند عرض ثوب للعمل أو الراحة، جاءوا بامرأة ترتديه فى أوضاع شتى، وعندما شاءوا خدمة ركاب الطائرات جاءوا بفتاة تحسن التلطف فى تقديم الطعام، وعندما أرادوا مزيدا من الإقبال على شراء السلع جاءوا بامرأة تجلس إلى الخزينة وتقبض النقود، وعندما يريد مدير عظيم أن يبرز سطوته وأناقته يجئ بامرأة تكون (سكرتيرة) لمكتبه..

وقال لى بعض من يعرفون أوربا: إن هناك دورا للبغاء توضع النساء فيها وراء الزجاج، لكى تنظر الذئاب الجائعة، ثم تختار ما يعجبها..

إننى لا أظن البشرية عرفت عصرا أمكن فيه السطو على المرأة واستباحتها ظاهرا وباطنا، كهذا العصر الذى نحيا فيه...

فهل هذا هو تحرير المرأة؟ أن المسافة واسعة بين ابتذال المرأة كما يريد البعض، زبين ضمان حقوقها الإنسانية التى كفلها

الوحى، وضن بها البعض .. إن ما يقع الآن فى الغـــرب ونقلـــده فـــى الشرق، هو فيضان مشاعر مسعورة وأهـــواء جامحـــة، تريـــد المـــرأة لمباذل سيئة، وليس مـــن وراء هـــذا احـــترام الديـــن، أو رغبـــة فـــى أنصاف النساء وصون إنســـانيتهن .. والـــذى يدعـــو إلـــى الأســـى أن بعض المتدينين عندنا لا يفهم من تحريـــــر المـــرأة إلا هـــذه الصـــورة التى ننكرها ونلعن أصحابها، وقد تكـــون رد فعـــل لحبســـها الطويـــل فى الظلام، وعجزها عـــن الأخـــذ لنفســـها، وقـــدرة بعـــض الرجـــال الأشرار على دفعها إلى الهاويـــة.

المرأة فى الإسلام:

إن الإسلام نسق آخر فى الفكـــر والســـلوك، بعيـــد عـــن هـــذا الشطط، أساسه أن النساء شقائق الرجال، وأن بيئـــهن وبيـــن الرجـــال حقوقا متبادلة، وكرامات متساوية: (لا أضيع عمل عـــامل منكـــم مـــن ذكر أو أنثى بعضكم من بعـــض)[١]

وعلى هذا الأســـاس طـــار المجتمـــع الإنســـانى - الإســـلامى - إلى أهدافه العليا بجناحين مـــن الذكـــورة والأنوثـــة، ووســـع المســـجد الجنسين معا، يطلبان العبادة والمعرفـــة.

---

[١] - سورة آل عمران: ١٩٥

فهم مخـالف:

يقـول الشـيخ: المصيبـة أن بعـض المتدينيـن دون مسـتوى الفهم لطبيعة المجتمع الإنسانى. ولوظيفـة المجتمـع الإسـلامى. وقـد رفع عضديه فى الأيام الأخـيرة مـن يقـول: لا عمـل للمـرأة إلا أن تضع الأولاد .. وعندما تكون المرأة بقـرة للإنجـاب فقـط، فلابـد أن يكون رجلها ثورا، ولأبد أن تنحدر الأمة كلها إلـى أن تكـون حديقـة حيوانـات.

هل الإسلام رسالته إلى العـالمين بمجتمـع مـن هـذا النـوع الهابط..؟ إننا نرفض المجتمـع المنحـل، ونرفـض كذلـك المجتمـع المختل، ونرفض أن تكون المرأة دابة للنسـل، وتنتـهى رسـالتها فـى الدنيا إلى هذه الغاية المهينـة..

وظائف المرأة فى الإسـلام:

المرأة تتعلم وتتعبد وتجـاهد، ولـها الحقـوق فـى أن تـدرس وتطبب وتتاجر، وتقوم بأعمال شـتى تتناسـب بداهـة مـع طبيعتـها الأنثوية، وعملها الأول والأهم أن تكون ربـة بيـت وحاضنـة أسـرة وهذا العمل يتطلب ثروة من الأدب والعلـم لا حصـر لـها، وإلا فـإن المرأة الجهول لن تنشئ إلا ذريـة أسـوأ ..

إن المرأة فـــى صـــدر الإســـلام عندمـــا آمنـــت بـــالله تعـــالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، أسهمت بكـــل قواهـــا الماديـــة والأدبيـــة فى نصرة الدين وإعلاء رايته، بـــدءا مـــن قعـــر البيـــت إلـــى طلـــب الجهاد فى البحر على ظهر الأسطول الإســـلامى، فـــى نطـــاق محكـــم من تعاليم الإسلام الموفرة للعفـــاف والطـــهر.

وينقل الشيخ عن الأستاذ عبـــد الحليـــم أبـــو شـــقة قولـــه عـــن المرأة:

- يا ليتهم ستروا وجهها فقط ولم يحجبوها عـــن المســـجد.

(لا تمنعوا إماء الله مســـاجد الله)

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن الاحتفـــال بـــالعيد.

(أمرنـــا نبينـــا أن نخـــرج العواتـــق وذوات الخـــدور ليشـــهدن الخـــير ....)[1]

- يـــا ليتـــهم ســـتروا وجهـــها ولـــم يحجبوهـــا عـــن المحـــاضرات والنـــدوات.

(جاءت امرأة إلى رسول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم فقـــالت: يـــا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فـــاجعل لنـــا مـــن نفســـك يومـــا

---

[1] - الحديث أخرجه البخارى فى كتاب العيدين باب إذا لم يكن لها جلباب فى العديد ٤٦٩/٢.

نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله: فقـــال: اجتمعنَ يــوم كـــذا وكـــذا فى مكان كذا وكـــذا).[١]

- يا ليتهم ستروا وجهـــها ولـــم يمنعوهـــا عـــن الأمـــر بـــالمعروف والنهى عن المنكـــر:

(قالت أم الدرداء لعبد الملك بن مروان: لعنـــت خـــادمك ورســـول الله صلى الله عليه وســـلم يقـــول (لا يكـــون اللعـــانون شـــفعاء ولا شهداء يوم القيامـــة).[٢]

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن العمـــل والكســـب:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة فـــى فـــترة العـــدة:

(جدى نخلك فأنك عسى أن تصدقـــى أو تفعلـــى معروفـــا). [٣]

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن الإســـهام فـــى الجـــهاد:

- يا ليتهم ستروا وجهـــها ولـــم يجبوهـــا عـــن النشـــاط الاجتمـــاعى والسياســـى:

إن الحجاب الذى يعنون بينـــه وبيـــن الإســـلام بعـــد المشـــرقين وإن تحديد الموقف الإسلامى من قضايا المـــرأة - كمـــا شـــاءه الله

---

١ - أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام باب تعليم النبى صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء ٢٩٢/١٣.

٢ - الحديث أخرجة مسلم فى ك البر والصلة ٢٠٠٦/٤ حديث رقم ٨٥ ، ٨٦ وأحمد فى مسنده ٤٤٨/٦.

٣ - الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الطلاق ٢٨٩/٢ باب فى المتوبة.

تعالى - يوصد أبواب الشبه التى يلج منـــها المنصـــرون .. وينقــذ أمتنا من عواقب الإفراط والتفريـــط.[١]

نقل الشيخ هنا كلاما كثيرا عن الأستاذ عبـــد الحليـــم أبـــو شـــقة[٢] مكررا نداءه (يا ليتهم)، إلا أن الكلام بعـــد هـــذه الفقـــرة يحمـــل أدلـــة سبق عرضها عن طريق الشـــيخ نفســـه دون الرجـــوع إلـــى الأســـتاذ (أبو شـــقة).

والفقرات السابقة من كتاب صيحـــة تحذيـــر تحمـــل مفـــهومين متغايرين، مفهوم حرية المرأة عند الغـــرب ومـــن يقلدهـــم مـــن بـــلاد المسلمين وهذا مرفوض تماما عنـــد الشـــيخ.

والمفهوم الآخـــر هـــو مفـــهوم حريـــة المـــرأة وحقوقـــها فـــى الإسلام، فى إطار من الشرع والعفة والطهر، وهـــذا المفـــهوم يدافـــع عنه الشيخ بقوة، وقد يضطره هذا الدفاع إلـــى الوقـــوف مـــن بعـــض الأحاديث موقفا لا يرضى كثيرا من علمـــاء الحديـــث. وســـوف يـــأتى التعليق على هذه القضية عند الحديث عن موقـــف الشـــيخ مـــن الســـنة الشـــريفة.

١- الشيخ محمد الغزالى : صيحة تحذير من دعاة التنصير ص ١٣٩ وما بعدها بتصرف ط دار الصحوة للنشر ١٩٩١.

(٢) الأستاذ عبد الحليم أبو شقة له موسوعة عن المرأة بعنوان " تحرير المرأة في عصر الرسالة " قدم لها الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي وطبعتها دار القلم . وهي دراسة لقضايا المرأة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . وقد أثنى عليها كثير من الباحثين منهم د/ محمد بلتاجي .

مصادر الشيخ فى كشف الوجـه:

يقدم الشيخ لمصادره فى كشف وجه المرأة بتقدمـة غاية فى البراعة فيقـول:

(لقينى رجل فوق الأربعين يتحدث وكأنه يـافع غـر. قـال لـى بصوت مهتاج: أنت الذى تفتـى بـأن وجـه المـرأة وصوتـها ليسـا بعورة قلت بهدوء: نعم قال: أما تتقـى الله؟ قلـت: أوصيـك ونفسـى بتقوى الله .. قال إنك مخطئ فيما تذكره للنـاس ويجـب أن تتـوب.

قلت: لست وحدى الملوم، فإن كبـار[1] المفسـرين سـبقونى إلـى هذا الخطأ، كما سبقنى إليـه رواة عشـرة مـن الأحـاديث الصحـاح وشاركنى فى خطئـى أيضـا أئمـة المذاهـب الأربعـة وعـدد مـن المذاهب الفقهية الأخرى.. أولئك جميعـا هـم الذيـن اسـتقيت منـهم قولى، أو تابعتهم فى غلطهم، ولا أشـعر بغضاضـة إذا كنـا جميعـا أصحاب تهمة واحـدة..

قال الرجل وهو دهش: مـاذا تقـول ، أهـؤلاء جميعـا يفتـون بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة؟ قلـت نعـم. ولكنكـم تؤثـرون التقاليد السائدة بآراء مرجوحـة، ولنفـرض جـدلا، أن فـى المسـألة قولين، اخترت أنا أحدهما فلم الغضب ولـم التحـامل والشـتم؟؟ هـل سمعت حديث سلمان وأبـى الـدرداء؟ قـال: لا قلـت: اسـمع (روى البخارى عن أبى جحيفة قال : آخى النبي صلى الله عليـة وسـلم بـن

---

(١) من المفسرين النين ذهبوا إلـى أن الوجـه والكفيـن ليسـا مـن العـورة : الأئمـة الطـبري والجصاص والواحدي والبغوي والزمخشري وابن العربي والفخر الرازي والقرطبي والخازن والنيسابوري وأبو حيان وأبو السعود وابن باديس . ومن هذا يعلم أن الشيخ الغزالي لـم يـأت ببدع من القول بل سبقه إلى رأيه أفذاذ المفسرين .. فكيف يصفه الخصوم بأنه متأثر ومبـهور بالحضارة الغربية ؟ (المؤلف) .

سلمان الفارسى وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة - عليها ثياب لا جمال فيها - فقال لها: ما شأنك؟ لماذا هذا المنظر؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى النساء.

وجاء أبو الدرداء وصنع طعاما، وقال لسلمان: كل فأنى صائم فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل - أفطر لأداء حق الضيف - فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له نم فنام، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا، وقال سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك - زوجك - عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه.

فأتى أو الدرداء النبى صلى الله علية وسلم فذكر له فقال النبى صلى الله علية وسلم: (صدق سلمان).[1]

والذى يعنينى من سرد الحديث الحوار الذى جاء فى صدره فلو أن هذا الحوار وقع فى عصرنا لضرب الزائر، وقتلت المرأة .. ولقيل للرجل: ماذا يعنيك من النظر إلى ملابس الزوجة؟ ولماذا تتطفل بهذه الملاحظة، ولقيل للزوجة: كيف تشكين زوجك وتكشفين للآخرين انصرافه عنك؟ لكن سلامة الفطرة فى عصر

---

[1] - الحديث أخرجه الترمذى فى ك الزهد ب ٦٣ جـ ٦٠٨/٤ ، ٦٠٩ وقال هذا الحديث صحيح.

الصحابة تنفى كل شبهة، ولا تدع لضنون السوء مكانا، فلما فسدت النفوس جاء قول الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

. وعلى هذا الأساس وجدنا الطباع المريضة تصف كشف الوجه بأنه فجور، وأنه حرام لأنه باب إلى الكبائر[1] والعياذ بالله تعالى.

حسنا فعل للشيخ حين ساق أدلته على أن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة، فقد سبقه - كما قال - أئمة المفسرين وعشرة من رواة الحديث، والمذاهب الأربعة، وبعض المذاهب الأخرى، ويرجع الشيخ غياب هذه الحقائق الدينية إلى تحكيم التقاليد السائدة فى قضايا المرأة، وربما كان هذا فى الماضى البعيد، ولكن فى عصرنا الحاضر، يضاف إلى التقاليد السائدة، حرية المرأة فى الغرب وخوف بعض المسلمين من هذه الحرية- الإباحية - ولكن الشيخ نفسه يرفض هذه الإباحية ويطالب بحرية إسلامية، وهو يقول: إن تجاهل حقوق المرأة من عبادة فى المساجد، وتعليم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، كل هذا لا يؤثر على المرأة وحدها حين يفقدها إنسانيتها، ولكنه يؤثر على الأمة الإسلامية كلها فى رحلتها إلى أهدافها الخالدة.

---

[1] - الشيخ الغزالى : الحق المر ٦١/٣

الفصل الثالث

المتابعة

يرى الشيخ أنه لم يأت بجديد في كشف وجه المرأة ، وأنه تابع كبار المفسرين والفقهاء وعشرة من رواة الأحاديث الصحيحة .. وسوف نؤصل لهذه القضية كما يلي :

أولاً : آراء بعض المفسرين :

الإمام القرطبي :

يرى الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : (... ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ..) [١] ، استثنى ما يظهر من الزينة .

واختلف الناس في ذلك ، فقال ابن مسعود : " ظاهر الزينة هو الثياب " وزاد ابن جبير الوجه . وقال سعيد بن جبير وعطاء والأوزاعي : الوجه والكفان والثياب .

وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفتخ ، ونحو هذا فمباح ، لأن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس .

قال ابن عطية : " ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدي وجهها ، وأن يجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فلابد منه ، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه " .

---

(١) سورة النور : ٣١ .

يقول القرطبي عن قول ابن عطية : قلت : هذا قول حسن ، إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة ، وذلك في الصلاة والحج فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما ، وهذا أقوى في جانب الاحتياط ، ولمراعاة فساد الناس ، فلا تبدي المرأة من زينتها إلا ما ظهر من وجهها وكفيها والله الموفق لا رب سواه " .

وقد قال أحد علمائنا : (ابن خويز منداد) : " إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك ، وإن كانت عجوزاً أو قبيحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها " [١] .

= **الإمام ابن كثير** :

(إلا ما ظهر منها) : عن ابن عباس : وجهها وكفيها والخاتم .

وعن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك (الوجه والكفين) .

إن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير (ما ظهر منها) بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور [٢] .. ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه : أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : " يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا " وأشار إلى وجهه وكفيه [٣] .

---

[١] الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن [١٢ / ٢٢٨ ، ٢٢٩] ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥م .
[٢] الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم [٣ / ٢٨٣] ط دار المعرفة بيروت ١٩٦٩م .
[٣] سنن أبي داود .

قال أبو داود وأبو حاتم الرازي : هو مرسل لأن خالد بن دريك لم يسمع من عائشة . هكذا نقل عنهما ابن كثير .

= **النيسابوري** :

يقول في قوله تعالى : (إلا ما ظهر منها) إلا ما يظهر الإنسان على العادة الجارية ، وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان ، وفي الإماء كل ما يبدو عند المهنة ، وفي صوتها (المرأة) خلاف ، الأصح أنه ليس بعورة ، لأن نساء النبي ﷺ كن يروين الأخبار للرجال [١] .

تفسير أبو السعود :

في قوله تعالى : (إلا ما ظهر منها) : عند مزاولة الأمور التي لابد منها عادة ، كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في سترها حرجاً بيناً ، وقيل : المراد بالزينة مواضعها ، على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنهما ليسا بعورة .

(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كان النساء على عهد الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها ، فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن ستراً لما يبدو منها [٢] .

تفسير الكشاف :

في تفسير (ما ظهر منها) يقول : فإن قلت لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة ؟

---

[١] **النيسابوري : غرائب القرآن [٣ / ٢٤٦١] ط دار الصفوة ١٩٩٥م .**

[٢] **تفسير أبي السعود [٤ / ٨٣ ، ٨٤] ط دار الفكر . بيروت .**

قلت : لأن سترها فيه حرج ، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشـــياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها ، خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكـــاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن ، وهـــذا معنى قوله (إلا ما ظهر منها) يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظـــهوره ، والأصل فيه الظهور [١] .

= **تفسير الطبري** :

يرى ابن جرير في قوله تعالى : (إلا ما ظهر منها) إلا الوجه والكفيـــن إلا أن الشيخ محمد على الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا لهما رأي آخـــر : " أن الوجه من العورة والمقصود من الآية ما ظهر من غير قصد " [٢] .

= **في ظلال القرآن** :

يقول الأستاذ / سيد قطب في : (إلا ما ظهر منها) : " والزينة حـــلال للمرأة ، تلبية لفطرتها ، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة ، وأن تبـــدو جميلـــة والزينة تختلف من عصر إلى عصر ، ولكن أساسها في الفطـــرة واحـــد ، هـــو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله ، وتجليته للرجال ، والإســـلام لا يقـــاوم هذه الرغبة الفطرية ، ولكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور في الاتجـــاه بـــها إلى رجل واحد – هو شريك الحياة – يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه ..

فأما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين فيجوز كشفه لأن كشف الوجـــه واليدين مباح " [٣] .

---

(١) **الإمام الزمخشري : الكشاف [٣ / ٦١] ط الحلبي ١٩٧٢ .**
(٢) **مختصر تفسير الطبري [٢ / ٩٦، ٩٧] ط دار القرآن الكريم . بيروت .**
(٣) **الأستاذ سيد قطب : في ظلال القرآن [٤ / ٢٥١٢] ط دار الشروق ١٩٨٧ .**

يقف الشيخ في استناده إلى كثير من آراء المفسرين في كشف الوجه للمرأة ، موقفاً قيماً ، مؤيداً من أكثرهم ولو كان الشيخ يرحمه الله تعالى يذكر مصادره الصحيحة دائماً ، لوضع الأساس لآرائه وآراء المعارضين له وبقي الحكم بالصواب أو خلافه لمن يطالع الرأيين معاً ، لأن من يقرأ للشيخ ولا يجد ذكر المصادر يظنه يصدر عن رأيه فيما يقول ، أو يملك جراءة تتجاوز المعقول ولكن تأصيل آراء الشيخ كما جاء في الفقرات السابقة يثبت أن الشيخ داعية مخلص لدينه ولدعوته في آن واحد .

ثانياً : الآراء الفقهية :

الشافعية : قالوا حد العورة (في الصلاة) من المرأة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل على أذنيها ، ويستثنى من ذلك الوجه والكفان فقط ظاهرهما وباطنهما .

الحنابلة : قالوا : في حد العورة للمرأة كما قال الشافعية ، إلا أنهم استثنوا من الحرة الوجه فقط ، وما عداه منها فهو عورة .

المالكية : قالوا عن عورة المرأة : أما الوجه والكفان ظهراً وبطناً فهما ليستا من العورة مطلقاً .

عورة المرأة خارج الصلاة :

إذا كانت بحضرة رجل أجنبي أو امرأة غير مسلمة ، فعورتها جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعورة فيحل النظر لهما عند أمن الفتنة .. وصوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا

يستمعون منهن أحكام الدين ، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة ، ولو بتلاوة القرآن (١) .

وفي كتاب آخر للفقه على المذاهب الأربعة تتفق المذاهب على ما يلي :

في حضرة الأجانب (عورتها جميع بدنها ، ما عدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعورة ، فيحل النظر لهما عند أمن الفتنة) ، يخرج عن هذا الاتفاق الشافعية فيقولون : " إن وجه المرأة وكفيها عورة بالنسبة للرجل الأجنبي أما بالنسبة للمرأة الكافرة فإنهما ليسا بعورة .. وكذلك ما يظهر من المرأة المسلمة عند الخدمة في بيتها كالعنق والذراعين " (٢) .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : " وأنا ممن يرجحون أن الوجه والكفين ليسا بعورة ولا يجب تغطيتهما وأرى أن أدلة هذا الرأي أقوى من أدلة الرأي الآخر ، ومعي في هذا الرأي كثير من علماء هذا العصر مثل الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه " حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة " وجمهور علماء الأزهر في مصر ، وعلماء الزيتونة في تونس ، والقرويين في المغرب ، وغير قليل من علماء باكستان والهند وتركيا وغيرها "

ويقوم دكتور يوسف القرضاوي بسرد آراء المعارضين لكشف الوجه ويخلص إلى ما يلي :

" فإذا وجد من بنات المسلمين من تقتنع بهذا الرأي (المعارض) وترى أن كشف الوجه حرام ، وأن تغطيته فريضة ، فكيف نفرض عليها الرأي الآخر

---

(١) عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة [١ / ١٧٢] وما بعدها ط دار الكتب العلمية . بيروت بتصرف .

(٢) عبد الوهاب خلاف : الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٠٠ ط دار الشعب .

الذي تراه هي خطأ ومخالفا للنص ؟ إننا ننكر عليها حقا إذا رأت أن تفرض هي رأيها على الآخرين أو الأخريات ، وأن تحكم بالإثم أو الفسق على من عمل بالرأي الآخر ، وتعتبر هذا منكرا يجب محاربته ، مع اتفاق المحققين من العلماء على أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية .

لو فرض أن هذه المسلمة لا ترى وجوب التغطية للوجه ، وإنما تراه أورع وأتقى خروجاً من الخلاف ، وعملاً بالأحوط فقط ، فمن ذا الذي يمنعها من أن تأخذ بالأحوط لنفسها ودينها ، وكيف يسوغ أن تلام على ذلك ما دام هذا لا يؤذي أحداً ، ولا يضر بمصلحة عامة ولا خاصة ؟

ويختم بقوله : " وأود أن أبادر هنا فأؤكد حقيقة لا تحتاج إلى تأكيد ، لأنها عند أهل العلم معروفة غير منكورة ، مشهورة غير مهجورة ، وهي أن القول بعدم وجوب النقاب وبجواز كشف الوجه والكفين من المرأة المسلمة أمام الرجل الأجنبي غير المحرم لها هو قول جمهور الفقهاء الأئمة – ربما يقصد المذاهب – منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم – فلا وجه إذن للضجة المفتعلة والزوبعة المصطنعة التي أثارها بعض المخلصين من غير أهل العلم ، وبعض المتشددين من طلبة العلم ، ضد ما قاله الداعية الإسلامي "الشيخ محمد الغزالي في بعض كتبه ، أو بعض مقالاته كأنما أتى ببدع من القول ، أو جديد من الرأي وما هو إلا قول الأئمة المعتبرين والفقهاء المعدودين " (١) .

جاءت كلمات د/ يوسف القرضاوي عن الشيخ خاتمة جيدة لهذه المتابعة فقد أعطى لآراء الشيخ قيمتها حين ردها إلى أصولها ، وركز على نقطة هامة

---

(١) د/ يوسف القرضاوي : فتاوى معاصرة [٢ / ٣١٣] وما بعدها ط دار الوفاء – الثالثة ١٩٩٤م .

هي أن الشيخ متبع وليس مبتدعا ، وهذه الفكرة يغفل عنها بعض النـــاس حيـن يناقشون اراء الشيخ في كثير من المسائل المعروضة والتي يقول فيها الشيخ رأياً معينا .

حق المرأة في اختيار زوجها :

يبرر الشيخ تصديه لهذه القضية وانحيازه إلى رأي فقـهي معيـن بأنـه يسعى إلى تقوية الأسلوب الدعوي الذي يعطي للإسـلام حقـه بيـن الأديـان ، فالإسلام كما يرى الشيخ دعوة عالمية يجب ألا تعرض بأسلوب محلي يستصحب معا العادات والتقاليد والآراء الفقهية التي تنسجم مع هذه العادات والتقاليد ، هكذا يرى الشيخ ويعبر عن ذلك بقوله :

" هناك سباق قائم بين عدة أديان كي يثبت كل منها أنـه أولـى بالحيـاة وأجدر بالبقاء ، والغريب أن بعض المنتمين إلى الإسلام يجـهل هـذا الواقـع ، ويرتكب حماقات تسئ إلى دينه ، بل تنفر منه وتصد عنه ، ولعله مطمئن – مـن الناحية النفسية – إلى صدق عقائده وسلامة تعاليمه ، فعلى الناس أن يؤمنوا بـه إذا شاءوا ، أو يذهبوا إلى حيث ألفت .

وهذا جهل وطيش فإن السلعة النفيسة قد تكسد بسوء العرض ، وقصور الإعـلان وتسبقها سلع أخرى أحسن أصحابها الدعاية لها واجتذاب الأبصار إليها " .

حق المرأة في اختيار زوجها :

كنت أناقش رجلاً كندياً يسألني بضيق عن موقف الإسلام من المـرأة ، فجاء في حواري ، المرأة حرة في اختيار زوجها ، ولا يكن إكراهها على قبول

من تكره ، ولها أن تباشر عقدها أو توكل فيه كما تشاء .. وكان هناك من يرقبنا وهو ساخط ، وحمدت الله تعالى أنه لاذ بالصمت ، فلما انتهى الحوار اقترب مني المعترض – المؤدب – قائلا : لا يجوز أن تباشر المرأة عقدها ، بل الدين ضد هذا .

قلت : رأيك ضد هذا ، قلدت فيه بعض المذاهب الفقهية ، ورجحت أنا وجهة النظر الأخرى ، واعتقدت أنها أقرب إلى عقول الأوربيين والأمريكيين ، والعمل عليها يجري في أقطار إسلامية محترمة ، ومن مصلحة الإسلام أن تتسع دائرة هذه الأقطار ..

إن شرا مستطيرا يصيب الإسلام من تقوقع بعض أتباعه في آراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع ، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعترض عقائده وقيمه الكبرى [١] .

الحقوق المدنية والشرعية للمرأة :

يقول الشيخ : والمرأة والرجل في الحرية المدنية سواء ، فشخصيتها المعنوية ثابتة ، وحقها في التصرف ومباشرة جميع العقود مقرر في الشريعة لها أن تبيع وتشتري ، وأن توكل عن نفسها ، وأن تكون وكيلة عن غيرها ، وليس هناك ما يميز الرجل عنها في هذا المجال .

عقد الزواج :

وفي عقد الزواج كلام يجب أن يذكر هنا ، ليعرف منه مدى حق المرأة ومدى الحرية الممنوحة لها .

---

[١] الشيخ محمد الغزالي : قضايا المرأة ص ٢٩ .

لا يجوز لأحد إكراه المرأة على الزواج بمن تكره :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن " . قالوا : يا رسول الله : كيف إذنها ؟ قال : " أن تسكت " [١] .

وعن خنساء بنت خدام : أن أباها زوجها وهي ثيب دون أن تعرف رأيها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو فرد نكاحها .

وعن ابن عباس أن جارية بكرا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن أباها زوجها وهي كارهة ، فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم – أي رد الأمر إلى مشيئتها [٢].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه " جاءت فتاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، قال الراوي : فجعل الرسول أمرها إليها ، قالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شئ " [٣] .

وإذا كان رضا المرأة لابد منه في عقد الزواج ، فمن الذي يباشر هذا العقد ؟

يقول بعض الفقهاء : من حقها أن تستقل بمباشرة هذا العقد ، فهو كأي عقد آخر يصلح لها أن تباشره وإن كان الأولى بها والأليق بحياء المرأة أن تكل ذلك إلى أبيها أو أحد أوليائها .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب النكاح [٢ / ٢٣١] .
(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح [١ / ٦٠٢، ٦٠٣] .

دور ولي الأمر في عقد الزواج :

على أن الإسلام أباح لولي المرأة أن يعترض على الزواج إذا أساءت البنت التصرف فيه ، بأن اختارت لنفسها شخصا ساقط المروءة مطعون الكفاية لأن هذا الزواج يسئ إلى مستقبلها ، وإلى كرامة أسرتها ، وقد تكون الدوافع إليه شهوة عابرة أو نزوة طائشة ، أما إذا كان الزوج المختار لا مطعن فيه ، فليس لأحد حق الاعتراض عليه ، ويرى فقهاء آخرون ضمانا لاستقرار الأسرة أن يباشر العقد الولي نفسه ، بعد الاستيثاق من رضا الزوجة .. فذلك أحوط وأسلم . وفي كلتا الحالتين لا نجد انتقاصا من الحرية المدنية للمرأة [١].

حق المرأة في فسخ عقد الزواج :

في عصور متطاولة كان نصيب المرأة قليلا من الرحمة العامة الغامرة التي بعث بها صاحب الرسالة الخاتمة ، حاشا عصر البعثة الشريفة والخلافة الراشدة ، فإن المرأة شهدت أياما ذهبية .

تأمل موقف النبي صلى الله عليه وسلم من جميلة بنت أوس عندما جاءته تشكو بقاءها في بيت الزوجية لا لشئ إلا لأنها تكره هذا وتعاف عشرته ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : " لقد أعطاك زوجك حديقته مهرا فهل تردين عليه حديقته ؟ " قالت : نعم . فأمر الرجل فطلقها [٢] .

إن الأسرة لا تقوم على امرأة تبغض الرجل وتشتهي مفارقته ، ومن هنا قال سبحانه وتعالى : (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما

---

[١] الشيخ محمد الغزالي : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص ١٣٦ ، ١٣٧ ط دار الدعوة ١٩٩٣م .

[٢] الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في الخلع [٢/ ٢٦٨ ، ٢٦٩] .

افتـــدت به) [١] .

وهل هذا الخلع طلاق أو فسخ للعقد ؟ بحث لا نتعرض له هنـــا وإنمـــا نتعرض لعوج فقهي ، أو قانون عاصرته في مصر ، فقد كان القضاء الشـــرعي يحكم بأن يقود رجال الشرطة المرأة الكارهة بالقوة إلى بيت الطاعـــة لتحتضـــن من تبغض .. وكان رد الفعل لهذا المسلك أن وضع قانون آخر باســـم الشـــريعة يخرج الرجل من البيت إذا أوقع الطلاق .

لم هذا الاضطراب في فهم الدين وتطبيقه ؟ وأين قوله تعالى (إمســـاك بمعروف أو تسريح بإحسان) [٢] .

إن للمسلمين غرائب في فهم شريعة الخلع وشريعة الطلاق لا تقيم علـــى فقه واع واسع الأفق [٣] .

الطلاق والضرورة النفسية :

يقول الشيخ : إن المجتمعات في الشرق والغرب اعترفت بأن الطلاق قـد يكون ضرورة نفسية واجتماعية ، وأنه ليس سوطا في يد الرجل ، بل قد يكـــون فكاكا لإسار المرأة .. وأعرف أسرا إسلامية جعل الدين أفرادها جسدا واحدا فمـا يعبر الطلاق بخاطر أحد .إن تماسكها أمتن وأزكى .

ولكن الأمة الإسلامية في أيام اضمحلالها العقلي والنفسي نسيت وظيفـــة الأسرة وتنشئة الأولاد وبناء المستقبل على الحاضر ، وربما علق أحـــد النـــاس مستقبل بيته على رطل لحم يرفض شراؤه ، فيحلف بالطلاق على ذلك ، ماذا

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٩ .
(٢) سورة البقرة : ٢٩٩ .
(٣) الشيخ محمد الغزالي : المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ٩٨ .

نقول إلا ما قاله الله تعالى في هذه الأحوال وهو يختم سورة الطلاق (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) [١] .

إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس ، وحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة ، واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى ، وأبت إعمال التعاليم الإسلامية ، فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها [٢] .

ويرى الشيخ – يرحمه الله تعالى – أن من حق المرأة تزويج نفسها أو بالأحرى اختيار زوجها ، ومن حقها أيضاً طلب الطلاق في حالة تعسر الحياة الزوجية ، وتحمل المرأة مشقة فوق طاقتها النفسية والجسدية .

هل يوافق الفقهاء الشيخ فيما ذهب إليه :

عن ثبوت الولاية في النكاح يقول الكاساني : : فلا تثبت هذه الولاية على البالغ العاقل ، ولا على العاقلة البالغة ، وعلى أصل الشافعي شرط ثبوت ولاية الاستبداد في الغلام هو الصغر ، وفي الجارية البكارة سواء كانت صغيرة أو بالغة ، فلا تثبت هذه الولاية عنده على الثيب سواء كانت بالغة أو صغيرة ، والأصل : أن هذه الولاية على أصل أصحابنا تدور مع الصغر وجوداً وعدماً ، في الصغر والصغيرة ، أما في الصغيرة فإنها تدور مع البكارة وجودا وعدماً ، وفي الكبيرة والكبيرة تدور مع الجنون وجوداً وعدماً ..

---

[١] **سورة الطلاق : ٨ .**

[٢] **الشيخ محمد الغزالي : قضايا المرأة ص ٥٩ ، ٦٠ .**

قال زفر : إذا طرأ الجنون لم يجز للولي التزويج وعلى هذا يستثنى أن الأب والجد لا يملكان إنكاح البكر البالغة بغير رضاها عندنا .

وقال الشافعي : يملكانه ..

ولنا أن الثيب البالغة لا تزوج إلا برضاها ، فكذا البكر البالغة ، والجامع بينهما وجهان :

الأول : طريق أبي حنيفة وأبي يوسف : أن ولاية الحتم والإيجاب في حالة الصغر إنما تثبت بطريق النيابة عن الصغيرة لعجزها عن التصرف على وجه النظر والمصلحة بنفسها ، وبالبلوغ والعقل زال العجز وثبتت القدرة حقيقة ولهذا صارت من أهل الخطاب في أحكام الشرع إلا أنها مع قدرتها حقيقة عاجزة عن مباشرة النكاح عجز ندب واستحباب لأنها تحتاج إلى الخروج إلى محافل الرجال ، والمرأة مخدرة مستورة والخروج إلى محفل الرجال من النساء عيب في العادة ، فكان عجزها عجز ندب واستحباب لا حقيقة .

الثاني : عن محمد : فهو الثابت بعد البلوغ ولاية الشركة لا ولاية الاستبداد فلابد من الرضا كما في الثيب البالغة ، وإذا كان الرضا في نكاح البالغة شرط الجواز ، فإذا زوجت بغير إذنها توقف التزويج على رضاها ، فإن رضيت جاز وإن ردت بطل . فإن كان ثيبا فرضاها يعرف بالقول تارة وبالفعل أخرى .. وإن كانت بكرا فإن رضاها يعرف بهذين الطريقين وبثالث وهو السكوت ، وهذا استحسان والقياس أن لا يكون سكوتها رضا ، وجه القياس أن السكوت يحتمل الرضا ، ويحتمل السخط ، فلا يصلح دليل الرضا مع الشك والاحتمال " [١] .

---

[١] الكاساني الحنفي : بدائع الصنائع [٢/ ٣٦١، ٣٦٢] ط دار الفكر ١٩٩٦ .

يتلخص مما سبق من البدائع أن تزويج المرأة ثيباً كانت أم بكراً يتوقف على رضاها .

ويرحم الله تعالى إمامنا الشافعي لأنه يجيز زواج البكر من غير رضاها كيف ؟ ولكن النفس تستريح إلى آراء الأحناف في زواج البكر والثيب على السواء .

يقول ابن رشد عن الولاية في الزواج : " اختلف العلماء : هل الولاية شرط من شروط صحة النكاح أم ليست بشرط ؟

ذهب مالك إلى أنه لا يكون نكاحاً إلا بولي ، وبه قال الشافعي . وقال أبو حنيفة وزفر والشعبي والزهري : إذا عقدت المرأة نكاحها بغير ولي وكان كفؤاً جاز ، وفرق داود بين البكر والثيب فقال باشتراط الولي في البكر ، وعدم اشتراطه في الثيب " (١) .

تتأرجح الآراء بين اشتراط الولي وعدم اشتراطه إلا أن أحداً لا يقول بجواز النكاح بدون رضا المرأة ثيباً كانت أم بكراً .

يقول د / يوسف القرضاوي عن رأي الإمام الشافعي في تزويج الأب ابنته البكر البالغة بغير رضاها : " من الإنصاف للمجتهدين أن نضع آراءهم في إطارها التاريخي فإن المجتهد ابن بيئته وزمنه ، ولا يمكن إغفال العنصر الذاتي للمجتهد ، وقد عاش الإمام الشافعي في عصر قلما كانت تعرف الفتاة عمن يتقدم إليها شيئاً ، لهذا أعطى والدها خاصة حق تزويجها ولو بغير استئذانها ، لكمال شفقته عليها .

---

(١) ابن رشد : بداية المجتهد [٢ / ٨ ، ٩] ط الحلبي ١٩٨١ .

ومن يدري لعل الشافعي لو عاش إلى زماننا هذا ، ورأى ما وصلت إليه الفتاة من ثقافة وعلم ، وأنها أصبحت قادرة على التمييز بين الرجال الذين يتقدمون ، وأنها إذا زوجت بغير رضاها ستستحيل حياتها الزوجية إلى جحيم عليها وعلى زوجها لعله لو رأى ذلك لغير رأيه كما غيره في أمور كثيرة ، فمن المعلوم أنه كان له مذهبان :

أحدهما : قديم قبل أن يرحل إلى مصر ، **والثاني** : جديد بعد أن انتقل إلى مصر واستقر فيها . ورأى فيها ما لم يكن قد رأى ..

والصحيح أن مناط الإجبار هو الصغر وأن البكر البالغ لا يجبرها أحد على النكاح .. وأيضا فإن الأب ليس له أن يتصرف في مالها إذا كانت رشيدة إلا بإذنها ، وبضعها أعظم من مالها ، فكيف يجوز أن يتصرف في بضعها مع كراهيتها ورشدها ؟

وأما تزويجها مع كراهيتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول ، والله تعالى لم يسوغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها ، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده ... فكيف يكرهها على معاشرة من تكره معاشرته ؟ " [١] .

وهكذا يرى د / يوسف القرضاوي أن إرغام المرأة على الزواج ممن تكره أمر يخالف الأصول والعقول ، وهو بهذا يتفق مع آراء العلماء القائلين بحرية المرأة في اختيار من تتزوج .

وأرى أن الجمع بين هذه الآراء جميعا ليس أمرا مستحيلا ، تتزوج المرأة بإذن وليها ولكن برضاها عن هذا الزواج .

---

[١] د/ يوسف القرضاوي : فتاوى معاصرة [٢ / ٣٤٠] .

والخلاصة أن الشيخ حين اتجه إلى القول بحرية المرأة واختيارها في الزواج ممن تريد لم يكن مبتدعا ، أو صاحب هوى وإنما كان يرجح من بين المذاهب مذهبا معينا ، أو عدة مذاهب يرى أن في اتباعها فائدة للمرأة المسلمة ولمجتمع المسلمين في آن واحد .

ثالثا : الأحاديث الشريفة :

استشهد الشيخ – يرحمه الله تعالى – بعشرة أحاديث صحيحة في قضية كشف وجه المرأة وسوف نوردها فيما يلي :

(١) كانت سبيعة بنت الحارث تحت سعد بن خولة وهو من بنيعامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك – رجل مر بني عبد الدار – فقال لها : مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح ؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي .

أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا ٧ / ٣١٠ الطبعة السلفية

والشاهد في هذا الحديث تجمل سبيعة وظهور ذلك أمام أبي السنابل .

(٢) روى البخاري بسنده عن أبي حازم قال : سمعت سهلا يقول : أتى أبو أسيد الساعدي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرسه فكانت امرأته خادمهم – وهي العروس – قالت : " أتدرون ما سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أنقعت له تمرات من الليل في تنور " .

أخرجه البخاري في كتاب الأشربة باب الانتباذ في الأوعية ١/ ٦٥ المطبعة السلفية

والشاهد في هذا الحديث ظهور العروس أمام الضيوف وخدمتهم بنفسها .

(٣) روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر . فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وذلك في حجة الوداع .

أخرجه البخاري في كتاب الحج باب وجوب الحج وفضله ٣٧٨/٣ .

وأخرجه مسلم في كتاب الحج حديث رقم ٤٠٧ .

والشاهد في هذا الحديث ظهور وجه الخثعمية ، ونظر الفضل إليها وعدم صدور أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم لها بتغطية وجهها ، وهذا الحديث حجة عند من يرى أن الوجه ليس بعورة .

(٤) روى الإمام مسلم بسنده عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا أحدكم أعجبته المرأة ، فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فيواقعها ، فإن ذلك يرد ما في نفسه " .

أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه ٢ / ١٠٢١ حديث رقم ٩ ، ١٠ .

والشاهد في هذا الحديث أن المرأة لا تعجب الرجل إلا إذا رآها - رأى

وجهها – أما في حالة غطاء كل الجسد بما في ذلك الوجه فلا مجال للرؤية التي تثير الغريزة .

(٥) روى الترمذي بسنده عن بريدة رفعه قال : يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة .

قال أبو عيسى : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك أخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في نظرة المفاجأة ٥/١٠١ .

والشاهد في هذا الحديث – إن صح – هو العفو عن النظرة الأولى والحساب على الآخرة لأنه يدل على وجود وجه للمرأة بادي الحسن ظاهر الجمال ويعتبر النظر المستمر إليه فتنة ولذلك كان الحساب على الآخرة .

(٦) روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله جئت أهب لك نفسي ، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : فهل عندك من شئ ؟ فقال : لا والله يا رسول الله . فقال : اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا ؟ فذهب ثم رجع فقال : لا والله ما وجدت شيئا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ، ولكن هذا إزاري فلها نصفه ، فقال رسول الله : ما تصنع بإزارك ؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شئ ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه

قام ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر فدعي فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال معي سورة كذا وكذا ، فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم . قال : اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن " .

أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن ٢ / ١٠٤٠ ، ١٠٤١ حديث رقم ٧٦ .

وأحمد في مسنده ٤/ ١٣٦، ١٩٧ دار صادر بيروت .

والشاهد في هذا الحديث قوله : فصعد النظر وصوبه ، ويرد عليه بأنه نظر بغرض الزواج – القبول أو الترك – وهو مباح ، إلا أن الحجة في نظر الصحابي الجالس لأنه لو كان النظر إلى وجه المرأة حراما لزجره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزوجها له .

(٧) روى أبو داود بسنده عن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها أم خلاد – وهي منتقبة – تسأل عن ابنها وهو مقتول ، فقال لها بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ فقالت : إن أرزأ ابني ، فلم أرزأ حيائي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ابنك له اجر شهيدين " . قالت : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : " لأنه قتله أهل الكتاب " .

أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم ٣ / ٥ ، ٦ .

والشاهد في هذا الحديث تعجب الصحابة من نقاب أم خلاد وهذا يدل على أن النقاب لم يكن عاما في جميع النساء .

(٨) روى أبو داود بسنده ... عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا " وأشار إلى وجهه وكفيه .

قال أبو داود : هذا مرسل خالد بن شريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها .

أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب فيما تبدي المرأة من زينتها ٦٢/٤

والشاهد في هذا الحديث أن وجه المرأة ليس بعورة وكذلك كفيها .

(٩) روى الترمذي بسنده عن أبي جحيفة قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك متبذلة ؟ قالت له : إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا ، فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما فقال : كل فإني صائم . قال : ما أنا بآكل حتى تأكل . قال : فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان : نم . فنام ثم ذهب ليقوم ، فقال له : نم ، فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن . فقاما ، فصليا ، فقال : إن لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ولضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك ، فقال له " صدق سلمان " .

أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ٦٣ ج ٤/ ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

والشاهد في هذا الحديث رؤية سلمان لأم الدرداء متبذلة ونصيحته

لأبي الدرداء بالاهتمام بها وقد تم هذا في جو من الطهر والعفاف الكاملين .

(١٠) روى أبو داود بسنده .. عن جابر قال : طلقـت خـالتي ثلاثـا فخرجت تجدْ نخلا لها ، فلقيها رجل فنهاها ، فأتت النبي صلى الله عليـه وسـلم فذكرت له ذلك ، فقال لها : " اخرجي فجدّي نخلك لعلـك أن تصدقـي منـه أو تفعلي خيرا " .

أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب فـي المبتوتـة تخـرج بالنـهار ٢٨٩/٢ .

والشاهد في هذا الحديث معرفة الرجل للمرأة في الطريق حين نهاها عن الخروج وهذا يدل على كشف وجهها لأنه تحقق منها وكلمها بعد ذلك .

هذه بعض الأحاديث التي رأى الشيخ أنها تسند رأيه في كشـف وجـه المرأة وأنه ليس بعورة ، وقد جمعتها من مصادرها وعلقت عليها مـن خـلال وجهة نظر الشيخ دون تدخل لأنه استشهد بها وكان من المفيد تجميعها في مكـان واحد . وبذلك يتم توثيق رأي الشيخ من خلال تفسير القرآن الكريمة وأئمة الفقـه والأحاديث الشريفة ، وقد أعلن الشيخ براءته من الزيـنة حين تمسـك بـهذه المصادر وهي تفيد أنه لم يصدر عن رأيه في هذا الأمر .

الباب الرابع

قضية السنة النبوية الشريفة

الباب الرابع

قضية السنة النبوية الشريفة

الفصل الأول : عاشق السنة

فى الفصل الأخير من حياة الشيخ أثار بعض الآراء فى بعض الأحاديث ، وأثارت هذه الآراء ضده كثيرا من المعترضين على هذه المواقف التى اتخذها الشيخ ، حتى رماه بعضهم بمعادة السنة الشريفة واتخاذ مواقف مناهضة لها .

وعلى الصفحات التالية ، يتضح موقف الشيخ من السنة الشريفة ويتخلص هذا الموقف فى انه كان : محبا ، ومجلا ، وعاشقا، لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن جاهلا بها فى يوم من الأيام وقد ثبت حبه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] فى معظم مؤلفاته من بداية حياته وحتى نهايتها .

يرى الشيخ أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم يفرض على المسلم أن يهيئ نفسه لهذا الحب فيقول : يجب أن ينهض الى تقويم نفسه وإصلاح شأنه ، حتى يكون قريبا من سنن محمد - صلى الله عليه وسلم فى معاشه ومعاوه ، وحربه وسلمه ، وعلمه وعمله ، وعاداته ، وعباداته . ان المسلم الذى لا يعيش الرسول فى ضميره ، ولا تتبعه بصيرته فى عمله وتفكيره ، لا يغنى عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة فى اليوم والليلة[2].

---

(١) سوف نؤجل مناقشة آراء الشيخ والآراء المعارضة له إلى الفصل الثاني من هذا الباب المؤلف .

(٢) الشيخ محمد الغزالى فقة السيرة ص٥ دار الريان ١٩٨٧ .

وعن دور النبى صلى الله عليه وسلم فى هداية العالم يقول الشيخ: لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم إماماً لقبيلة من الناس صلحوا بصلاحه ، فلما انتهت زهوا معه فى خبر كان ، بل كان قوة من قوى الخير ، لها فى عالم المضائى بالاكتشاف البخار والكهرباء فى عالم المادة ، وإن بعثته لتمثل مرحلة من مراحل التطور فى الوجود الإنساني .... فإذا بقى محمد صلى الله عليه وسلم ، أو ذهب ، فلن ينقص ذلك من جوهر رسالته ، وإن رسالته تفتيح الأعين والأذان ، وتجليه البصائر والأذهان ، وذلك مودع فى تراثه الضخم من كتاب وسنة ...... أنه لم يبعث ليجمع حول اسمه أناسا قلوا ، أو كثروا . إنما بعث صلة بين الخلق والحق الذى يصح به وجودهم ، والنور الذى يبصرون به غايتهم[1]

وعن أهمية السنة فى حياة الناس يقول الشيخ : عندما درسنا تراث محمد صلى الله عليه وسلم . فى " الأخلاق " وذاكرنا أحاديثه التي تربوا على الألوف فى شتى الفضائل خيل إلينا : لو أن جيشا من علماء النفس والتربية اجتمع ليسوق أعاله مثل هذا الأدب لعجز ، والأخلاق شعبة واحدة من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الضخمة [2] .

وعن مكانة السنة الشريفة فى عقيدة المسلم يقول الشيخ : والرجل الذي اصطفاه الله تعالى لحمل رسالته ، كان " قرآنا " حيا يسعى بين الناس كان مثالا لما صوره القرآن من إيمان وإخبات ، وسعى وجهاد وحق وقوة ، وفقه وبيان ، فلا جرم ان قوله وفعله

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٠ .

وتقريره وأخلاقه وأحكامه ونواحي حياته كلها تعد ركنا فـــى الديـــن ، وشريعة للمؤمنين ...... إن الله تعالى اختاره ليتحدث باسمه ويبلغ عنه ، فمن أولى منه بفهم مراد الله تعالى فيما قال ؟ ومن أولى منه بتحديد المسلك الذى يتواءم مع دلالات القرآن القريبة والبعيدة ؟ .

إن تطبيق القانون لا يقل خطرا عن صياغته ، وللقانون نـــص وروح وعند علاج الأحداث المختلفة لتسير وفق القانون العتيد ، تجـــد فتاوى وتدون نصائح وحفظ تجارب وعبر ، وثبت أحكام بعضها أقـــرب الى حرفية النص ، وبعضها أدنى الى روحه .... والقرآن هو قانون الإسلام ، والسنة هى تطبيق ، والمسلم مكلف باحترام هـــذا التطبيـــق تكليفه باحترام القانون نفسه ، وقد أعطى الله تعالى نبيه حق الاتبـــاع فيما يأمر به وينهى عنه لأنه - فى ذلك - لا يصدر عن نفسه بل عـــن توجيه ربه ، فطاعته هي طاعة الله تعالى [١] .

وعن علو مكانة النبي صلى الله عليه وسلم يقول الشـــيخ : إن عبد من عباد الله تعالى إن زاد قدروا على أحد ، فبقدر ما يبطن فـــي ضميره ، ويبدو على سلوكه من خشية لله تعالى ، وتزلف إليه ورجـــاء فيه . [٢]

ويقول : يستطيع أى قارئ للمصحف الشريف ، من أى قـــارة علي ظهر الأرض ، أن يستعين من أن الإسلام ينتظم الحيـــاة العامـــة والخاصة ، وأنه يتناول النفـــس الإنســـانية فـــى اعمـــق أغوارهـــا ، والمجتمع البشرى فى أوسع دائرة ، وتـــزداد هـــذه الفكـــرة رســـوخا ووضوحا ، عند التأمل فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تلا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩،٣٨ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى تحذيـــر مـــن دعـــاه التنصـــير ص٥٩ ط دار الصحـــوة ١٩٩١م.

على الناس قرأنه . وخط فى الحياة منهجه .... والذي ترك ثـــروة من التعاليم وفنونا من المالك الخليفة والسياسية ، تتســـق مـــع روح المصحف ووجهته ، وتشرح علميا مراد الله تعالى من خلقــه .... ومن الجهل الشائن بعد مطالعة المصحف آية آية . وبعد متابعة النبـوة سنة سنة ، أن يزعم زاعم أن القرآن مواعظ نفسية محـــدودة . أو أن محمدا كان يستهدف وصل الناس بالله تعـــالى عـــن طريـــق الدعـــاء والرجاء وحسب[١]

وعن شعور نجاة النبى العظيم يقول الشيخ أنا أحد الألـــوف المؤلفة التى تؤمن بالله العظيم ، وتسبح بحمده ، وتقر بجلالة ومجده، وتنتعش بنعمته ورفده ... ولقد عرفت هذا الإله الكبيرعن طريق النـــبي العربي المحمدي قرأت كتابه ، ثم درست سيرته ، فتجاوبت فطرتي مع رسالته ، واستراح فكرى وقلبي الى دعوته ، وأصبحت واحـــدا مـــن جماهير ضخمة رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد عليـــة الصلاة والسلام نبيا ورسولا ...... كان فى الناس مـــن لا يعـــرف الله أصلا ، فأنار محمد صلى الله عليه وسلم بصيرته ، وقاده من ضـــيره الى مولاه [٢] .

وعن قيادة النبي صلى الله علية وسلم للأمة يقول الشـــيخ : إن الرسول العربي الملهم ، بدأ عمله بعزم يفل الحديد ، وشرع في تكوين الرجال الذين يؤمنون به ، ويجاهد معه ، وأفلست كل المقاومات فـــي شنيه عن وجهته ، لقد مزق الحجب المسدلة على الفطرة .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى معركة المصحف العالم الإسلامي ص ١٤ ط دار الكتـــب الحديثة ١٩٧١.
(٢) الشيخ محمد الغزالى فن الذكر والدعاء ص ١٥ ط دار الاعتصام ١٩٨٠ .

وانتعش العقل من غيبوبة رضته بالوثنية المخرقة ، وصـــاح القلب الإنساني : ألا تستحي من البعد عن الذي خلق فسوى وقدر فهدى ...... وابصر الرجال من حوله الطريق ، فالتقوا به واستمدوا من صلابته بأسا فى إحقاق الحق وأبطال الباطل (١)

وعن دفاعه عن السنة يقول : فغايتي تنقية الســـنة ممـــا قـــد يشوبها وغايتي كذلك حماية الثقافة الإسلامية من ناس قيـــل فيـــهم . إنهم يطلبون العلم يوم السبت ، ويدرسونه يـــوم الأحـــد ، ويعملـــون أساتذة له يوم الاثنين ، أما يوم الثلاثـــاء فيطـــاولون الأئمـــة الكبـــار ويقولون نحن رجال وهم رجال ...... وهكذا بين عشية وضحاها يقـــع زمام المسلمين الثقافي بين أدعياء ينظر إليهم الو الألبـــاب باســـتنكار ودهشة .... وإذا كان هؤلاء لم يرزقوا شيوخا يربونـهم ، أو أساتذة يثقفونـهم فسوف تربيهم الأيام والليالي وما أحفلها بالعجائب (٢) .

وعن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ : إن مكانة محمد بالنسبة لغيره من الأنبياء قد عرفت وتوطدت بعد مـــا اســـتبانت حدود رسالته . وعرف المستقدمون والمستأخرون ، أى مهمة أعدتـــها له الأقدار ، وزوده لاحتماله بأنفس المواهب ؟.........

نعم لقد استغنى بهذه الشهادة العلمية عن تزكية الكلام ....

وأضحى فى المنصب الذى هو فيه الآخرين ما يدفـــع عنـــهم الشبهة ويرد المفتريات ، ولذلك أجرى على لسانه الآيات التى تطـــن قدر ابن مريم ...... لماذا ؟ لأن النبى الكريم عيسى تعرض لاتهام ساقط

---

(١) الشيخ من الغزالى فقة السيرة ص٥ دار الريان ١٩٨٧ .
(٢) الشيخ محمد الغزالى السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديـــث ص ٨٢٧ ط دار الشروق ط٩ ١٩٩١ .

وقذفت أمه المحصنة بما هى منه براء ، فكان هـدف القـرآن تبرئـة الرجل الشريف والإشادة بشخصه والثناء عليه بما هو أهله [١] .

وعن دفاعه الشديد عن السنة الشريفة فى بعض الفترات يقول الشيخ : تواجه السنة النبوية هجوما شديدا فى هذه الأيام . وهو هجوم خال من العلم ، ومن الأنصاف وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعـى الاكتفاء بالقرآن الكريم .... ولو تم لهذه الجماعات ما تريد لأضاعت القرآن والسنة جميعا ، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضـاء علـى الدين كله ...، عن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية ، لوجـب ألا يدرس التاريخ في بلد ما ، لماذا يقبل التاريخ على أنه علم وتـهتم كل أمة به ، مع أن طرق الإثبات فيه مساوية أو أقل من طرق الإثبـات في الحديث النبوي .

وأمر أخر يجب أن نثيره : لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم وتعرض للتأسي والإعجاب ، ويحرم من ذلك الحق رسل الله تعالى وفى صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفاء وبيانـا وأدبـا وجـهادا وإخلاصا .

إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقا لأمين الوحي ، يرددون ما يلقبه إليهم ، فإذا انصرف عنهم هبوط إلى المستوى الدهماء ، وخبـا تورهم أي غفلة صغيرة في هذا التصور ؟ إن الأنبياء رجـال أكـابر . أكارم مصطفون من بين الألوف المؤلفة لصفاء فطرتهم وزكاة أفئدتـهم ونفاسة معاونهم ... والوحي الذي يمر بنفوسهم يتألق فـى جوانبـهم ويتألق في سيرهم ، ويضوع شذاه في إيمانهم وصلاحهم ، فإذا لم يكن

---

(١) الشيخ محمد الغزالى العاطفي من الإسلام ص ١٩٧ ط دار الدعوة ١٩٩٠ م .

ء قدوة فمن القدوة ؟ الأدباء القوادون وحسب الساسة المتـــاكرون وحسب ، القادة السفاحون وحسب ما أغّرب أحكام البشر .

إن الله تعالى في كتابه أحصى أسماء ثمانية عشر نبيـــا مـــن الهداة الأوائل ثم قال للهاوى الخامت : (أولئك الذين هدى الله فـــهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين)[١] .

فإذا برز للإنسانية إنسان كامل التقت في سيرته شمائل النبوة كلها ، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع ، واســـتطاع وهـــو الفرد مستوحش - ان يحشد من القوة ما يقمع كبريـــاء الجبـــابرة ، ويكسر قيود الشعوب ، ويوطئ الإكناف للحق المطارد ، إذا يســـر الله للإنسانية هذا الإنسان العابد المجاهد الناصح المربى ، جاء غر يقول : لا نأخذ منه ولا نسمع له . ثم يستطرد مخفيا غشه : حسبنا كتـــاب الله تعالى ! وهل السنة إلا امتداد لسناه ، وتفسير لمعناه ، وتحقيق لأهدافه ووصاياه .

على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتســـب للســـنه وتظـــهر التمسك بها .

إذ إن سكها قد يكون من رواء انصراف بعـــض النـــاس عـــن السنة وشكهم فى جدواها ، ونأخذ على هذه الجماعات أمرين :

أولهما : أنها تخلط الصحيح بالسقيم،ولا تدرى بدقة ما يقبـــل وما يرد من المرويات .

---

(١) سورة الأنعام ٩٠ .

والأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنة عموما فهو : قصورهم الفقهي ، وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم [١] .

وعن كفاح النبى صلى الله عليه وسلم لنشر الحق والخير فيقول الشيخ : نحن المسلمين أبناء تاريخ طويل عريض . ربما بدأت رسالتنا مع بعثة إمام الأنبياء النبى العربي المحمد ، ولكن هذا النبي القمة بين أن الإسلام رسالة الأنبياء كلهم ، بيد أن جماهير غفيرة زاغت عنه ، وقامت في الأرض دول مرهوبة تعبد أوهام الخرافة والسلطة ، وتبتذل خصائص الإنسان العليا بين يدى صنم من الحجارة، أوصنهم هى من أبناء آدم ، تلعب بفرعون أو بقيصر ، أو بشتى الألقاب الخادعة[٢] ومحمد نبى الله تعالى اليتيم هو الإنسان الوحيد الذى هتك سدود الباطل ، وساق الجماهير إلى معرفة الله الواحد ، واستنقذها بقوة من فتك القوى الشريرة [٣] .

وقد قام محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى قرابة ثلاثة وعشرين عاما - ويواجه العواطف والأفكار ، والأفراد والجماعات ، والشدة والرخاء ، والنصر والهزيمة والهجرة والاستقرار وأهل الكتاب وعبادة الأصنام ، والدول المنظمة ، والقبائل الساذجة وكان في هذا الأبان الحافل في صميم الحياة ، ولا يحيا على هامشها .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ٢٢ وما بعدها دار الشروق ١٩٩٧ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص ١١٨ ط دار الصحوة ط ٢١ ١٩٨٩ .

(٣) الشيخ محمد الغزالى نظرات فى القرآن ص ١٩ ط دار الكتب الإسلامية ط ٦ ١٩٨٦ م .

وعن احترامه للسنة وعلمائها يقول الشيخ تحت عنوان أنوار النبوة على حداثة عهدي بدراسة السنة المطهرة ، كانت تستوقفني عبارات طريفة لنقاد الحديث . أولئك الرجال الأذكياء الذين صانوا تراث النبوة عن أن تتزيد فيه الأهواء ، فقد كانوا إذا ما رأوا حديثا دخيلا ، يكشفون زيفه ثم يقولون عنه : إنه لا تلوح عليه أنوار النبوة ، كنت ابتسم ابتسامه ريبة وأنا أطالع هذه العبارة ، حتى مرت على سنوات طوال ، وأنا مكب على قراءة السنة الكريمة ، انتقل بين صحائف شتى من آدابها المشرقة ، وتوجيهاتها الحية ، وعظاتها النفاذة ...... وأجيل الطرف في آفاق لا نهاية لرحابتها ، ولا شائبة فى رفعتها ، ولا حد لسقائها وسموها .... فلما عدت إلى نفسي بعد هذه الرحلة الطويلة، كان عقلي وقلبي يتسابقان إلى الإقرار بأن على معالم السنة الصحيحة أنوار لم تزل تتألق على مر القرون ولم تزل تحمل من نفس صاحبها طابع الهدى وعمق الأثر ، ولم يزل يرف عليها من صادق الوحي ندى يفيض بالحياة ويهز الأفئدة .... ولم تزل كنوز خير وفير ، وبر مذخور . لمن شاء ذلك كله .... ليس هذا ما ننوه به ، فكم فى آثار الزعماء من تعاليم نقية الجوهر رائعة الرونق ، ولكنها مع ذلك تعاليم فقط ... أما آثار السنة فهى تعاليم وتربية معان فيها ما يقنع العقل ، ويشبع العاطفة .... تحسن عندما تطالع صحائفها انك فى حضرة جليس صالح ، يؤثر فيك وتتأثر به ...... ويداخلك تهيب وجلال ، إذ تحس إحساس الولد نحو الوالد . والتلميذ نحو الأستاذ ، والجندى نحو القائد ، والعامى نحو الفيلسوف ...... قد أقف أمام السنة ، وفى القلب جمود وعليه غشاوة ، فما هى إلا سويعات حتى يتصل بى تيار الشخصية التى أودعت بعض عظمتها فى أحاديثها ، فإذا القلب يزكو والنفس تطيب وإذا أنوار النبوة تسلط أشعتها من خلال الغيب فتمحو

ظلمات بعضها فوق بعض ... أجل إن ذلك فعــل النفــوس الكبــيرة ، هيهات ان ينال من مضائه بعد الزمن [١]

قد يظن شخص ممن يكونون الأحكام جزافا أن الشمس لا تعــدو شبرا فى شبر ، وعذره أنها تبدو فى رأى العين لذلك ...... فهل تتحول الشمس إلى كرة قدم لأن ذهن واحد او جماعة من الناس ضاق عــن ضخامتها الهائلة ، وبعدها السحيق ؟

إن العظيم لا يمسخ صغيرا لأن ظنون المعتوهين أخطأت فهمــة ... ومن قرون طوال دب على أرضنا هذه نفر من الخلق ... نظروا إلى صاحب الرسالة العظمى شزرا ثم قال بعضهم : " يا أيها الــذي نــزل عليك الذكر إنك لمجنون " [٢] . ومضى صاحب الرسالة في طريقة يبذر الحق ، وينشر العلم ، ويحي القلــوب ، وينشــئ مــن الرمــم التــي استهلكتها الخرافة أجيالا ناظرة ، ويقيم أمة تكســر صلــب البــاطل ، وتقذف بالرعب في نفوس الشياطين .

ما هذا ؟ إن الشمس لم تتحول كرة قدم ، ولا النبــوة تحولــت مجون كهان ...... لقد ذاب الافتراء وأهله ، وتلاشى الجهل والجاهلون، وبقيت الحقائق فوق التهم والترهات [٣] ...

ومعروف أن محمدا صلى الله عليه وسلم لو لم يكن نبيا لكــان معجزة العرب وفخرهم إلى أخر الدهر [٤].

---

(١) الشيخ محمد الغزالى تأملات فى الدين والحياة ص ٨٨ ط دار الدعوة ١٩٩٠.
(٢) الحجر ٦ .
(٣) الشيخ محمد الغزالى دفاع العقيدة والشريعة ص ١٩ ط دار الكتب الإسلامية ط ٥ ١٩٨٨ م.
(٤) الشيخ محمد الغزالى الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٧١ ط مكتبة وهبة ط٩١ ١٩٩٠ .

وعن علاقة النبى صلى الله عليه وسلم باتباعه في بداية الدعوة يقول الشيخ : إن الدولة التي أقامها المسلمون الأوائل بنتها نفوس بلغت شأوا بعيدا من مجادة الخلق ، وسعة الكفاية ، وعمق اليقين ، وروعة التجرد ، وصدق الإخلاص ...... ومن وراء هذه النفوس الكبيرة تلمح صاحب الرسالة العظمى ، يتعهد القلوب بالصقل ، ويأخذ النفوس بالأدب الشامل ، وينسق الصفوف بالوعي لا بالغباء ، وبالحق لا بالهوى .... إن الانتساب إلى الله تعالى يقتضى شمائل أنبل ، وفضائل أجل ، مما تواضع الناس على إكباره من شمائلهم وفضائلهم ...... إن البون بعيد بين حكم ينجح فى أسعار شعب ما ، وبين [illegible]وة انخلعت من حظوظها الخاصة ، ومشت في الأرض تغرس أعواد الوحي ، وترقى بالعالم الى آفاق أزهى وأنضر ، تريد أن يعرف الناس ربهم الذي جهلوه وان يمسكهم بكتابة الذي جحدوه [1] .

وقد فوجئت الدنيا بأولئك العرب يخرجون من أعماق الصحراء فى أعداد محكم متتابع ، أخذ يمتد حتى استوعب المعمور من الدنيا يومئذ ، والعرب المنطلقون من صحرائهم لبثوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ربع قرن لقنهم دروس السماء النازلة مع الوحي ، وزودهم بطاقات فكرية وعاطفية جبارة ، سمت بمستواهم المادي والأدبي حتى أصبحوا اعز جانبا ، وأصبح تقليدا وانقسى قلوبا من جماهير الروم والفرس [2] .

فكان الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة . وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها ، وجمع الناس حولها ، لا تنشد

---

(١) الشيخ محمد الغزالى من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامي الحديث ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ط دار الكتب الحديثة .

(٢) الشيخ محمد الغزالى فى موكب الدعوة ص ٢١ ط دار الكتب الحديثة ط ٤ ١٩٦٥ م .

للبشر اكثر من تدعيم فضائلهم ، وإثارة أفاق الكمال أمـــام أعينـــهم ، حتى يسعوا إليها على بصيرة .... والعبادات التـــي شـــرعت فـــى الإسلام واعتبرت أركانا في الإيمان به ، ليست طقوسا مبهمة من النـــوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة ، ويكلفه بأداء أعمال غامضـــة ، وحركات لا معنى لها ، كلا كلا ، فالفرائض التي الـــزم الإســـلام بـــها أتباعه ، هى تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحـــة ، وأن يظل متمسكا بهذه الأخلاق مهما تغـــيرت أمامـــه الظـــروف ...... والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقـــائق [١] وعن النبى صلى الله عليه وسلم ورسالته يقول الشيخ : النبى العربـــي الكبير ، وصاحب الرسالة التى أنارت العالم بعد ظلمة ، وآنســـته بعـــد وحشة ، وبذرت فى أكفافه أصول العدالة والرحمة ، واحتفظـــت فـــى كتابها بمعالم الوحي الإلهي الذى أخي بين النبيين ، وسوى بين الأمم ، ونوه بقيمة الفطرة ، ومكانة العقل ، وعظمة الكون ، واســـتخلاف الله للإنسانية فيه[٢] .

وعن تشبع ذات الرسول صلى الله عليه وسلم بأنوار القـــرآن يقول الشيخ : وأنه - بهذا القران - أصبح محمد صلى الله عليه وســـلم مبلغا عن الله تعالى ، ومبينا عن مراده ، وقد انتقل هويه انتقالا نفسيا عاليا ، وصعد به فى مرقى الكمال البشرى الى أوج بعيد ، فكانت كـــل أية تهبط عليه نورا يتألق به باطنه ، وكشـــفا تشـــرب بـــه لصيرتـــه .....ومن أثار علمه بالقرآن وتأثره به نطق بالسنن الراشدة والأحاديث

---

(١) الشيخ محمد الغزال خلق المسلم ص ٦ دار الكتاب العربى ١٩٥٣ م .
(٢) الشيخ محمد الغزالى كفاح دين ص ٥ ط مكتبة وهبة ط .

الهادية ، فكانت هى الأخرى حكما ينفع بها الناس ، وهوى يشدهم إلى الطرق المستقيم [١] .

وعن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ : والنبـــي الخاتم كان مكلفا بإخراج العرب أولا ، ثم العالم كله من بعدهم إلى حياة جديدة ، ولأي باليقين والمعرفة ، والنظام والصلاح ، وأن يشق بـــهم الكمال شقا فى نهـج من التربية الواعية ، والمجاهدة النفسية القاسـية ... لقد حول عقيدة التوحيد من فكرة نظرية صحيحة إلى سلوك عملـــي صادق محسوس [٢] .

ولا ريبة فى أن محمد صلى الله عليه وسلم ، قام بما فرضـــه الله تعالى عليه ، وأنه أنشأ من العرب المعزولين عن حضارات العـــالم أنه لا نظير لها فى سناء المعرفة ، وزكاة الأخلاق ، ومشرف الحضارة وان هذه الأمة التي صاغها محمد في قالب جديد ، أضاءت المشـــارق والمغارب ، وأعادت الحياة المادية والأدبية لجماهير من البشر ظلـــت ترسف دهرا في الجهالة والعبودية .... ونحن نشهد بذلك عد بضعة عشر قرنا من بعثته ، كنا أصفارا ثم صرنا شيئا مذكورا ، فهل يشـــهد لنا العالم بما نشهد به نحن لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ أبو بعبـــارة أخرى . هل وصلنا للناس القول ، كما وصله هو إلينا ، ونقلنـــا هـــم بالوحي كما نقلنا هو به [٣] .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى نظرات فى القرأن ص ١٥٠ ط دار الكتب الإسلامية ط ٦ ١٩٨٦ م .

(٢) الشيخ محمد الغزالى الحق المر ص ٩٧ ط دار الشـــروق الإســـلامية ط ٣١ ١٩٩٣ .

(٣) الشيخ محمد الغزالى تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقـــل ص ٣١ ط دار الشروق ط ٣ ١٩٩٢ .

إن الإسلام الذي بلغه محمد وأخذ الناس بـه ، هـو الصـورة الأخيرة للوحي الأعلى ، وهو كذلك الصورة العامـة التـى تسـتغرق الأجناس كلها .

وتتناول الأجيال التى تسكن الأرض حتى قيـام السـاعة ...... النبوات السابقة كانت كلها محلية مؤقتة ، أي محدودة الزمان والمكان، أما النبوة العامة الخالدة ، فهي نبوة محمد لا يشركه فى ذلك نبى مـن السابقين ...... عن نبي القرآن عليه الصلاة والسلام ، أرسـى دعـائم العقيدة والعبادة والخلق ، وساق نصوصها حاسـمة ، تضبـط سـيرة المرء وتقاليد الجماعة ، وهذه أسس وتوجيهات لا تختلـف بـاختلاف العصور ، ولا يمكن اختراق أسوارها [١] .

وردا على بعض ما أثير فى الصحف فى بعض الأوقـات عـن الإسلام يقول الشيخ : المؤامرة الجديدة التى يعمل لها كثـيرون فـى وسائل الإعلام وأولها الصحافة ثم الروايات والمسارح دعوة إلي إسلام بلا نصوص ، ومعنى إسلام بلا نصوص : أن أي تافـه يسـتطيع أن يقول : لا داعي لهذا النص ، لا داعي لهذه الآيـة ، لا داعـي لـهذا الحديث ، ومعنى ذلك أن يضيع الإسلام كله ...... وردا علـى هـؤلاء أقول : إن القرآن الكريم مائة واربع عشرة سورة ، مـن كفـر بأيـة واحدة من سورة واحدة فهو كافر بالمائة والأربع عشره سورة جميعا، وإن نبينا محمد علية الصلاة والسلام له سنة درسها العلماء الثقـات ، ورتبوا أحاديثه بين متواتر وصحيح ، وإن الذي يكفر باتبـاع محمـد

---

(١) الشيخ محمد الغزالى مائة سؤال عن الإسلام ص ١٢ ط دار ثـابت ط ٢ ١٩٨٣ .

صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر بالأنبياء جميعا وبمن أرسـلهم ...... برب العالمين جل شانه [١] .

وتحت عنوان مع إمام الدعاة يقول الشيخ : إنني من أفق الإيمان بمحمد عله الصلاة والسلام ، انظر إلي أعدائه فأعجب لغبائهم أو لافترائهم وأسأل هؤلاء العاري : أتدرون ما يقول ؟ ألا تسمعون نغمة العبودية فى حديثه ، ألا تحسون تشبثه الشديد بربه وخشية البالغة منه ؟ .... لقد طالعنا حياة محمد علمه الصلاة والسلام ، وتابعنا سيرته من دعا إلى أن قضى ، فوجدنا إنسانا وثيق اليقين بربه قوى الاعتماد عليه ، صادق الوصف له ، بلغ فى تنزيهه المدى ، وكان سخطه هائلا على المفترين والمشركين ، يمحو ضلالهم بقوة ، ثم يسوق الصواب فى حشد من الأدلة المورثة لليقين .والباعثة على حسب الله تعالى والإنابة إليه [٢] .

إن حياة محمد صلى الله عليه وسلم هي التطبيق العملي لتعاليم القرآن الكريم كما أن القرآن الكريم هو الجانب العلمي من هذه الرسالة الشاملة .... ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تفاوت بين الكتاب والسنة [٣].

إن العمل الذي لكف به محمد صلى الله عليه وسلم بعيد الآماد، شاق المراحل كان عليه أن يزرع ركاما هائلا من الأوهام والأهواء أثقل القلب الإنساني وضلل سعيه ، كان عليه أن يفك قيودا منعته شاركت فى صنعها أديان أرضية وسماوية ، وكان عليه أن ينقذ الناس

---

(١) الشيخ محمد الغزالى خطب الشيخ محمد الغزالى إعداد قطب عبد الحميد قطب ص ١١٨ ط دار الاعتصام ١٩٨٨.

(٢) الشيخ محمد الغزالى والثقافي يمتد فى فراعنا ص ٢١٠ ، ٢١١ ط الشرق ١٩٨٤ م .

(٣) الشيخ محمد الغزالى الإسلام والطاقات المعطلة ص ٧٠ دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣ م .

من مواريث روحية وفكرية وأدت الحق وطمست الفطرة ...إن انتقـــال القرون عما ألفت ، وانتقالها الى طور آخر من الوعي والسداد ، هـــو العمل الكبير الذى أتمه صاحب الرسالة الخاتمة ، وغـــير بـــه وجـــه الأرض ، وصحح به أخطاء التاريخ ...... وكانت هذه هى الرسالة التـــى صدع بها النبي العربي الخاتم ، عليه أن يهدى بها الناس كلهم ، عليه أن ينير بالحق بصائرهم ، عليه أن يفك القيود التـــى مثلـــت حراكـــهم الروحي والعقلي . إنه رحمة للعالمين [١] .

إن النقاد المضفين والمؤرخين العدول ، ويقررون أنه لم يتـــح لبشر قبل محمد صلى الله عليه وسلم أو بعده ، أن أحدث مثـــل هـــذا التغيير الشامل فى أحوال العالم أجمع ، وليس المهم التغيـــير المـــهم طبيعته ووجهته ، إنه بعدبعثه محمد صلى الله عليه وســـلم ، أخـــذت الحضارة طريقها صعدا إلى أعلى ، وكانت من قبل قد أسفت ولصقـــت بالحضيض. لما قرأت كتاب القمم المائة الأولى ، رأيت المؤلف يذكـــر كأنه مضطر إلى جعل محمد صلى الله عليه وسلم ، أول هذه القمـــم ، وإن لم يكن على دينه ، لان الدلائل كلها إلي جانبه ، قلـــت : ن هـــذا الرجل الذكي لمح أحد جوانب العظمة فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ، إنه لمح التغيير الجذري الذي أحدثـــه الرســـول فـــى العـــرب فإنطلقوا به ليحدثوا تغييرا جذريا فى آفاق الأرض ، تغييرا ذاهبا الـــى الطول والعرض والعمق . تغييرا إن فترت بواعثه حينا أدركـــها مـــن ذاتها ما تستمر به سائرة . كما تنطلق المولدات التى تستمد طاقتها من الشمس ...... إنه الاصطفاء الذي هيأ روحة الاستقبال القرآن الكريـــم ، والاصطباغ بتعاليمه ، ثم تحويل هذه التعاليم إلى سيرة نابضة وســـنة هادية ، وإن الكمال البشرى الذي صب في قالب خاتم الأنبياء ، يجعـــل

---

(١) الشيخ محمد الغزالي علل وأدوية ص ٢٧ وما بعدها ط دار الدعوة ١٩٩١ م .

المرء يهتف بإعجاب : سبحان من أبدع محمد صلى الله عليه وسلم [١]
ونقل الشيخ عن الشيخ (محمد تقى القمي) قوله عن السنة : لا يختلف الشيعي عن السني فى الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يتفق المسلمون جميعا على أنها المصدر الثاني للشريعة ، ولا خلاف بين مسلم وآخر فى أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره سنة لابد من الأخذ بها [٢] .

وعن فضل النبي صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ : إنه لم ينقل العرب من الجاهلية إلي الحنفِيّة وحسب ، بل زودهم بطاقات روحية وفكرية يستطيعون بها تغيير الدنيا ، ومعنى هذا أنه – صلى الله عليه وسلم – أوجد أجهزة إدارية وثقافية وعسكرية ، وقيادات روحية ومدنية ، هزمت القوى الطاغية فى الشرق والغرب ، ووضعت يدها على مواريثهم ثم أنشأت من ذلك الحطام القديم ، حضارة أعلت الهتاف لله تعالى والعمل بهداه [٣] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٣ ،١٣٤ .
(٢) الشيخ محمد الغزالى هذا ديننا ص ١٩٨ دار الكتب الإسلامية ط ٣ ١٩٧٥ م
(٣)الشيخ محمد الغزالى الحق المر ط ٣ ص ١٩٥ ط دار نهضة مصر ١٩٩٦ م .

ومضى عاشق السنة الشريفة الى ربه بعدأن أعطى كل حياتـــه للدعوة الإسلامية جهاد متصلا ، وحبا للقرآن الكريم والسنة الشريفة لا يوازيه ولا يوافيه حب فيما نعرف من سير العلماء وأقوالـــهم ، حتـــى الذين أثاروا المعارك مع الشيخ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والمحب غيور على من يحب وهذا ما دفع الشيخ الى الاشـتباك مع أهل الحديث ، وذلك لفرط غيرته على سيرة وحديث حبيبه صلـــى الله عليه وسلم ، ونسى الشيخ - لفرط حبه - أنهم هم أيضـــا يحبـــون حبيبهم صلى الله عليه وسلم ، وقد أو فقوا حياتهم على دراسة حديثـــه الشريف ، وليس ذلك بكثير عليهم ، لأن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة قلب كل مسلم ، ربما يجرى فى شرايين البعض ، وأحيانـــا يملك كيان وزمام أمر البعض الآخر .

وعلى الصفحات السابقة - عاشق السنة - رأينا ألوانـــا مـــن العشـــق الخالص ، والحب الصافي ، والهيام أحيانا في كلمات الشيخ عن حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان حب الشيخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغيرته على حديثه وسيرته فعلا ، فقد كان رد الفعل فى بعض جوانبه وصفا للشيخ بعدائه للسنة ولعلمائها . والأمر فـــي حقيقتـــه لا يخرج عن خلاف محبين مخلصين حول حديث حبيبهم صلى الله عليـــه وسلم .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى : ومن تأمل فى كتابة (فقـــه السيرة) ووقفاته العميقة مع الأحداث النبوية طوال مراحل حياته صلى الله عليه وسلم من الميلاد إلى بعثته ، ثم مرحلة الدعوة والمصـــابرة ، ومرحلة الجهاد والمواجهة ، أو مرحلة بناء الفروق مكة، ومرحلة بناء المجتمع فى المدينة ، وجد فيه عقل الباحث المدفق يتعانق مـــع قلـــب

المؤمن المدقق ، وروح الداعية المحلق ، الذي يحيا فى السيرة بل تحيا السيرة فيه [١] .

ولم يخل مؤلف للشيخ عن نشيد حب للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو السنة الشريفة ، وهو يرى أنه على المسلمين أن يأخذوا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته ما يلي :

١- التطبيق العلمي فى واقع الحياة للقرآن الكريم باعتبار أنه صلى الله عليه وسلم هو أقرب الناس إلى فهم روح القرآن الكريم .

٢- التأسس بشخصه صلى الله عليه وسلم فى جوانب كثيرة منها :

أ- الشجاعة فقد كان صلى الله عليه وسلم من أشجع الناس ، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتعلمون منه الأقدم ، والتضحية فى سبيل الله سبحانه وتعالى .

ب- القيادة الحكيمة فقد كان صلى الله عليه وسلم قائدا حكيما ، ورائدا فى هذا الفقه - فقه القيادة - وقد شهد بذلك كثير من العلماء من غير المسلمين ومنهم (مايكل هارت) الذي نوه الشيخ بذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف جعله أول العظماء فى العالم وقدمه على المسيح الذي يؤمن به ، وعلى غيره من القادة والزعماء ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان (الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) د/ يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته ص ١٢١ ط دار الوفاء ١٩٩٧ م .

جـ- التأسي به فى الحفاظ على الوقت والتخطيط لكل أمر من أمور الحياة .

٣- حبه صلى الله عليه وسلم من قبل المسلمين وترجمة هذا الحب إلى الاقتدار به وبسيرته صلى الله عليه وسلم .

٤- على الدعاة أن يلتمسوا سبيل الدعوة إلي الله تعالى من فقههم لسيرته صلى الله عليه وسلم وللمراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية فى مكة ، وفى مدينته صلى الله عليه وسلم .

٥- يرى الشيخ أن الإيمان برسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم وبسنته الشريفة مكمل للإيمان بالله تعالى وبكتابة العزيزة ، وأن السنة الشريفة هي التطبيق العملي لمنهج الإسلام فى إدارة الحياة لتكون مقدم طيبة للإقبال - بسعادة - على الدار الآخرة .

٦- يرى الشيخ أن السنة الشريفة لا تقدر لما فيها من علم صادق فحسب ، ولكنها تقدر أيضا لأنها تحمل في طياتها نور النبوة الخالد ، الذي يشعل الحماس في النفوس ، ويحميها بعد موتها لتقوم وتتجه إلي نحوها مشرقة النفس منيرة الروح ، صادقة العزم .

٧- يرى الشيخ أن السنة النبوية هي حياة الإسلام ، أو هى الإسلام الحي فى النفوس ، وهى الوقود الذي يشعل الإيمان في القلوب ، ويواجه الناس إلى علامة الغيوب .

٨- يرى الشيخ أن السنة النبوية هي الوجه الأخر للقران الكريم ، وهى القرآن المفعول - أي المتحرك في واقع الناس - فإذا كان القرآن قانونا ، فهي اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

٩- يرى الشيخ أن المسلم الحق لا يستطيع أن يعيش بغير حب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبغير الإقتداء به في كل أمر من أمور الحياة .

وبعد :

فما قدمناه في الفصل الأول من هذا الباب - عاشق السنة - هو قصيدة حب من الحبيب - الشيخ - إلى المحبوب - المصطفى صلى الله عليه وسلم . وإن كان الشيخ قد مضى إلى ربه سبحانه وتعالى فقد أشعل نفوسا كثيرة في شتى بقاع الأرض بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبالتمسك بسنته الطاهرة والشريفة .

الفصل الثاني : رحلته مع السنة النبوية الشريفة

لقد طالت رحلة الشيخ مع السنة النبوية الشريفة حتى استغرقت حياته كلها ، وكان يرى - كما بينا سابقا - أن السنة الشريفة هى حياة هذه الأمة ، أو هى القرآن المطبق فى واقع الناس ، ولكن كان للشيخ موقف تجاه ما يجب اتباعه من الأحاديث الشريفة ، وهى الأحاديث الصحيحة الموثقة التى لا تتعارض مع القرآن الكريم ولا مع الخط الأساسى العام للإسلام الحنيف ، ولكنه يقف ضد الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والتى تتعارض مع القرآن الكريم . وسوف نوضح موقف الشيخ فى هذه القضية ورد بعض العلماء عليه من خلال الصفحات التالية وسوف نبدأ بموقف الشيخ :

كان للشيخ موقف بالنسب للسنة الشريفة فى معظم مؤلفاته وهو كما يلى :

- عن علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة يقول الشيخ :لا خلاف بين المسلمين فى القرآن الكريم أساس الإسلام ولباب دعوته ، ومناط شرائعه ، وأنه الينبوع الأول لشتى تعاليمه فى أحوال المعاش والمعاد جميعا ، وأنه رهان النبوة ، ودليل صدقها ، ومعجزتها الكبرى ، وأنه مجلى الوحى الأعلى ، وملتقى الحقائق السماوية التى تنزلت من عند الله تعالى خالصة من كل شائبة ، مبرأة من كل لبس ...

وأنه بهذا القرآن ، أصبح محمد صلى الله عليه وسلم مبلغا عن الله تعالى ، ومبينا عن مراده ، وقد انتقل هو به انتقالا نفسيا عاليا ، وصعد به فى مرقى الكمال البشرى إلى أوج بعيده . فكانت كل آيه

تهبط عليه نورا يتألق به باطنه ، وكشفا تشرب به بصيرته ... ومــــن آثار علمه - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم ، وتأثره به ، نطـق بالسنة الراشدة ، والأحاديث الهادية ، فكانت هى الأخرى - حكما ينتفع به الناس ، وهدى يشدهم إلى الطريق المستقيم .. وقد أمتن الله تعـالى عليه بهذا الوحى فقال : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمـــة وعلمـك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمــا) [1] ... ومــع احترامنــا للحشد الكبير من السنة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفاوتنا بالدراسات الحسنة التى تناولتها فى القديم والحديث ، فنحــن نلفت النظر إل أن السنة منزلة ثانوية بعد القرآن الكريم نفســـه ، وأن العالم الأصيل بالإسلام إنما تقوم ثروته العلمية :

اولا : - بمدى فقهه فى الكتاب العزيز ، وبصره بمعانيه ، ومغازيـــه . ولمحه لدلالته القريبة والبعيدة ... وأن الصورة المتقنة للإســـلام إنمــا تعرف أبعادها وملامحها البارزة من القرآن الكريم أولا ، ثم يجــئ دور السنة الشريفة فى الإيضاح والتفصيل بعد أن تمهدت الحدود وعرفــت الضوابط .. ولذلك فنحن نرفض أن يشتغل بالسنة رجل فقير فى القرآن الكريم . ونرفض أن يستخرج أحكامها رجل قصير الباع فى فقه الكتاب واستظهار أحكامه .. لأن ذلك قلب للأوضاع ، ومزلقة للخطأ فى تصور حقائق الدين .. فى ترتيب صغراها أو كبراها .. وقد أجمع المســلمون على أن القرآن الكريم هو الأصل الأول فى التشريع ، وأن السنة تجــئ من بعده فى المرتبة لما يلــى :

---

(١) سورة النساء ١١٣

١- أن السنة اعتبرت أدلة شرعية بشهادة القرآن الكريم لها ، فهى تستمد قوتها كمصدر للأحكام من أمر القرآن الكريم ذلك ف مثل قوله عز وجل : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) [١] .

وقوله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .[٢] وبهذا احتج "ابن مسعود " . عندما جادلته امرأة فى حديثه عن لعن النساء المتبرجات بتزوير الخلقة ، زاعمة أن ذلك ليس فى القرآن الكريم .. فقد روى البخارى ومسلم عن عبدالله بن مسعود أنه قال : (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله .. فقال له امرأة فى ذلك - أى اعترضته - فقال : ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله ؟ قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٣] .

٢- أن هذه السنن من أقوال وأفعال وأحكام وتقريرات انما تنبنى على الدعائم الممهدة من كلام الله تعالى جل شأنه ، وتمتد فى اتجاهها وترتكز عليها ، فهى أشبه بالتوابع الفلكية مع أمهاتها من الكواكب الكبرى .

٣- أن القرآن الكريم يقينى الثبوت فهو متواتر جملة وتفصيلا ... أما السنة فإن منها المتواتر ، وأكثرها أخبار آحاد . وروايات الآحاد تفيد الظن العلمى . لا القطع الجازم ، والأحكام الشرعية المهمة تعتمد على اليقينيات لا الظنيات ..

---

(١) سورة المائدة ٩٢

(٢) سورة النساء ٨٠ .

(٣) سورة الحشر ٧ .

٤- ومن المسلم به أن القرآن الكريم وصل إلينا كاملا ، لم ينقص منه حرف واحد ، تظاهرت الكتاب والحفظ من أول يوم على صيانته فى ضبط لم يؤثر البتة عن كتاب فى الأولين والآخرين

أما السنن فقد تأخر تدوينها ، والتحق بها ما ليس منها ، فاجتهد الأئمة فى غربلتها ، ونقد طرقها ومتونها ، واختلفت أنظارهم فى ذلك ، بين التصحيح والتضعيف والقبول والرد ..ولاشك أنهم وضعوا قواعد للنقد العلمى تستحق كل احترام ، وجردوا تراث النبوة مما قد يعلق به من أوهام ... بيد أن جملة السنن التى وصلت إلينا بعد ذلك الجهد لا يمكن القطع بأنها كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الرواة أحصوا فى سجلاتهم كلام النبى صلى الله عليه وسلم كله لم يسقط منه شئ .. وذلك عكس القرآن الكريم فإن ثبوته كله يجعل هيمنته على مصادر التشريع لا تقبل جدلا .. ومعاذ الله أن نغمط السنة حقها ، فهى ضميمة إلى القرآن الكريم لابد منها ... ونحن نعلم أن معالجة التطبيق العملى للمبادئ والأسس العامة ، تتطلب فيضا من التفصيلات والتفريعات المنوعة ، وقد قامت السنة الشريفة بهذه الوظيفة بالنسبة للقرآن الكريم ... وكذلك القرآن الكريم بالنسبة للسنة الشريفة المروية كلها ، إنها تسير فى هداه ، وتنطلق إلى مداه ، وما يسوغ لفقيه مسلم أن يفهم غير هذا ، ولا لمجتمع مسلم أن يحيا على غيرها[١] ...

وعن وظيفة السنة بالنسبة للقرآن الكريم يقول الشيخ : لقد كنت عندما أحب الاستشهاد بالكتاب أو السنة فى موضوع ما ... ألاحظ

---

(١) الشيخ محمد الغزالى نظرات فى القرآن ص ١٥٠ ومابعدها ط دار الكتب الاسلامية ط ٦ ١٩٨٦ م .

هذه الحقيقة وأجد طائفة كبيرة من الأحاديث تطابق فى معانيها وأهدافها ما تضمن القرآن الكريم من معان وأهداف : وأن هذه الأحاديث قد تقرر المعنى نفسه ، الذى احتوته الآية ، أو تقرر معنى آخر ، يدور فى فلكه وينتظم معه فى اتجاه واحد ، وإن بد للعين المجردة أن الصلة بينهما بعيدة .. فمن القبيل الأول : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اللهم لامانع لم أعطيت ولا معط لما منعت٠) .. فإن هذا المعنى لا يخرج عن قول الله عز وجل : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم)[1] ...

ومن القبيل الثانى : أن الرسول صلى الله عليه وسلم " نهى أن يشرب فى آنية الذهب والفضة وأن يؤكل فيها ، ونهى عن لبس الحرير وأن يجلس عليه " ... فإن هذا الحكم الذ جاءت به السنة مشتق من تحريم القرآن الكريم للترف واعتبار المترفين أعداء كل إصلاح ،وخصوم كل نبوة ، وعوامل للهدم فى كل أمة : (وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون) [2] ...

والسنة التى تكون بهذه المثابة فى تقرير غايات القرآن المرسومة أو المفهومة ، أو التى تفصل مجمله وتوضح مشكلة ، تأخذ قسطا كبير من عناية المسلمين ، ومنزلتها من أدلة الأحكام الشرعية معروفة . وهناك سنن أخرى تخصص أحكاما عامة فى القرآن الكريم

---

(١) سورة فاطر ٢
(٢) سورة سبأ ٣٤

ففى قوله تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) [(١)]

بينت السنة أن الإبن القاتل لاحظ له فى الميراث . وفى قوله تعالى : (حرمت عليكم الميته والدم ...) [(٢)] . بينت السنة أن هناك مباحين فى كل من هذه المحرمات : (أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال) ... وفى قوله عز وجل : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ..). بينت السنة أن ليس كل سارق يقطع إذ لا قطع فيما دون النصاب المقرر ، ولا قطع على جائع ينشد ط امه، ولا على مغصوب يسترد مأخذ منه .. فإذا ثبت القطع ، ففى اليمين ، وعند الرسغ كما بينت السنة ... .

وقد جاءت السنة ببعض العزائم التى أمر الكتاب العزيز بها . فالقرآن الكريم مثلا يأمر بغسل القدمين وبعد ذلك ركنا فى الوضوء وتنظيف الرجلين أمر لابد منه فى صحة الصلاة .. وقد بين رسول الله صل الله عليه وسلم : أن الرجل إذا أدخل قدميه طاهرتين فى خفيه أو جوربيه ، فليس بضرورى أن يعيد غسلهما كلما أراد الوضوء ... وبحسبه أن يمسح على ظاهرهما - فوق الحذاء أو الجورب - إشارة إلى الركن الذى لحقته الرخص ... .

وهذا الذى صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به ، ليس هوى جنح إليه . قال تعالى : (ما ضل صاحبكم وماغوى . وما ينطق عن الهوى) [(٣)] إنما هو إرشاد الله تعالى له ، وهو عمل يتسق

---

(١) سورة النساء ١١

(٢) سورة المائدة ٣٨ .

(٣) سورة النجم ٢ ، ٣ .

مع قاعدة الإسلام الأولى فى السماح والتيسير وليس فيه أى تناقض مع تعاليم القرآن ... ونستطيع أن نقول : إنه ليست هناك سنة تعارض أحكام القرآن الخاصة ، أو قواعده العامة ... ثم إن الحديث الواحد لا نأخذه على حده عند الاستدلال ، بل يجب أن نأخذ كافة الأحاديث التى وردت فى موضوع واحد ثم نلحقها بما يؤيدها ويتصل بها من الكتاب الكريم ، ولن نعدم هذه الصلة .

أما الاستدلال هكذا خبط عشواء بما يقع تحت أبصارنا من حديث قد نجهل الظروف التى قيل فيها ، والمدى الذى يعمل فيه ، فهو ضلال عانى المسلمون قديما مغبته ، ويعانون الآن أضراره ....

وتحت عنوان السنة حق يقول الشيخ : إذا صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بشئ أو نهى عن شئ ، فإن طاعته فيه واجبه . وهى من طاعة الله تعالى ... وما يجوز لمسلم أن يستبيح لنفسه التجاوز عن أمر للرسول فيه حكم ... والمسلمون متفقون على اتباع السنة وصفها المصدر الثانى للإسلام بعد القرآن الكريم . لكن السنن الواردة تتفاوت ثبوتا ودلالة تفاوتا لا محل هنا لذكره ... وقد وضعت لضبط ذلك مقاييس عقلية جيدة ، يرجع إليها فى مظانها من شاء ...

ولكن المؤسف أن بعض القاصرين - ممن لاسهم له فى معرفة الإسلام أخذ يهجم على السنة بحمق ، ويردها جملة وتفصيلا .. وقد يسرع الى تكذيب حديث يقال له ، لا لشئ ، إلا لأنه لم يرقه ، أو لم يفقه .... .

وتكذيب السنة على طول الخط احتجاجا بأن القرآن الكريم حوى كل شئ بدعة جسيمة الخطر ... لأن الله عز وجل ترك لرسوله

صلى الله رسله السنن العملية يبينها ويوضحها ، وقد ثبتت هذه بالتواتر الذى ثبت به القران فكيف تجحد وحدها ويعترف بالقرآن .... وكيف نصلى ونصوم ونحج ونزكى ونقيم الحدود ، وهذه كلها ما أدركت تفاصيلها إلا بالسنة ... وإنكار المروى من سنن الآحاد - لمحض الهوى - عصيان مخوف العاقبة ... والواجب أن ندرس السنة دراسة حسنة وأن ننتفع فى ديننا بما ضمت من حكم وآداب وعظات ... والسنة - لكثرة ما عرضت له من تفاصيل - تضمنت أحكاما كثيرة ، والأحكام قيود توضع على تصرفات الناس ، والقيد عندما يجئ فى مكانه الذى يناسبه ويلائمه ، لا يكون هناك معنى للتبرم به والإنكار عليه ... إنما ينشأ الاعتراض من سوء استعمال هذه القيود لأنها - والحالة هذه - سوف توصد أبوابا يجب أن تفتح ، وتضيق حدودا يجب أن تفسح ، وتحظر حركات يجب أن تأخذ مداها دون حرج (١)

مفهوم الشيخ للسنة التى يجب أن تسود بين المسلمين :

يقول الشيخ : لا أدرى لماذا لم تزدهر دراسة الشمائل النبوية ، ولماذا لم تشع معرفة السيرة الشريفة بين أنواع العلوم التى احتفى بها الأولون ؟؟ كان التاريخ كله علما ثانويا فى مواريثنا الثقافية ، وكان موضوعه مجالا رحبا للخرافيين والكذبة .... وكانت حياة الرسول تأخذ جانبا محدودا من هذا التاريخ ، ولم يتصدى لها من يربط بين فصولها ، أو يبرز ضروب الحكمة المستكنة فى مراحلها وأدواتها وأدوارها ، أو يشرح حقيقة الأسوة المطلوبة منها ... كل ما هنالك جملة من الأحاديث المتفاوتة القيمة يشرح الحديث منها فى نطاق خاص به . دون محاولة

(١) الشيخ محمد الغزالى ليس من الإسلام ص ٣٥ ط دار الكتب الإسلاميه ط ٥ ١٩٨٣م .

لجمعها فى صعيد متكامل ، تستبين منه الصورة الجامعة لخلال النبوة، ومواقفها بازاء مشكلات الحياة وقضاياهـــا الكثـيرة ... إن الكلمـات المنقولة عن شخص ما ، لها دلالتها التى لاشك فيها ، بيد أنى أحب أن أحاكم هذه الكلمات الى حياة هذا الشخص ، وطبيعة أعماله منذ أن ولد إلى أن مات .. فإذا استيقنت من متابعة أعماله أنه كان مجاهدا لا يفتر ،رفضت أى كلمة تنسب إليه وهى توحى بـــالقعود أو الاســترخاء .... وأنكرت كذلك على من يتأسى به وهو كسلان خوار ، ولو تعلق ببعـض النقول المروية عنه ، أو أدى بعض الوصايا التى أمر بها يقينا ... لقـد راقبت رجالا وطوائف تتصل بالسنة ، وتتدارس أحاديث منـــها كثـيرة أحاديث لاحصر لها .. ومع ذلك فنصيبهم من الأسوة الحسنة تافــــه ، ذلك لأنهم ربما استوعبوا التفاصيل الجزئية لناحية من حياة الرســـول صلى الله عليه وسلم ، وذهلوا عن الصورة الكاملة والمعنى الجامع ... وقد يكون استحضار هذا المعنى الجامع متعذرا مع تشـــعب التفـاصيل التى غرقوا فيها .. فإن جمال امرئ ما ، لا يعرف من تسليط عدســـة مكبرة على جزء من جسمه . وإنما يعرف قبل كل شـــئ مـــن التقـاط صورة عامة لملامحه متناسقة مترابطة .. ومن هنا كـــان لابـد مـــن تصوير حياة الرسول للناس تصويرا يـــهدى بجـــلاء إلـــى عبادتـــه ، وجهاده، وخلقه وقضائه ، وسلمه وحربه ، وإقامته وسفره ، وسـلوكه في بيته ومع الناس ... وعلى ضوء هذه الصـــورة الشـــاملة يمشـــى المسلمون...

وهذه الصورة هى حجر الزاوية فى السنة ، ومنها تتفرع سائر البحوث التى يعنى بها الأخصائيون وحدهم .. أما قضاء بضعة شـــهور فى قراءة ألف حديث تتصل بأبواب الوضوء ، فذلك جهد لا تصلح بـــه حال المسلم من أوساط الناس ، ولاتخدم به السنة ...

ثم إن حياة محمد صلى الله عليه وسلم هى التطبيـــق العملـــى لتعاليم القرآن الكريم ، كما أن القرآن الكريم هو الجانب العلمى من هذه الرسالة الشاملة ، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تفاوت بيـــن الكتـــاب والسنة ، أى أنه لا مكان فى السنة لأثر يخالف روح القرآن العامـــة ، أو أحكامه المحدودة ، فإذا بدا مايوهم ذلك فى بعض المرويات فنحن لا نترك كتاب ربنا ، وسنة نبينا لقول أحد من النـــاس : أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : كذا أو كذا ... ويؤســفنا أن تنشــر خــلال القرون السالفة أحاديث كثيرة كانت بعيدة الأثر فى إفساد تصور العامة لحقائق الدين والدنيا ، ل كانت قيودا ثقالا فى منع الأمه من الحركـــة ، وشل نشاطها النفسى أو الفكرى ، أو تصريفه فـــى أعمـــال عديمـــة الجدوى ... وهذه الأحاديث بعضها موضـــوع ، وبعضـــها ضعيـــف ، وبعضها صحيح حرفته عن موضعه العقول القاصرة ، والأفهام الكليلة، فأصبح ضرره أكثر من نفعه ، وكان إقبال العامة على هذه الأحـــاديث صارفا للهمم عن الاشتغال بالقرآن نفسه ... مع أن القرآن الكريم هـــو الأصل الأول للإسلام ...... ومع أن السنن لا تقبل إلا إذا ســـارت فـــى اتجاهه ، واستقامت مع أهدافه .... فإذا فتر أخذ الأمة بكتابـــها ، فقـــد أضاعت وحى الله تعالى ، وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم جميعا .. إن السنن العملية المتواترة مثل القرآن الكريم وبيان لما أجمل فيـــه .. أما سنن الآحاد فإن العلماء - ليضمنوا مجيئها مـــن لـــدن الرســـول - وضعوا لصحتها وقبولها شروطا معقولة :

١- ضبط الرواة .　　　　٢- صدقهم .

٣- اتصال سندهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه .

٤- وكون المتن خاليا من الشذوذ .

٥-ومن العلل القادحة .

والشرطان الرابع والخامس لم يلقيا من دقة التنفيذ ما يجب .

فما أكثر الأحاديث التى صحت أسانيدها ، ومع ذلك خالفت ما هو أوثق منها .. أو حف بها من الشبه ما يقدح فى قيمتها ، ومع ذلك تلقاها الناس بالقبول ؟! .

إن القرآن الكريم نق إلينا متواترا كلمة كلمة ، ومع ذلك فقد فتحنا صدورنا لروايات آحاد بقراءات شاذة .. لماذا ؟ مع أنه يكفى فى إسقاط الحديث عن درجة الصحة مخالفتهما هو أوثق منه ، وكما يجب إعدام هذه الأحاديث (الموضوعة) ، ويجب إعدام أى حديث يفيد توجيها غير ما يفيده القرآن الكريم ... .

وهناك علل تقدم فى متن الحديث ولو صح سنده مثل :

لقد أنكر الشيخ محمد عبده أحاديث سحر الرسول صلى الله عليه وسلم - وإن كانت من رواية البخارى - لأنها غضاضة غير لائقة بمكانة النبوة ... ولو ساغ أن هذا التخييل يؤثر فى النفوس الضعيفة ، فكيف يقوى يهودى على التأثير فى أقوى نفس بشرية ، وهى نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما معنى القول : أن هذا التأثير فى أعضائه لا فى روحه ، مع أن السحر يعتمد عل قوى خفيه فى زعم مثبتيه لا على وسائل مادية ، وإذا صح هذا فلم لا يصح قول المشركين : (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) [١] .

---

(١) سورة الفرقان ٨ ، ٩

الحق أن السلف كانوا أحسن منا فهما للإسلام ، وعملا بـــه ، ووعيا لأصوله ، ونحن لم نبلغ مبلغهم من العلـــم إلا إذا رزقنـــا مـــن أصالة الفقه مثل ما رزقوا ، وبهذا تسترد السنة مكانتها الأولى .

إن فى السنة كنوزا من الحكمة والمعرفـــة ، وزادا مـــن الأدب والتقوى ، ولكن استخراج هذا الخير يحتاج إلى اليد الصنـــاع والعيـــن البصيرة [1] .

كانت هذه هى الآراء العامة للشيخ فى السنة الشـــريفة ودارت هذه الآراء حول ما يجب أخذه وما يجب تركه من الأحاديث ، ولكنـــه ألف بعد ذلك كتابا فصل فيه ما أجمل من آرائه السابقة . وأطلق علـــى هذا الكتاب اسما يعبر عن اتجاهه ، وهو (السنة النبوية بين أهل الفقه، وأهل الحديث) . وبين فيه المقبول والمرفوض مـــن الأحـــاديث مـــن وجهة نظر ، وهى كما يلى :

١- يقول الشيخ : ابن حجر شارح صحيح البخـــارى فـــى كتابـــه الجليل فتح البارى الذى قال فيه العلماء بحق : لا هجرة بعـــد الفتح ، إن الرجل على صدارته فى علوم السنة قـــوى حديـــث الغرانيق[2] واعطاه إشارة خضراء فمر بين الناس يفسد الديـــن والدنيا ، والحديث المنكور من وضع الزنادقـــة يـــدرك ذلـــك العلماء الراسخون ، وقد انخدع به الشيخ محمـــد بـــن عبـــد الوهاب فجعله فى السيرة التى كتبها عن رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ، والشيخ هو من هو غيرة على عقيـــدة التوحيـــد ودفاعا عنها ، ثم جاء الوغد الهندى سلمان رشـــدى فـــاعتمد

---

(١) الشيخ محمد الغزالى الإسلام والطاقات المعطلة ص ٦٩ ومابعدهـــا ط دار الكتب الإسلامية١٩٨٣ ط ٤

(٢) حديث الغرانيق أوردها بعض كتاب السير والمفسرين – الذين لا يحققون الروايات – في سبب رجوع مهاجري الحبشة عند تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ..) الآية : ٥٢ – ٥٤ من سورة الحج . وهي قصة باطلة نقلاً وعقلاً . راجع السنة النبوية د/ محمد أبو شهبة [١ / ٣٦٤] .

على هذا الحديث المكتوب فى تسمية روايته آيات شيطانية ، أليس من حق علماء الكلام والفقه والتفسير أن يحاربوا هذا القذر ، بل إن حراس السنة الصحيحة رفضوا هذا الحديث ... إن هناك آلافا من الأحاديث الخالية من العلل والشذوذ تم تسجيلها فى دواوين السنة ، فإذا بقى نزر يسير يتعاون فى ضبطه الفقهاء والمحدثون فذلك خير و أولى .

٢- يقول الشيخ : انظر موقف السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عندما سمعت حديث (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، لقد أنكرته وحلفت أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله ، وقالت - بيانا لرفضها إياه - : أين منكم قول الله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[1]. إنها ترد ما يخالف القرآن الكريم بجرأة وثقه ، ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من السيدة عائشة ما يزال مثبتا فى الصحاح ، بل إن (ابن سعد) فى طبقاته الكبرى كرره فى بضعة أسانيد ، قال : (أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطا لما طعن عولت حفصة ، فقال : يا حفصة أما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن المعو عليه يعذب ؟ قال : وعول صهيب فقال عمر : يا صهيب أما علمت أن المعول عليه يعذب ؟ .

وعن ابن أبى مليكة قال : توفيت ابنة لعثمان رضى الله تعالى عنه بمكه ، وجئنا لنشهدها ، وحضرها ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وإنى لجالس بينهما .. فقال عبد الله ابن عمر لعمرو بن عثمان : ألا تنهى النساء عن البكاء ؟ فإن رسول الله صلى الله

(١) سورة الأنعام ١٦٤

عليه وسلم قال (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)[١] . قال ابن عباس : قد كان عمر يقول بعض ذلك فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة ، فقالت رحمه الله تعالى عمر ، والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الميت يعذب بكاء أهله عليه ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه) . وقالت حسبكم القرآن " ولا تزر وازرة وزر أخرى " قال ابن عباس عند ذلك : والله هو أضحك وأبكى - يعنى أن البكاء على الراحلين طبع لا حرج فيه ، ولا تثريب عليه .

وعندى أن المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ويرى البعض بأن معنى تعذيب الميت بكاء أهله عليه أن الميت يتعذب أى يتألم ، وهو تأويل لطيف وإذا قبلناه لم يختلف الحديث مع الكتاب الكريم .

٣- وعن الذى دنا فتدلى فى سورة النجم يقول الشيخ : جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الآحاد ، رواية مستغرب أن الذى دنا فتدلى هو الله ، والرواية تخالف المتواتر المقطوع به فى الكتاب والسنة ، ومن هنا لم يكترث بها المحققون بل جمدت فى مكانها حتى جاء ضعفاء الفقه فى القرآن الكريم كثيرة النظر فى الأحاديث يصدرون الأحكام ، ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة .

وقد جاء الإمام مسلم رحمه الله تعالى فعلق على رواية إمامه البخارى رحمه الله تعالى فبين ما بها من عطب ، وذكر أن الخطأ جاء

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز (٢٣) باب : قول النبي ﷺ " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه " (٣٣) ٢/ ٨٠-٨١ . وبنحوه مسلم كتاب الجنائز (١١) باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) رقم (٩٢٩) ٢/٦٢١ – ٦٢٢ . والآية من سورة الأنعام (١٦٤) وسورة الإسراء (١٥) وفاطر (١٨) والزمر (٧) .

من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر....

إن مسلما (الإمام مسلم) مضى على منهج المحدثين ، فناقش عمل شريك الراوى عن أنس - ثم رفض المتن ، وحسنا فعل ..

إن الخطأ فى تفسير آية "النجم" ةالزعم بأن المعنى (دنا الجبار رب العزة فتدلى) كان مثار استنكار السيدة عائشة رضى الله عنها ، فلما سألها مسروق : يا أماه هل رأى محمد ربه ؟ قالت : لقد قف شعر رأسى مما قلت . أين أنت من ثلاث ؟ من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) [1] . (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراءحجاب)[2] . ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت) [3] . ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقدكذب ثم قرأت(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) [4]

ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين .

وأم المؤمنين عائشة فقيهة محدثة أديبة ، وهى وقافة عند نصوص القرآن الكريم ، ترفض أدنى تجاوز لها .. وعندما علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على حافة البئر التى دفن المشركون بها يناديهم بأسمائهم كان لها تعليق جدير بالتدبير ..

---

(١) سورة الأنعام ١٠٣ (٢) سورة الشورى ٥١ .

(٣) سورة لقمان ٣٤ (٤) سورة المائدة ٦٧ .

والرواية فى هذا أن النبى صلى الله عليه وسم مشى واتبعه أصحابه ، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله " فإن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ .

فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، أنكرت عائشة عبارة "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" مستدلة بالآية الشريفة (ما أنت بمسمع من فى القبور) [١].

قال قتاده مبينا الرواية الأولى ومدافعها عنها : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا .

والذى أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج الى هذا الدفاع ، فالموتى لم يفنوا ، وصوت النبوة يبلغهم وهم فى سجين ، ولكن عائشة رضى الله تعالى عنها ، لا تقل ما يعارض - فى ظاهره - لفظ القرآن الكريم ، فالموتى عادة لا يكلمون ولا يسمعون ، وإنما يعلمهم الله بما يشاء ، فإذا علموا فكأنهم سمعوا ، والعبارة مقبولة على طريق المجاز ..

٤- عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك ، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، قال : فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عينى ، قال : فرد الله تعالى إليه عينه ،

---

(١) سورة فاطر ٢٢

وقال : ارجع إلى عبدى فقل له : ألحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك عل متن ثور ، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت ، قال : فالأن من قريب ، رب أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر [1]

قال المازرى : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكروا الصورة قالوا : كيف يجوز على موسى فقئ عين ملك الموت ؟ قال : وأجاب العلماء عن هذه الشبهة بأجوبة أحدها أنه لايمتنع أن يكون موسى – عليه السلام – قد أذن الله تعالى له فى هذه اللطمة ، ويكون ذلك امتحانا للملطوم ، والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد .

الثانى : – أن هذا على المجاز ، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فعليه بالحجة ، ويقال : فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة ، ويقال : عورت الشئ إذا ادخل فيه نقصا ... وعلق المازرى على الرأى الثانى بقوله : وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم " فرد الله عينه " فإن قيل : أراد حجته كان بعيدا .

والثالث : أن موسى صلى الله عليه وسلم ، لم يعلم أنه ملك من عند الله تعالى ، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه (أى يريد قتله) فدافعه عنها ، فأدت المدافعة الى فقوء عينه ، لا أنه قصدها بالفقوء وهذا جواب الإمام ابى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازرى والقاضى عياض .

---

(١) أخرجه البخاري ك الجنائز (٢٣) بابا : من أحب الفن في الأرض المقدسة (٦٩) ٩٢/٢، ٩٣ ، كتاب : الأنبياء (٦٠) بابا : وفاة موسى (٣١) ٤/ ١٣٠، ١٣١ .
ومسلم كتاب الفضائل (٤٣) باب : من فضائل موسى (٤٢) ٤/ ١٨٤٢، ١٨٤٣ .

قالوا : وليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه ، فإن قيل : فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت ... فالجواب أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى .

ويعلق الشيخ على دفاع المازرى بقوله : هذا الدفاع كله خفيف الوزن ، وهو دفاع لا يساغ ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل فى أعراض المسلمين ، والحق أن فى متنه (الحديث) علة قادحة ، تنزل به عن مرتبة الصحة ، ورفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافا عقائديا ، والعلة فى المتن يبصرها المحققون ، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي .

وأخيرا فهذا الحديث وأمثاله مما لا صلة له بعقيدة أو سلوك قار فى مكانه ، تعدوه العين الى المهم من تعاليم الإسلام العملية ، فمن نبش التراب عنه ، وشغل الناس به ، ونسب الى الإلحاد من يتوقف فيه ، إن أعداء الصحوة الإسلامية من وراء هذا الحراك الطائش .

وقد لفت نظر الشيخ إلى هذا الحديث أحد الطلاب فى الجزائر حين سأله عن هذا الحديث وفى هذا يقول الشيخ : وقد وقع لى وأنا بالجزائر أن طالبا سألني : أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه ، بعدما استوفى أجله ؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر وماذا يفيدك هذا الحديث إنه لا يتصل بعقيدة، ولا يرتبط به عمل ، والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى ، وخصومها طامعون فى إخماد أنفاسها ، اشتغل بما هو أهم واجدى ... قال الطالب : أحببت ان أعرف هل الحديث مروى عن أبى هريرة وقد جادل البعض فى صحته ...... وعدت لنفسي أفكر : إن الحديث صحيح

السند لكن متنه يثير الريبة . إذ يفيد أن موسى يكره الموت ، ولا يحب لقاء الله تعالى بعدما انتهى اجله ، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة للصالحين من عباد الله تعالى كما جاء فى الحديث الأخر : (من احب لقاء الله أحب الله لقاءه)(١) فكيف بأنبياء الله تعالى ؟ وكيف بواحد من أولى العزم ؟ .

كانت هذه الأفكار هى بداية اعتراض الشيخ على هذا الحديث وعلى بعض الأحاديث الأخرى التي صحت أسانيدها وبقى في متنها علة قادحة وسوف نرى عند عرض رأى المعترضين على ما ذهب اليه الشيخ هل هذه العلل مسلم بقدومها فى صحة الحديث أم لا ؟

٥- وعن الرجل المتهم بام ولد يقول الشيخ : استغربنا ما رواه ثابت عن أنس : أن رجلا كان يتهم بأم ولد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : أذهب فاضرب عنقة ، فأتاه على فإذا هو فى ركى يتبرد فيها ، فقال له على : أخرج ، فناوله يده ، فأخرجه فإذا هو مجوب ليس له ذكر ، فكف على عنه ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إنه لمجبوب ماله ذكر . ويقول الشيخ تعليقا على هذا الحديث : يستحيل أن يحكم على رجل بالقتل فى تهمة لم تحقق ، ولم يواجه بها المتهم ، ولم يسمع له دفاع عنها ، بل كشفت الأيام عن كذبها .

وقد حاول النووى غفر الله لنا وله تسويغ هذا الحكم ، بقوله : لعل الرجل كان منافقا مستحقا للقتل لسبب آخر ، ونقول : متى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل المنافقين ؟ ما وقع ذلك منه ، بل لقد نهى عنه .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء (٤٨) باب : من أحب لقاء الله . رقم : ٢٦٨٤ ٤ / ٢٠٦٥ ـ ٢٠٦٦ .

وظاهر من السياق أن الرجل نجا من القتل بعدما تبين من العاهة التى به استحالة توجيه الاتهام إليه ، أفلو كان سليما ابيح دمه؟ هذا أمر تأباه أصول الإسلام .. وفروعه كلها ..

إن بالحديث علة قادحة ، وهى كافية فى سلب وصف الصحة عنه ، وأهل الفقه لا أهل الحديث هم الذين يردون هذه المرويات [١] قال بعض المدافعين عن هذا الحديث : لعله من باب التعزير ؟ وهذا تفكير مستنكر . هل الإسلام أعطى ولى الأمر حق قتل الناس لشبهه أو شائعة ؟ أباسم التعزير تستباح الدماء ؟ إننا نقتل ديننا بهذا الفهم ، ونعرض سيرة نبينا للقيل والقال .

٦- تحريم نعى الموتى : وعن تحريم نعى الموتى يقول الشيخ : جاء فى بعض الطلاب يقولون أنهم قرؤوا أحاديث تفيد ذلك (تحريم نعى الموتى) . ومن ثم فهم يستنكرون الأذان بأخبار الموتى .

قلت إن النعي المكروه ما كان استعراضا للمآثر والمفاخر ، وتنويها بالأفراد والأسر ، أما ما عدا ذلك فلا شائبة فيه ، بل لابد منه.

قالوا ما رواه الترمذى وابن ماجه غير ما تقول ، عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عندما احتضر : (إذا أنا مت فلا تؤذن على أحدًا، إنى أخاف أن يكون نعيا ، وإنى سمعت رسول الله ينهى عن النعى) . هكذا روى الترمذى وأكد ابن ماجه الرواية إلا أنه قال : كان

---

(١) لا اتفق مع الشيخ فيما ذهب إليه من جدارة أهل الفقه برد بعض الأحاديث وأرى أن علماء الحديث هم الأجدر ببحث أى شئ يتعلق بفنهم وتخصصهم ، وسوف يزاد هذا الموضوع بسطا أثناء المتابعة بإذن الله تعالى .

حذيفة إذا مات له الميت قال : (لا تؤذنوا به أحد ، إني أخاف أن يكون نعيا ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هاتين ينهى عن النعى) .

وعن عبد الله بن مسعود (أن رسول الله كان ينهى عن النعى، وقال إياكم والنعى فإنه من عمل الجاهلية) قال عبد الله والنعى أذان بالميت .

يقول الشيخ : ونحن نؤكد أن النعى المحظور ما قارنه الرياء وأحياء العصبية أما الإخبار المعتاد فيستحيل كرهه .

وما أكثر الأحاديث المنتشرة اليوم بين الشباب ، يستنتجون منها أحكاما سيئة ، إن قبلنا سندها - على إغماض - فإن متنها لا يصح قبوله .

٧- سكن الشام : يقول الشيخ : وقد قرأت للمنذرى فى كتابة (الترغيب والترهيب) ستة عشر حديثا فى سكن الشام وما جاء فى فضلها . منها ما جاء عن زيد بن ثابت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوما ونحن عنده : (طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه) .

وأغلب الأحاديث الستة عشر تدور على هذا المعنى ، وأغلبها من رواية الترمذى ، والحاكم والطبرانى ، وابن حيان ، وابى داود واحمد ......

ونحن نحب أقطار الإسلام كلها ونعد أهلها اخوتنا ، ونرى نصرتهم دينا ، وخذلانهم كفراً ، وما يروى فى تفضيل بلد على آخر

والترغيب فى سكناه ، او المرابطة فيه فهو عندما يتعـرض الإسـلام للخطر من قبله أو تحدث ثغرة فى حـدوده تتطلـب الرجـال لسـدها ..والواقع أن دار الإسلام الآن مهدرة من ثغـرات شـتى ، والغـزاة يتواثبون حولها شرقا وغربا ....

ولما كانت فلسطين جزءاً من الشام فنحن نعـد الفـرار منـها عصيانا ، والثبات فيها جهادا ، وللمدافعين عن الإسلام فى أفغانسـتان والفلبين ، وسائر أراضيه كل الحقوق التي لعرب فلسطين ، أو الأرض الشام كما جاء في الأحاديث الستة عشر ......

٨- كان عمر رضى الله تعالى عنه يشغل نفسه ويشغل الناس معـه بالقرآن الكريم ، ويوصى الجيوش ان تلهج به وتعكف عليـه ، ومن قضيته التى استند فيها إلى القرآن الكريم وحده : ما رواه ابن إسحاق ، قال : كنت جالسا مع الأسود بن يزيد فى المسجد الأعظم ، ومعى الشعبى ، محدث بحديث فاطمة بنت قيس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يجعل لها سكنى ولا نفقة .

وكانت قد طلقت ثلاثا ، فاخذ الأسود كفا من حصا فحصبه به ، ثم قال ويلك تحدث بمثل هذا ؟ قال عمر : لا نترك كتاب ربنـا وسـنة نبينا لقول امرأة لا ندرى حفظت ان نسيت ، لها السكن والنفقة ، قـال تعالى : (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشـة مبينة) [١]

---

(١) سورة الطلاق ١

وحديث فاطمة المذكور هو موضع خلاف بين أهـــل الفقــه . رفضه الأحناف وقبله الحنابلة ، ويرى المالكية والشافعية : أن المطلقة ثلاثا لها المسكن دون النفقة .

٩- ومع أن اتجاه الشيخ فى كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقــه وأهل الحديث) يتجه فيه الشيخ إلى نصرة رأى أهل الفقه ، إلا أنه فى هذا الحديث يلوم اهل الفقه فيما ذهبوا إليه وهذا يـــدل دلالة واضحة أن الشيخ كان ينشد الحق وحده ، وإن اخطأ فــى السعى إليه كان ذلك الخطأ من أخطاء المجتهدين .

يقول الشيخ : اتفق المحدثون أن رسول الله صلـــى الله عليــه وسلم قال (لا تتكلم الأيم حتى تستأمر ، ولا تتكلم البكر حتى تســتأذن قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت)[١].

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أن جارية بكــرا أتــت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت : "أن أباها زوجها وهـــى كارهــة فخيرها رسول الله " .[٢]

وفى رواية أن فتاة دخلت على عائشة فقالت إن أبى زوجنـــى من ابن أخيه يرفع بى خسيسته وأناله كارهة ، قالت عائشة : اجلســى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته فأرسل الى أبيها فدعاه . فجعل الأمـــر إليـــها . فقالت : " يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن أعلــم النساء أن ليس للأباء من الأمر شئ " .[٣]

---

(١) أخرجه البخاري ك النكاح . باب : لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها (٥١٣٦) وفي ك : الإكراه (٦٩٤٦) ومسلم كتاب النكاح . باب : استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت (٣٤٦١) .

(٢) أخرجه أبو داود في النكاح . باب : البكر يزوجها أبوها ولا يستأمرها (٢٠٩٦) . وابن ماجة في النكاح باب : من زوج ابنته وهي كارهة (١٨٧٥) .

(٣) أخرجه ابن ماجة ك النكاح . باب : من زوج ابنته وهي كارهة (١٨٧٤) والنسائي ك : النكاح . باب : الثيب يزوجها أبوها وهي كارهة رقم : ٣٢٦٩ .

ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره !! ولا نرى وجهة النظر هذه إلا انسياقا مع تقاليد إهانة وتحقير شخصيتها [1] .

وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب (السنة النبوية) يتحدث الشيخ من ص ٤٣ : ٩٩ عن عالم النساء ، وكل الأحاديث التى ذكرها فى هذا الجزء من الكتاب سبق تخريجها والتعليق عليها فى الباب الثالث تحت عنوان قضية المرأة .

وفى الجزء الثالث من كتاب (السنة النبوية) للشيخ ، يتحدث عن الدين بين العادات والعبادات ويعترض على الأحاديث الآتية :

١- يقول الشيخ : وقد وردت أحاديث شتى في آداب الأكل بعضها صحيح ، وبعضها مرفوض ، وبعضها من عادات العرب فالقول بأن استعمال السكين في الأكل حرام ، لا أصل له ، وقد روى أبو داود حديثا عن عائشة جاء فيه : (لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنع الأعاجم وانهشوه نهشا فإنه اهنا وامرأ) . وهذا حديث باطل فقد ثبت فى الصحاح أن الرسول علية الصلاة والسلام كان يستخدم السكين فى تقطيع اللحم وهو يأكل وسند الحديث المروى عن أبى داود مرفوض .

٢- وروى أبو داود عن وحشى بن حرب أن الصحابة قالوا يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع قال : (فلعلكم تفترقون ؟ قالوا نعم . قال : فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه) . ونحن نرى فى هذا الحديث بواعث الجود

---

(١) الشيخ محمد الغزالى السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث ص ١٩ وما بعدها ط دار الشروق ١٩٩١ ط ٩.

واستضافة الفقراء ومحاربة الأزمات ، فلا يجوز ترك المحرومين يتضورون جوعا . ولا يجوز أن يفهم من الحديث تحريم الأكل فى طبق واحد كيف والله سبحانه وتعالى يقول (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) (١) . ولو وضع لكل فقير طعام فى صفحة ما كان هناك من حرج ... ولأي إنسان أن يأكل بيمناه مباشرة أو يأكل بمعلقة ، ففي الأمر سعة. وكان العرب يأكلون بأيديهم . تلك عادتهم ، ولا غرابة إذا كان الأكل بيده يلعق أصابعه . ولكن جعل هذه العادة دينا مما لا أصل له . ومن الدين ألا يترك المسلم فى صفحته طعاما كثيرا أو قليلا ليرمى بعد فى القمامة فهذا مسلك ذميم ، الغريب أن الأوربيين يتركون صحونهم اقرب ما تكون الى النظافة ، أما العرب فيدعون فى صحونهم ما يزحم أواني القمامة ، وما يقر عين الشيطان بالإسراف .

أما الجلوس على الأرض حتما ، والامتناع عن استعمال الملاعق ، والحرص على لعق الأصابع ...... فهذا تنطع أضر بالإسلام ورسالته وأطلق ضد المسلمين شائعات رديئة . فهل أمست الدعوة إلى التوحيد دعوة الى نمط من سلوك العرب الأوائل حتى في أيام جاهليتهم؟ إن هذا السلوك البدائى صد عن سبيل الله ...

٣- يقول الشيخ : قرأت حديثا عن البيهقى يقول فيه : (عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة وأرخوها خلف ظهوركم) .

وقرأت عدة أحاديث فى فضل العمائم رواها الترمذى وأبو داود، وهى جميعها لا قيمة لها ، كما قال الشيخ محمد حامد الفقى : (

---

(١) سورة النور ٦١

ليس فى فضل العمامة حديث يصح) . والعمائم لباس عربي ،وليس شارة إسلامية ، وكذلك العقال . والواقع أن البيئات الحارة تفرض تغطية الرأس والقفا . وقد جاء فى الحديث الصحيح : (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة) .

٤- وعن بناء المساكن يقول الشيخ : استغربتمما رواه الشيخان عن خباب بن الأرت وهو : (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا ، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب ثم يقول : إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب) [١] .

ولكلام خباب رضى الله تعالى عنه عليه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذى اكتوى منه ، ولا يجوز أن نعد البناء رذيلة ، والأصل الذى ترجع إليه فى سالكنا كلها : هو القصد الطيب المصاحب للعمل أو النية الطيبة الباعثة على العمل ، فإن كانت النية حسنة فالعمل صالح ، وتتحول فيه العادات إلى عبادات .

٥- يكرر الشيخ حديث البنيان برواية أخرى فيقول عن قيس بن أبى حازم رضى الله تعالى عنه قال : أتينا خباب بن الأرت رضى الله تعالى عنه لنعوده - وقد اكتوى سبع كيات فى بطنه - فقال إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا ولم تنقصهم الدنيا ، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب ، ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبنى حائطا له فقال إن المسلم يؤجر فى كل شئ ينفقه إلا فى شئ يجعله فى هذا التراب [٢] .

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم .
(٢) الحديث اخرجه الشيخان .

٦- وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النفقة كلها فى سبيل الله إلاالبناء فلا خير فيه [١]

٧- وعن انس رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسول الله صلـــى الله عليه وسلم يوما ونحن معه فرأى قبة مشرفة . فقال مـــا هذه ؟ قيل لفلان - رجل من الأنصار - فسكت وحملها فى نفسه حتى جاء صاحبها فسلم عليه الناس ، فأعرض عنه فصنع ذلك مرارا ، حتى عرف الرجل الغضب فيه ، والأعـــراض عنـــه ، فشكى ذلك إلى أصحابه ، فقال والله إنى لأنكر نظر رســول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى ما حدث فى فقالوا : خرج فرأى قبتك فقال : لمن هذه فأخبرناه ، فرجع الرجل الى القبة فهدمها حتى سواها بالأرض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وســلم ذات يوم ، فلم يرها فقال : ما فعلت القبة فحدثوه بما كان مـــن صاحبها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن كـــل بناء وبال على صاحبه إلا مالا . إلا مالا . يعنى:مالا بد منه [٢]

٨- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله تعالى عنهما - قال : مربى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أطين حائطا لى من خص ، فقال ما هذا يا عبد الله ؟ فقلت : حائطا أصلحه . فقال : الأمر أيسر من ذلك ، وفى رواية مـــا أرى الأمـــر إلا أعجل من ذلك[٣] .

---

(١) الحديث رواه الترمذى .
(٢) أخرجه أبو داود
(٣) أخرجه أبو داود والترمذى وصححه .

يقول الشيخ معلقا على هذه الأحاديث : عن دكين بـــن ســـعيد المزنى - رضى الله تعالى عنه -قال : أتينا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم سألناه الطعام ، فقال : يا عمر أذهب فأعطهم ، فارتقى بنا الـــى عليه ، فاخرج المفتاح من حجرته ، ففتح .... يعنى أنـــه كـــان هنـــاك غرفة عليا ، فلا حرج من بناء غرفة عليا .

والقارئ لجلة هذه الأحاديث لا يفكر فى بنـــاء دارة أنيقـــة ولا قصر شاهق ، بل لعله يرى العيش فى مدفن أقرب إلى التقوى ...

والصحيح أن هناك أحاديث ترتبط بمناسباتها ، ومانفهم إلا فـــى الجو الذى قيلت فيه ، ونحن فى حياتنا المعتادة ، قد يفكر امـــرؤ فـــى الزواج ويؤخر البت لظروف عارضة ، وقد ينو بناء بيت ثم يؤخر البناء لفتن ناشئة ، ومنطق الاستقرار غير منطق القلق ، ولقد كانت المدينـــة المنورة تعانى الكثير من أعباء الدعوة والجهاد ، والحصار والدفـــاع ، وكانت جمهرة الصحابة تشترك فى السرايا والغزوات ، فهى بين قتـــال أو استعداد له ...

وقد نظرت الى الترهيب من بناء القصور وزخرفتها من خـــلال هذه الملابسات ، وإلا فالأصل إباحة الطيبات فـــى المـــأكل والمســـكن والمنكح ، ولو أخذنا الأمر على عمومه ، ما بنيت مدينـــة ولا قـــامت حضارة ..

هنا يربط الشيخ الأحاديث بالملابسات التى أحاطت بـــها عنـــد قولها ، ولم يلجأ إلى رد هذه الأحاديث ولكنه يلجأ إلى نوع من التأويل.

وعن المس الشيطانى حقيقته وعلاجه يقول الشـــيخ : طـــرق بابى رجل يقول : إنه بحاجة إلى عونى ، فقمت لاستقباله وأنا متعب ،

ودهشت لمرآه ، فقد كان عملاقا بادى الصحة ، ولم تكن عليه سـيماء الفقر.. وبدأنى بالحديث من غير مقدمات ، قال: إنه مسكون واسـتعدت ما قال ، فكرر شكواه مؤكدا أنه مسكون قلت من سكنك ؟ قال : جنـى عات غلبنى على أمرى ... قلت وأنا أضحك لماذا لم تسكنه أنت ؟ إنـك رجل طويل عريض . فسكت حائرا .

وتحدث معى بعض أهل العلم الدينى ، كأنهم رأوا إنكارى علـى أولئك المرضى ، وقالوا لى : لماذا ترفض فكـرة احتـلال الشـياطين لأجسامهم ؟ وكان جوابى محددا : لقد شرح القـرآن الكريـم عـداوة ابليس وذريته لآدم وبنيه ، وبين أن هذه العداوة لا تعـدو الوسـاوس والخداع : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلـك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشـيطان إلا غرورا) [١] .

وليس يملك الشيطان فى هذا الهجوم شيئاً قاهراً إلا إنه يملـك استغفال المغفلين فحسب (وما كان لـى عليكـم مـن سـلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ...) [٢]

إن الشيطان لا يقيم عائقا ماديا أمام ذاهب الى المسـجد ، ولا يدفع سكرانا فى قفاه ليكرع الإثم من إحدى الحانات ، إنه يملك الاحتيال والمخادعة ، ولا يقدر على أكثر من ذلك .

قال لى أحدهم : هذا صحيح . لكن ما أوردته لا ينفى أن بعض المردة قد يساور بشرا مسلما وينال منه ... ! قلت :- وأنا ضجر - هل

---

(١) سورة الإسراء ٦٤

(٢) سورة إبراهيم ٢٢

العفاريت متخصصة فيركوب المسلمين وحدهم ؟ لماذا لم يشك ألمـانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم ؟ .

إن سمعة الدين ساءت من شيوع هذه الأوهام بين المتدينيـن وحدهم ، إنكم تعلمون أن العلم المادى اتسعت دائرته ورست دعائمـه ، فإذا كان ماوراء المادة سوف يدور فى هذا النطاق فمستقبل الإيمـان كله فى خطر فلنبحث علل أولئك الشاكين بروية ، ولـنرح أعصابـهم المنهكة ، ولا معنى لاتهام الجن بما لم يفعلوا .

وجاءنى صديق يقول لى : أرى أن تسمع كلام العلم فى هـذه القضية . قلت : مرحباً بكلام أهل العلم هات ما عندك .

قال أن مس الشيطان للإنسان ثابت بالكتاب والسنة فأما الكتاب فقوله : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الـذى يتخبطـه الشيطان من المس ...)[1]

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الشيطان يجـرى من ابن آدم مجرى الدم) . وقوله (فناء أمتى بالطعن والطاعون وخز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة) . وقوله : (ما من مولود يولـد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمـه عليهما السلام) .

ويعلق الشيخ عل الآية الكريمة والأحاديث الصحيحة بقولـه : أما الآية الكريمة : (... لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ..) . فجمهور المفسرين على أن ذلك يوم الجزاء . وعيب هذا التفسير أن أحداً لم ير أكلة الربا مصروعين فى الشوارع توشـك

---

(١) البقرة ٢٧٥

أن تدوسهم الأقدام . ومن ثم جعلوا ذلـــك عندمـــا يلقـــون الله تعـــالى فيحاسبهم على جشعهم وظلمهم .

أما حديث أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الـــدم ، فـــإن القصة التى ورد فيها تشرح المراد منه قالت صفية زوجة رســـول الله صلى الله عليه وسلم : كان رسول الله صلى الله عليه وســـلم معتكفـــاً فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت الى بيتى فقام النبى صلى الله عليـــه وسلم يمشى معى مودعا - وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد - فمـــو رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم ، أســـرعا . فقال لهما : على رسلكما - أى تمهلا - إنها صفية بنـــت حـــي .قـــالا سبحان الله يارسول الله . قال : (إن الشيطان يجـــرى مـــن ابـــن آدم مجرى الدم ، فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا أو قال شـــرا ...) . وظاهر من الحديث أن الرسول يريد منع الوسوسة ، التى قـــد يلقيـــها الشيطان عندما يرى مثل هذا المنظر . ومـــع أن الصحـــابيين أنكـــرا واستعظما أن يجرى فى نفسيهما شئ مـــن ظنـــون الســـوء بالنســـبة للمعصوم صلى الله عليه وسلم فإن النبى أراد منع هذه الوسوسة ، ولا صلة للحديث باحتلال الشيطان لجسم الإنسان .

وأما الحديث الآخر وهو أن الطاعون وخز الجن وهم أعـــداء الشر ، فيكفينا فى شرحه صاحب المنار عندما قال : يرى المتكلمـــون أن الجن أجسام حية خفيفة لا تر ، وقد قلنا غير مـــرة : أن الأجســـام الحية الخفيفة التى عرفت فى هذا العصر بواسطة النظـــارت المكـــبرة وتسمى " الميكروبات " يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبـــت أنـــها

على الأكثر الأمراض ، قلنا ذلك فى تأويل ماورد من أن الطاعون من وخز الجن .

أما الحديث نخس الشيطان للإنسان فيقول عنه صاحب المنار : فى حديث أبى هريرة عن الشيخين وغيرهما واللفظ هنا لمسلم : " كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها " . فسر البيضاوى المس هنا بالطمع فى الأغواء ! وقال الأستاذ الإمام : إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل ، لا من باب الحقيقة ولعل البيضاوى يرمى الى ذلك .

ثم قال صاحب المنار : المحقق عندنا أن ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين ، وخيرهم الأنبياء والمرسلون ، أما ما ورد فى حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما ، وحديث إسلام شيطان النبى صلى الله عليه وسلم وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية ، لأنه من رواية الآحاد ، ولما كان موضوعها عالم الغيب ، والإيمان بالغيب من قسم العقائد ، وهى لا يؤخذ فيها بالظن لقوله تعالى(وإن الظن لا يغني من الحق شيئا)[1] كنا غير مكلفين أن نؤمن بمضمون هذه الأحاديث فى عقائدنا .

يقول الشيخ : ومذهب السلف فى هذه الأحاديث تفويض العلم بكيفيتها الى الله تعالى ، ومع أن مذهب السلف أحب إلى ، إلا أن مدافعة أعداء الإسلام تقتضى مزيدا من الحذر واليقظة ولست أحب أن أفتح أبواب الشعوذة والسحر والدجل باسم أن الشيطان احتل بدن إنسان ....[2]

---

(١) سورة النجم ٢٨.
(٢) المرجع السابق ص ١١٤ وما بعدها .

وتحت عنوان فقه الكتاب أولا يقول الشيخ : يرى الصنعانى أن النذر حرام ، معتمداً على حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال : (إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل) . والنذر الذى لا يأتى بخير هو النذر المشروط الذى يشبه المعارضات التجارية ، يقول الإنسان : لله على كذا إن شفيت من مرض أو إن نجح ابنى ... أما النذور الأخرى فى طاعة الله تعالى فلا حرج فيها ما دامت من الناحية الفقهية صحيحة .

والسؤال الآن : كيف يحكم بأصل الحرمة فى النذور كلها مع قوله تعالى فى وصف الأبرار : (يوفون بانذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) [١] ، وقوله فى موضع آخر (ثم ليقضوا تفثهم وليفوا نذرهم وليطوفوا بالبيت العتيق) [٢] .

وقد رأيت الجهل بالقرآن الكريم يبلغ حداً منكوراً عند شرح حديث مسلم (كل ذى ناب من السباع فأكله حرام) . فإن شارح الحديث زعم أن الحديث قبل فى المدينة المنورة ، وأنه نسخ ما نزل بمكه من قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به ...) [٣] . والزعم بأن حديث الآحاد ينسخ آية من القرآن الكريم زعم فى غاية الغثاثة ، ثم إن الآية قيل بنسخها تكرر معناها فى القرآن الكريم أربع مرات . مرتين فى سورتى الأنعام والنحل المكيتين ، ومرتين فى سورتى البقرة والمائدة المدنيتين . بل ما جاء فى سور المائدة هو من آخر ما نزل من القرآن الكريم ، فكيف

---

(١) سورة الإنسان ٧ (٢) سورة الحج ٢٩ .
(٣) سورة الأنعام ١٤٥ .

يفكر عاقل فى وقوع الشيخ ؟ ثم إن عددا من الصحابة بينهم ابن عباس ، وعددا من التابعين فيهم الشعبى وسعيد بن جبير رفضوا حديث مسلم فكيف نترك آية لحديث موضع لغط ؟.

وعن بعض الروايات لنافع رضى الله عنه يقول الشيخ : عن عبدالله بن عون كتبت إلى نافع - يرحمه الله تعالى - أسأله عن الدعاء قبل القتال - ويقصد بالدعاء دعوة الناس إلى الدخول فى الإسلام قبل المعركة - قال عبدالله فكتب إلى : (إنما كان ذلك فى أول الإسلام وقد أغا ر النبى صلى الله عليه وسلم على نى المصطلق وهم غارون .) . ونافع غفر الله له مخطئ ، فدعوة الناس إلى الناس قائمة ابتداء وتكرارا ، وبنو المصطلق لم يقع قتالهم إلا بعد أن بلغتهم الدعوة ، فرفضوها وقرروا الحرب .

ورواية نافع هذه ليست أول خطأ يتورط فيه ، فقد حدث بأسوأ من ذلك ، قال : كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ قوله تعال (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) [1] فقال تدرى فيما نزلت هذه الآية قلت : لا . قال : نزلت فى رجل أتى امرأته فى دبرها ، فشق ذلك عليه .. فنزلت هذه الآية .

قال عبدالله بن الحسن : إنه لقى سالما بن عبدالله بن عمر فقال له : ياعم ، ما حديث يحدثه نافع عن عبدالله أنه لم يكن يرى بأسا بإتيان النساء فى أدبارهن فقال : كذب العبد وأخطأ ، إنما قال عبدالله يؤتون فى فروجهن من أدبارهن .

ونعود ألى رواية نافع - وهى عدم الدعوة قبل القتال - ونقول: إنه مع اهتزازها ، فإن أهل الحديث روجوا لها حتى جعل الصنعانى عنوان الموضوع : " الغارة بلا انذار " .

---

(١) سورة البقرة ٢٢٣ .

يقول الشيخ معلقاً على عنوان الصنعانى : غارة بــلا انــذار ؟ أين هذا المسلك من قوله تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانــة فــانبذ إليهم عل سواء إن الله لا يحب الخائنين) [١] . وقوله : (فإن تولـــوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون)[٢] .

فى كتابى (جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيــد الخــارج) . أحصيت أكثر من مائة آية تتضمن حرية التدين ، وتقيم صروح الإيمان على الاقتناع الذاتى . وتقضى على الإكراه عن طريق البلاغ المبيـــن ... وليس فى تاريخ الثقافة الإنسانية كتاب ينسئ العق المؤمن إنشاء ، ويعرض آيات الله تعالى فى الأنفس والآفاق لتكون ينابيع فكر يتعـوف منها على الله تعالى ، ويستريح إلى عظمته كما وقع فى هذا القـــرآن الكريم ، ومع ذلك فنحن كمسلمين يوجد بيننا من ينسى هذا كله ليقـف عند راو تائه يزعم أن الدعوة إلى الإسلام كانت فى صدر الإسلام ثـــم الغيث ومن ألغاها ؟.

إنه لأمر ما يجئ بختام خاص لسورة براءة التى نزلـــت فـــى السنة التاسعة ، يقول عن الكافرين : (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) [٣] . أفى هـــذا الختـــام رائحة إكراه ؟ .

وعن الترغيب فى الفقر والزهد يقول الشيخ : قرأت خمســـين حديثاً ترغب فى الفقر وقلة ذات اليد وما جـــاء فـــى فضـــل الفقـــراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالســـتهم ، كمـــا قـــرأت ســـبعة وسبعين حديثا ترغب فى الزهد فى الدنيا والاكتفـــاء منـــها بـــالقليل ،

---

(١) سورة الأنفال ٥٨ .
(٢) سورة الأنبياء ١٠٩ .
(٣) سورة التوبة ١٢٩ .

وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس .... وقرأت سبعة وسبعين حديثاً أخر في عيشة السلف وكيف كانت كفافاً ... ذكر ذلك كله المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب وهو من أمهات كتب السنة ، ورحم الله تعالى المؤلف الحافظ وغفر لنا وله ، فهو حسن النية ناصح للأمة ، بيد أن الفقه الصحيح يقتض منهجاً آخر ، ومسلكاً أرشد .

وأعرف ويعرف غيرى أن عبادة الدنيا أهلكت الأولين والآخرين ، وأنها من وراء جرائم مذهلة يقترفها الخاصة قبل العامة ، والروساء قبل الأتباع ، والأذكياء قبل الأغبياء ، ولكن العلاج الصحيح للداء العضال يكون بالتمكن من الدنيا والاستكبار على دناياها .

أملك أكثر مما ملك قارون من المال ، وسيطر على أوسع مما بلغه سليمان من سلطان ، واجعل ذلك فى يدك ، لتدعم به الحق حين يحتاج الح إلى دعم ، وتتركه لله تعال فى ساعة فداء حين تحين المني، أما أن تعيش صعلوكاً ، حاسباً أن الصعلكة طريق الجنة فهذا جنون وفتون ... إذا كان الإلحاد يفرض سلطانه بالتمكين فى الأرض ، فإن انصرافك عن التمكن من الأرض فاحشة أشد من الزنا والربا ...

بعد أن قدم الشيخ رأيه فيما جاء من أحاديث تجنب الفقر وتزهد في الدنيا بدأ يناقش بعض هذه الأحاديث ويقول : نناقش بعض ماروى فى هذا المجال لنعرف ماوراءه ، عن أنس بن مالك رضى الله تعالىعنه : اشتكى سلمان الفارسى - فى مرض موته - فعاده سعد بن أبى وقاص ، فرآه يبكى ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أخى ؟ أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليس ؟ . قال سلمان ما أبكى واحدة من اثنتين ضنا على الدنيا ولا كرهاً للآخرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً وما أرانى إلا قد تعديت

.. قال سعد وما عهد إليك ؟ قال عهد إلينا أنه يكفى أحدكم مثل زاد الراكب ، ولا أرانى إلا قد تعديت وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت ، وعند قسمك إذا قسمت ، وعندك همك إذا هممت .

قال المنذرى وقد جاء فى صحيح ابن حبانه أن مال سلمان جمع بعد وفاته ، فبلغ خمس عشر درهماً .

إن سلمان رضى الله تعالى عنه من أكابر الصحابة ومن أوفيائهم ، والحديث يفيد أنه وجل من لقاء ربه وتركته خمس عشر درهماً ، وإنها لصورة تثير الخشية والخشوع أن نرى أميراً من أمراء الفتح الإسلامى يلقى ربه بهذا التجرد والتبتل .. على حين نرى الآن القادة والأمراء يتشبعون من الدنيا بلا حدود .

لكن للفقه سؤالا هنا : إن سعد بن أبى وقاص الذى كان يحاور سلمان سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس).

فليس الميراث الكبير جريمة ... وسعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة - كما جاء فى السنن - وهؤلاء العشرة كانوا من أغنياء المسلمين ، بل لم يكن فيهم فقير .

المشكلة ليست فى امتلاك المال الواسع ، بل المشكلة فى كيف تمتلكه ؟ وكيف تنفقه ؟ وقد رأينا فى الدنيا أغنياء بنوا الجامعات حصونا للعلم والبحث ، وأغنياء حاربوا المرض ، والشظف ببأس شديد ، وأغنياء قدموا لدولهم ما تطلب من ضرائب كى تضع موازناتها إقامة للمصالح العمة ، ورأينا عثمان بن عفان يعين إعانة رائعة فى الإعداد لغزوة العسرة حتى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم أرض عن عثمان فإنى راض عنه . وفى رواية أخـــرى : ليـــس لابن آدم حق سوى فى هذه الخصال : (خرقة كف بـــها عورتـــه ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يتدخل فيه من الحر والقـــر) وفـــى عبارة البيهقى (كل شئ فضل عن بيت ، وكسرة خبز ، وثوب يـــوارى عور ابن آدم ، فليس لابن آدم فيه حق)[١] ... قال الحســـن البصـــرى لراوى الحديث : ما يمنعك أن تأخذ به ؟ - وكان يعجبه الجمال - فقـــال الرجل للحسن : يا أبا سعيد إن الدنيا تقاعدت بي : ورأي أن الرجل كان يستطيع تقديم إجابة أفضل ، إجابة من كتاب الله تعالى : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)[٢] ...

ولو جعلنا هذه المرويات - من الأحاديث - محور حياة عامـــة ، لشاع الخراب فى أرجاء الدنيا ...

منهج الشيخ :

أردت بهذا العنوان أن أعرض فى عجالة لمنهاج الشيخ قبل أن نصل إلى تحليل هذا المنهج لأن المعترضين عليه يتهمونه - ظلما - فى بعض الأحيان أنه يرد الأحاديث الصحيحة . وهو لا يفعل هذا مع بعض الأحاديث إلا من خلال علماء الحديث أنفسهم ، أما أغلب الأحاديث التى تعرض لها فهو لا يردها - بمعني يبطلها - ولكنه يردها إلى مناســباتها ومعانيها القريبة والبعيدة .

---

(١) الحديث رواه البيهقى
(٢) سورة الأعراف ٣٢.

ولنترك الشيخ يشرح منهجه بنفسه . يقول : فهل هذه المرويات باطلة ؟ . ربما ظن البعض أنى أرى ذلك ، والواقع أن هذه المرويات تساق فى مجال محدد لهدف محدد ، وهى جرع من أدوية يتناولها الإنسان حتى لا يكون منهوما بالدنيا شقيا وراء بعض الحرمان الذى يطرأ عليه .. كم من الناس لديه أنصبة مضاعفة من هذه الأرزاق ومع ذلك لم يقدر ولم يشكر .

وقد وقف المحرفيون عند هذه الآثار فوقفوا بالعالم الإسلامى كما وقف حمار الشيخ فى العقبة لا يتقدم ولا يتأخر ، بل لعله تراجع إلى العصر الحجرى فى بعض جوانبه ..

ويبدو أن الطيش فى فهم المرويات ، وسوء تقديرها مرض محذور العقبى من قديم ، فقد روى الترمذى عن الحارث الأعور قال : مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الآحاديث . فدخلت على على رضى الله تعالى عنه فأخبرته فقال : أو قد فعلوها ؟ قلت نعم قال : أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أما أنها ستكون فتنة قلت : فما المخرج منها يا رسول الله . قال : (كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولاتنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعت حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ..)[1] .. من قال به صدق

---

(١) سورة الجن ١، ٢ .

ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم)[1]. ثم قال على خذها إليك يا أعور .

إن الحكم الدينى لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غـيره . وإنما يضم الحديث إلى الحديث ، ثم تقارن الأحاديث المجموعة بمـا دل عليها من القرآن الكريم ، فإن القرآن الكريم هو الإطار الـذى تعمـل الأحاديث فى نطاقه ولاتتعداه ، ومن زعم أن السـنة تقضـى علـى الكتاب، أو تنسخ أحكام فهو مغرور .

(١) الحديث رواه الترمذى .

أحاديث الفتن

وعن أحاديث الفتن يقول الشيخ : وللنواس بن سمعان حديث طويل فى الدجال ، ذكر فيه طرفا من القوة التى زود بها ، أو الفتنة التى يثيرها بين الناس قال : (... يأتى على القوم فيدعوهم – إلى عبادته – فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى ، وأسبغه ضروعا وأمده خواص ، أما الذين يكفرون به فينصرف عنهم فيصبحون مملحين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ثم ينزل عيسى بن مريم فلا يزال يطارد الدجال حتى يدركه باللد فيقتله ، ويريح الناس من شروره)[١] .

والأحاديث التى اقتبسنا نتفا منها هى أحاديث آحاد ، وبعضها فى الصحاح .. والروايات عنه كثيرة ، وفى إحداها أنه مكتوب بين عين الدجال ، (ك ف ر) أى كافر يقرؤه كل مسلم .... وفى رواية عن أم شريك عن النبى صلى الله عليه وسلم : (ليفرن الناس من الدجال فى الجبال ، قال أم شريك : يارسول الله أين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل ...)[١] .

ويظهر لى أن الدجال من زعماء اليهود ، وقد يكون من كبار علمائهم الكونيين ، وهو يمثل عوج الضمير اليهودى وانقطاعه عن الله تعال . بل عداوته له ... وقصته قبيل الساعة تمثل خاتمة الصراع

---

(١) انظر أحاديث الدجال في صحيح البخاري كتاب فضائل المدينة (٢٩) بابا " لايدخل الدجال المدينة " ، ك : بدء الخلق (٥٩) ، باب : إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء آمين ، ك الأنبياء (٦٠) باب ما يذكر عن بني إسرائيل (٥٠) ك الفتن (٩٢) باب : ذكر الدجال ، باب : لا يدخل الدجال المدينة . وكتاب التوحيد (٩٧) باب قول الله تعالى (ولتصنع على عيني) . وصحيح مسلم ك الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب : ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٠) باب (في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه) وغير ذلك من مواضع .

السيئ بين أتباع الأديان الثلاثة ، فاليهود بقيادة مسيحهم يحاولون الظهور والسيطرة ، والنصارى مستمسكون بأقانيمهم وصلبانهم وسيرتهم الاجتماعية المعروفة ، وهم يظاهرون اليهود على العرب ... والمسلمون فرق شتى فيهم الصالح المستميت فى المقاومة ، وفيهم التائه الهائم على وجهه .

وعن امتحان الله تعال للمؤمنين يوم القيامة يقول الشيخ : جاء بعض المولعين بمشكل الحديث وغريب الروايات . فذكروا كلاما آخر لابد من كشف حقيقته لخطورة مضامينه ، وشذوذها عما يعرف بها المؤمنون ربهم فى امتحان عصيب يجرى لهم يوم القيامة .

والقصة كما ذكرها تتلخص فى انه بعد إلقاء المشركين فى العذاب يبقى المسلمون وحدهم (حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها

فقال ماذا تنتظرون ؟ تتبع كل امة ما كانت تعبد ! قالوا : يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ، ولم نصاحبهم فيقول : انا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية ؟ فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم . يكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه . إلا أذن الله له بالسجود . ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة . كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال : فيقولون أنت ربنا ....) [1]

---

[1] الحديث

يعلق الشيخ على هذا الحديث بقوله : هـــذا ســياق غـــامض مضطرب مبهم !! وجمهور العلماء يرفضه ، وقد حاول القاضي عياض القول بأن الذى جاء المؤمنين فى صورة أنكروها أول الأمر هو أحـــد الملائكة ، وكان ذلك اختبارا من الله تعالى لهم ، وهو أخر اختبار يلقاه المؤمنون .

ومحاولة القاضى عياض لا تقدم ولا تؤخر نه فليست الأخــرة دار اختبار إن الاختبار تم فى الدنيا كما جاء فى البخـــارى : (اليــوم عمل ولا جزاء وغدا جزاء ولا عمل)…. ثم لماذا يقوم احد الملائكـــة بهذه التمثيلية المزعجة ؟ وبإذن من ؟ وما جدواها ؟ ….. وإذا تركنـا كلام عياض لنتأمل فى الوقائع نفسها وجدنا ما يستحيل عقلا أو نقـــلا أن يقبل ، فإن الله لا يجىء فى صورة تنقص عظمته وجلاله ، ثم يبدو فى صورة حقيقية بعد ذلك . مهما قلنا . إن المقصود بـــالصورة هــو الصفة …….الحديث كله معلول ، وإلصاقه بالآية خطــــأ . وبعــض المرضى بالتجسيم هو الذى يشيع هذه المرويات ، وإن المسلم الحـــق ليستحى أن ينسب الى رسوله هذه الأخبار .

- وعن قطع الصلاة يقول الشيخ : خذ مثلا ما يقطع الصــلاة ، فقد تشبثوا بحديث يقول : " إن الصلاة تقطعها المـــرأة ، والحمـــار ، والكلب الأسود "

وجمهور الفقهاء رفضوا هذا الحديــث ، واســتدلوا بأحـــاديث أخرى تفيد أن الصلاة لايقطعها شيء ، وأن الرســول عليـــه الصـــلاة والسلام ، كان يصلى وزوجته عائشة مضطجعة أمامه . كما أن ابن

عباس مر بحمار يركبه أمام جماعة تصلى ، فلم تفسد لـــها صــلاة ، والكلاب أبيضها وأسودها سواء .

ولست ممن يبنون العلالى على الخلافات فى فـــروع الفقـــه ، وإنما تعنينى سمعة الإسلام ، عندما يسافر امرؤ متعصب الى أوربـــا وأمريكا ثم يذكر للناس أن المرأة والكلب والحمار سواء فـــي إفســاد الصلاة عند مرورها .

وعند نهاية كتاب " السنة بين أهل الفقة وأهل الحديث " يرفض الشيخ حديثا يفيد الجبر المحض رواه الترمذى فيقول : وقد قرأت مـــا رواه الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سئل عــن قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشــهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين[1]) . قال عمر بن الخطاب رضـــى الله تعـــالى عنـــه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال : إن الله خلــق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هــؤلاء للجنة ، ويعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره ، فاســـتخرج منه ذريه فقال : هؤلاء خلقت للنار ، ويعمل أهل النار يعملون ، فقـــال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنـــة ، حتـــى يموت عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهـــل النـــار فيدخله الله النار).

---

[1] سورة الأعراف ١٧٢

يقول الشيخ : وهذا السياق يكاد يكون نصاً فى الجبر ولذلك نرفضه ونراه من أوهام الرواة ، بل نراه من الجهل بمعانى القرآن الكريم [١] .

وبهذا الحديث ينتهى كتاب الشيخ " السنة بين أهل الفقة وأهل الحديث " وقد أحدث هذا الكتاب دويا لا حدود له فى مجال الثقافة الإسلامية وعن هذا يقول الشيخ : ولكن ناسا فى عصرنا ما كادوا يقرؤون ما كتب حتى انبروا لمهاجمتي والنيل منى ، وليس هذا بضائرى ، وإنما لفت نظري أن القضية العملية لفها ضباب مفتعل ، فلم تبحث ولم يذكر حكم الله تعالى فيها حتى ليخيل إلى أن التجهيل فى الحكم مقصود .

وبهذه الكلمات ينتهى هذا الفصل لأن هذه القضية هى التى سنعالجها فى فصل المتابعة ، وسوف تكون المتابعة متجهة الى اظهار حكم الله تعالى فى هذه القضية .

---

[١] السنة بين أهل الفقة واهل الحديث ص ١٦١ وما بعدها .

الفصل الثالث

المتابعة

ترك كتاب " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث " للشيخ أثــراً مدوياً فى محيط الثقافة الإسلامية وتباينت ردود الأفعال تجاهــه بيــن مؤيــد ومعارض ، وإن كانت المعارضة أكثر وصوتها أعلى .

وقد قدمنا فى الفصل الثانى تلخيصاً لهذا الكتاب واتضــح مــن هــذا التلخيص أن الشيخ لم يقصد إلى رد الأحاديث أو إبطالها ، وإنما كان يعلــق على كل حديث مستنداً إلى تعليق سبقه من كثير من العلماء على هذا الحديث ، ولم يرفض حديثاً رفضاً قاطعاً إلا حديث الــترمذى الأخــير وفيــه (أن الله تعالى ظهر للناس فى القيامة على أدنى صورة له) . وقـــد حـــاول الإمـــام القاضى عياض أن يلتمس مخرجاً للحديث فقال إن الذى ظهر هو أحد الملائكة ولم يقتنع الشيخ بهذا التأويل ، لأن تنزيه الله تعالى عنده فوق كل شئ وقبــل كل شئ .

ومن العجيب أن الفريق المعارض قد اتهم الشيخ بمعاداة السنة، وقــد قدمن فى الفصل الأول (عاشق السنة) وبينا أن الشيخ انفرد بقدر كبــير مــن الحب والتوقير للسنة ولصاحب السنة عليه الصلاة والسلام ربما – فيما نعلم- لم يصل إليه أحد من علماء المسلمين قبل الشيخ .

وقد كانت للشيخ وجهة نظر تدور حول هــذه الفكــرة : إن العلمــاء اتفقوا على رد حديث الثقة بحديث من هو أوثق منــــه ، وعلــى هــذا تــرد الأحاديث التى تعارض القرآن الكريم ، أو يرد معناها فقــط وتحمــل علــى

معنى آخر ينسجم مع معانى القرآن الكريم ، وكان يمكن لهذه الفكرة أن تتحول إلى منهاج للعمل والدراسة يقوم عليه علماء الحديث أنفسهم ، ولولا سبق بعض الألفاظ من الشيخ فى حق علماء الحديث . واستعداد البعض للهجوم على الشيخ لأسباب عديدة من بينها الدفاع عن السنة الشريفة.

وسوف نعرض لبعض الدراسات التى ألفت حول آراء الشيخ فى السنة الشريفة وموقفه منها ، سواء الدراسات التى تمت فى مصر أو فى بعض بلاد العالم الإسلامى . وهى دراسات فى مجملها أشبه بالمعارضات اللفظية ، والتى لاتقوم على قاعدة منطقية أو مناهج دراسية لها قواعد حاكمة، وأصول شرعية .

المعارضة الأولى :

فى سلسلة دفاع عن السنة قدم الكاتب أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم بحثا فى ٥٣٦ خمسمائة وست وثلاثين صفحة من القطع المتوسط تحت عنوان (جناية الشيخ محمد الغزالى على الحديث وأهله) . وقوم لهذا وراجعه وعلق عليه الدكتور / ربيع بن هادى عمير المدخلى رئيس شعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقامت بطبع الكتاب ونشره مكتبة الإمام البخارى .

أ- منهج الشيخ :

بدأ الباحث ببيان منهج الشيخ فى معارضته لبعض الأحاديث فقال :
وقد استقى الغزالى هذه المجازفة الخطيرة - تقديم القرآن على السنة عند البحث عن الدليل - من أصحاب المدرسة العقلية وموقف أصحاب

هذه المدرسة يشابه إلى حد كبير موقف سلفهم المعتزلة من السنة وردهم ما يخالف ما ذهبوا إليه من آراء فى التفسير وما هدتهم إليه عقولهم ... وقد كان من أسس أصحاب هذه المدرسة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع فمنهم من أراد بذلك الرجوع إلى القرآن الكريم والأخذ بما يوافقه من السنة ونبذ ما التبس عليه وعسر على ذهنه - القاصر - فهمه ومنهم من أراد بذلك الرجوع إلى القرآن الكريم فى كل قضية ليلتمس فيه الحكم . فإن وجده لم يحتج معه لمأخذ آخر . مع أن الصحيح فى ذلك أن ينظر فى الكتاب والسنة معاً لأن السنة مبينة لكتاب الله فيجب اعتبارها مع الكتاب مصدراً واحداً لا فصل بينهما.

يقول الغزالى فى كتابه مستقبل الإسلام (فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع ومن تدبره يعرف الإطار العام للهدايات الإسلامية) ، ثم يبين لنا بوضوح تام ما يعنى بذلك فى كتابه السنة النبوية ص (١٨/١٧) من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامى يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولاً ... ثم يقرر بعد ذلك قراره الاعتزالى الخطير بأنه ينبغى (محاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم) وهذه الدعوة الخطيرة دعا لها من قبل الزنادقة . [1]

بعد أن قدم المؤلف لمنهاج الشيخ بدأ يناقش الأحاديث التى ناقشها الشيخ والتمس لها الشيخ والتمس لها تأويلا مناسبا ، ولكن المؤلف يحاول أن يخطئ مفاهيم الشيخ فى الأحاديث وعرضها كما يلى :

---

(١) أشرف عبد الرحيم جناية الشيخ محمد الغزالى على الحديث وأهله ص٦٩ وما بعدها ط مكتبة الإمام البخارى ١٩٨٩م.

١- لما ذكر للسيدة عائشة حديث عمر عن النبى صلى الله عليه سلم: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) . فقال يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) ، ولكن قال : (إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه) ثم قالت حسبكم القرآن (ولا تزر وازرة وزر أخرى).[1]

يؤيد الشيخ الغزالى فهم السيدة عائشة لهذا الحديث ولكن الشيخ أشرف (المؤلف) يعترض على فهم الشيخ وفهم السيدة عائشة من أجل إحراج الشيخ يحاول تقديم اعتراضات واهية على فهم السيدة عائشة للقضية وهذا ما يوضح ما يجلبه الانفعال والهوى على البحث العلمى وهذه نماذج من اعتراضاته .

يقول : إن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها استشكلت الحديث لسببين: الأول : لاعتقادها بطلان معناه ، وقد ساعدها على هذا أن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما أقرا الحديث على مقتضاه وحملا على ظاهره فأوهمها ذلك أن الحديث من باب عقوبة الإنسان بذنب غيره ، وهذا يخالف بعض أصول الشريعة وقواعدها المقررة . يخطئ المؤلف فى حق السيدة عائشة حين يقول : فأوهمها ذلك ولاأدرى لماذا ؟ فهو يخطئ السيدة عائشة من أجل أن يخطئ الشيخ الغزالى .

وعن السبب يقول المؤلف : اعتقادها غلط الناقل :

ما استشكلت هذا الحديث بناء على أن الرجل قد يخطئ السمع وقد يهم . . ففهى الحديث أنها لما ذكر لها حديث عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) . فقالت يرحم الله عمر لا والله ما

(١) سورة الأنعام ١٦٤ والحديث رواه البخارى " ١٢٨٨ " ومسلم " ٩٢٨"

حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قال : (إن الله يزيد الكافر ببكـــاء أهله عليه ...) .

وفى رواية قالت : (أما والله ما تحدثون هذا الحديث عــــن كــاذبين مكذبين ، ولكن السمع يخطئ وإن لكم فى القرآن لما يشفيكم ...) [(١)]

وبعد أن يستعرض المؤلف هذين السببين : يبدأ فـــى معارضـــة رأى السيدة عائشة بقوله : فى حديثها الذى اعترضت به على رواية عمر وابنـــه قالت ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله ليزيد الكافر عذابـاً ببكاء أهله عليه) . فيلزم من هذا الكلام أن الميت (الكافر) يعذب بذنب غيره ، وهو عين ما نفته فى رواية عمر وابنه ولذلك يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله (والمعارضة التى ظنتها أم المؤمنين رضى الله عنها بين روايتهم وبيـــن قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . غير لازمة أصلاً . ولو كــــانت لازمة لزم فى روايتها أيضاً . " أن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عليه) . فــــإن الله سبحانه لا يعذب أحداً بذنب غيره الذى لا تسبب له فيه . فما تجيب بــه أم المؤمنين عن الحديث الذى استدركته عليهم.[(٢)]

وبهذه الفقرة التى نقلها المؤلف عن ابن القيم يكون قد وضح رأيـــه فى رواية السيدة عائشة وبرغم استنتاج ابن القيم إلا أن الحق غير ذلك لــهذه الأسباب .

أ- أن السيدة عائشة حينما اعترضت على رواية سيدنا عمر اســـتبدلتها بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم : (إن الله

---

(١) الحديث مسلم (٩٢٩) وأخرجه البخارى فى كتاب الجائز جـــــ٣ ص١٨١ ط دار الفكر .

(٢) ابن القيم تهذيب السنة جـ ٤ صـ ٢٩٠ ، ٢٩١ .

ليزيد الكافر ببكاء أهله عليه) . وهذا الحديث صحيح فمعارضة المؤلف وابن القيم معارضة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست معارضة لرأى خاص للسيدة عائشة .

ب- إن الكافر رحلته إلى الآخرة رحلة عذاب من أولها إلى آخرها وبكاء أهله وإن كان بباعث الرحمة منهم فإنه ينقلب عليه وبالا بباعث الغضب من الله تعالى .

ومن هذا يتضح أن محاولة رفض فكر الشيخ محمد الغزالى فى السنة النبوية جرت معها رفض ما ذهبت إليه السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، والأكثر من ذلك أن احتجاج المؤلف ومعه ابن القيم على رأى السيدة عائشة صاحبه وتزامن معه احتجاج على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقعا فى لبس كبير لأنهما يؤيدان حديث سيدنا عمر وابنه عبدالله رضى الله تعالى عنهما لأنه حديث صحيح وينكران أو يعترضان على حديث السيدة عائشة فى عذاب الكافر وهو أيضا حديث صحيح .

وربما يعترض المؤلف بكلام ابن تيمية : (والأحاديث الصحيحة الصريحة التى يرويها مثل عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وأبى موسى الأشعرى وغيرهم لاترد بمثل هذا ، وعائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لها مثل هذا نظائر ترد الحديث بنوع من التأويل لاعتقادها بطلان معناه ولا يكون الأمر كذلك ..) [1] وهذا الكلام لا ينهض بقضية المؤلف لأن السيدة عائشة كما أسلفنا لا تعترض على المعنى فقط كنوع من التأويل بل تأتى بحديث صحيح (عذاب الكافر) فعلى أى شئ تقع معارضة الإمام ابن تيمية ؟

---

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى جـ ٢٤ ص ٣٨٥ .

٢- حديث أبى طلحة : (أن النبى صلى الله عليه وسلم أمــر يــوم بــدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من أطــواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثــم مشــى واتبعه أصحابه ، وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قــام على شفه الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان ابــن فلان ، ويافلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قــد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ ... قــال فقال عمر : يا رسول الله . ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفس محمد بيده ما أنتــم بأسمع لما أقول منهم " . قال قتاده أحياهم الله حتى أسمعهم قولــه : توبيخا وتصغيرا أو نقمة ، وحسرة وندما " . (١)

أنكرت السيدة عائشة عبارة : " ما أنتم بأسمع لما أقــول منــهم " . مستدلة بالآية الشريفة : " وما أنت بمسمع من فى القبــور " (٢) وصححــت الرواية : " ما أنتم بأعلم لما أقول منهم " هكذا يقول الشيخ .

ويعترض المؤلف " أشرف " على السيدة عائشة وعلى الشيخ الغزالى بقوله : اعلم رحمنى الله وإياك أن الحديث صحيح لاريب فيه البتة ولا مطعـن ولا مغمز ولا إشكال فيه بحمد الله للأمور التالية :

---

(١) أخرجه الشيخان البخارى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القــبر جــ ٣ صــ ٢٧٤ وأحمد فى مسنده جــ٢ صــ ١٣١ ط دار الفكر .

(٢) سورة فاطر ٢٢ .

أولا: خطأ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى توهيمها للراوى لا فى استدلالها بالآية . هكذا يصحح الشيخ أشرف ومن على شاكلته على تخطئة السيدة عائشة وهم فى طريقهم إلى تخطئة الشيخ .

ثانيا: ابن عمر لم ينفرد بالرواية بل تابعه عليها جمع من الصحابة .

ثالثا: حادثة القليب خرق عادة للنبى صلى الله عليه وسلم .

رابعا: فى الجمع بين روايتى عائشة وابن عمر :

وينقل الشيخ أشرف عن ابن جرير الطبرى قوله : والصواب من القول فى ذلك أن لكلتا الراويتين اللتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك صحيحة عدول نقلتها فالواجب على ما انتهت إليه ، وقامت عليه خير الواحد العدل ، الإيمان بها والإقرار بأن الله يسمع من شاء من خلقه من بعد مماته ما شاء من كلام خلقه من بنى آدم وغيرهم على ما شاء . ويفهم من شاء منهم ما شاء ، وينعم من أحب منهم ، بما أحب ، ويعذب فى قبره الكافر ومن استحق منهم العذاب كيف أراد على ما جاءت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآثار وصحت به الأخبار . (١)

فى الفقرة السابقة التى نقلها الشيخ أشرف عن ابن جرير الطبرى ما يدل على صحة رواية السيد عائشة ورواية ابن عمر معا ، ولا وجه للقول بخطأ السيدة عائشة على الإطلاق .

هذه نماذج من المعارضة الأولى للمؤلف أشرف عبد المقصود وهى معارضة غير متوازنة . تتسم بالتسرع فى الحكم خاصة ما يتعلق بروايات

(١) تهذيب الآثار جـ٢ ص١٨ مسند عمر بن الخطاب .

السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، ومناقشته لها بغير دليل أو أساس من علم ، وقد اتضح منهج المؤلف من الفقرات التى نقلناها من كتابه .

المعارضة الثانية :

المعارضة الثانية للدكتور / ربيع المدخلى وهو الذى قدم للكتاب الذى سبق تقديمه فى المعارضة الأولى ، وقد تم تأليف الكتابين فى عام واحد ١٤١٠هـ ١٩٨٩م ومنهج الكتابين واحد فى الهجوم على الشيخ ونعته بأوصاف لايجب أن تقال على رجل أفنى حياته فى خدمة الدعوة الإسلامية .

يقول الدكتور / ربيع المدخلى : اشتدت وطأة المستشرقين على السنة النبوية ، وساندهم قوم ممن يلبسون ثياب الإسلام ويحملون قلوب الذئاب على الإسلام والسنة المطهرة ... ويؤسفنا أن الشيخ محمد الغزالى قد حشر نفسه – فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها السنة وأهلها – فى خصوم السنة ، بل صار حامل لواء الحرب عليها ، وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام والسنة النبوية المطهرة .

إن الغزالى فى كثير من كتبه وتصريحاته يتململ من السنة ولاسيما أخبار الآحاد على حد زعمه تململ السليم ... ولقد ضمن مؤلفاته الأخيرة حملات شعواء وقذائف خطيرة على كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة . وحملات شديدة على من يريد التمسك بها ...

ولعل سائلا يسأل عن السبب الذى دفع الغزالى إلى هذا الموقف من السنة وأهلها ؟ ... فاعتقد أن مرد ذلك إلى قصور إدراكه لمعانيها فيخيل له هذا القصور فى كثير من الأحاديث أنها تعارض القرآن أو تصادم العقل وقد يكون هذا العقل جهميا أو معتزليا أو مستشرقا أو أوربيا .

ثم لاتسمح له نفسه بمراجعة أقوال أهل الاختصاص من أئمة الحديث وجهابذة النقاد ... [١]

---

(١) د . ربيع بن هادى المدخلى كشف موقف الغزالى من السنة وأهلها صـ٧ وما بعدها ط مكتبة بن القيم المدينة المنورة ١٤١٠هـ .

هكذا يرى المؤلف أن الشيخ يشن حملات شعواء على السنة ويوجه إليها قذائف خطيرة وأنه لايفهمها ويحتاج إلى جهابذة النقاد لتوضيح السنة .... ويستمر المؤلف فى كتابه على هذا النمط من الاتهام ... ولذلك سنضرب صفحاً عن هذا وندخل إلى لب الموضوع وهو معالجة الأحاديث التى ذكرها الشيخ فى كتاباته عن السنة :

١- يقول الغزالى : وحديث الآحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القادحة وإن صح سنده فأبو حنيفة يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه ، فإن قتل فإلى حيث ألقت ، أما من له عهد وذمة: فقاتله يقتص منه ، ومن ثم رفض حديث : " لايقتل مسلم فى كافر " مع صحة سنده لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآنى: " النفس بالنفس " (١) وقوله تعالى بعد ذلك " فاحكم بينهم بما أنزل الله " (٢) وقوله : " أفحكم الجاهلية يبغون " (٣) . وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفى أدنى إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان ، وإلى احترام النفس البشرية ، دون النظر إلى البياض والسواد ، أو الحرية والعبودية ، أو الكفر والإيمان ، ولو قتل فيلسوف كانس طريق قتل فيه " فالنفس بالنفس " قاعدة للتعامل .

وبعد استعراض هذه الفقرة من كلمات الشيخ يعلق المؤلف بقوله: وعلى هذا الكلام مآخذ أذكرها :

---

(١) سورة المائدة ٤٥.

(٢) سورة المائدة ٤٨.

(٣) سورة المائدة ٥٠.

المأخذ الأول : ان الغزالى لايفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول ، ويغلب على الظن من تصرفاته أنه لايعرف ذلك ولا يستطيع تطبيقه على منهج علماء الحديث والفقهاء .

المأخذ الثانى : على احتجاجه بقول الله تعالى : " وأن أحكم بينهم بما أنزل الله . لا أدرى ما يريد به ، ايريد أن الحكم بين أهل الكتاب لايجوز أن يكون إلا بالقرآن ، ولا يجوز أن يكون بالسنة لأنها ليس مما أنزل الله ؟ . فإن كان يريد ذلك – وهو الظاهر – فإنها الكارثة.

المأخذ الثالث : على احتجاجه بقوله تعالى : " أفحكم الجاهلية يبغون " . فهل يرى أن مضمون هذا الحديث من أحكام الجاهلية أو يشبهها ؟ فإن كان يريد ذلك فإنه لأمر عظيم وخطب جسيم .

المأخذ الرابع : على قوله ! " وعن التأول نرى أن الفقه الحنفى أقرب إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان " . فهل من العدل أن يساوى بين الكفر والإيمان ؟ وبين المؤمنين والكافرين ؟

المأخذ الخامس : على قوله : " وأقرب إلى احترام النفس البشرية دون النظر إلى البياض والسواد أو الحرية والعبودية أو الكفر والإيمان " .

ويرد المؤلف على الغزالى فى المأخذين الرابع والخامس بقوله: أن الكافر لا حرمة له . ويكتسب الذمى والمعاهد حرمة محدودة بسبب دخوله تحت ذمة المسلمين الذين فرض عليهم الإسلام احترام العهود والمواثيق ،

ولكن ليس معنى حرمة نفسه أن يكون مثل المسلم سواء بسواء ، فإذا مـات الذمى فلا نصلى عليه ، ولا تدفنه فى مقابر المسلمين ولا نستغفر له .[(١)]

فى الفقرات السابقة يرد د . المدخلى على خطأ الشـيخ وهـو فـى تصوره كما يلى : إذا تكلم الشيخ عن المذهب الحنفى يقوم الموقف بالرد على الشيخ وليس على المذهب الحنفى نفسه ، ثم يلجأ فى الرد على قاعدة النفس بالنفس إلى المميزات والفوارق بين المسلم والكافر وهذه المميزات معـترف بها ومعلومة من الدين بالضرورة إلا قاعدة " النفس بالنفس " لا علاقة بـهذا ولا يمكن إبطالها – إذا أردنا ذلك – من هذا الطريق ، لأنه استدلال عـاطفى لا يغنى عن الحق شيئاً ، ولا يمكن إبطال هذه القاعدة إلا بالرجوع إلـى السـنة العملية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى تطبيقات تلك السنة عنـد الخلفاء الرشداين ومن تبعهم بإحسان ونهج نهجهم القويم .

٣- قضية " ثم دنا فتدلى " [(٢)] :

يقول عنها الشيخ الغزالى : (القوى الذى علمه الوحى ، ونزل به مـن السماء الدني ، وحلق به فى جو الأرض ، ثم اقترب به من الرسـول العربى ، هو جبريل بداهة ، ولا يحتمل السياق إلا هذا ، ومع ذلك فقد جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الآحاد راوية مستغربة : أن الذى دنا فتدلى هو الله !! والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسـنة ومن هنا لم يكترث بها المحققون، بل جمدت فى مكانها حتـى جـاء ضعفاء الفقه فاستحيوها دون وعى ... وقد جاء الإمام مسلم – رحمه

---

(١) د . ربيع المدخلى كشف موقف الغزالى صـ ١٠٨ ، ١٠٩ ط مكتبة ابـن القيـم المدينة المنورة ١٤١٠م .

(٢) سورة النجم ٨ .

الله - فعلق على رواية إمامه البخارى - رحمه الله - فبين ما بها من عطب ، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر .

إن مسلما مضى على منهج المحدثين ، فناقش عمل شريك الراوى عن أنس . ثم رفض المتن وحسنا فعل .

إن الخطأ فى تفسير أية النجم - والزعم بأن المعنى - دنا الجبار رب العزة فتدلى كان مثار استنكار السيدة عائشة - رضى الله عنها - فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه ؟ قالت لقد قفَّ شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث ؟ من حدثكهم فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير " [١] ... إلخ ثم علقت السيدة عائشة : ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين .

ثم يعلق د. المدخلى على كلام الشيخ بقوله : إن المقصود بهذا الطعن والتشويه هو الإمام البخارى الفقيه البصير والحافظ الناقد الكبير. مع أن المنصف لايرى فى كلام الشيخ أى تعريض بإمام أئمة الحديث البخارى - يرحمه الله تعالى - ولكن هذه هى طريقة د . المدخلى ، وطريقة معظم الذين عارضوا الشيخ ، فهم لأول وهله ، يحاولون اصطناع تصادم بين الشيخ وبين الرموز الكبيرة للأمة من أجل استعداء القارئ على الشيخ وتسجيل مواقف هلامية يظنها أصحابها مواقف علمية راسخة .

يقول د. المدخلى للشيخ : أسألك هل تعتقد أن أهل الحديث يخالفون فى هذه القضية - قضية نزول أمين الوحى جبريل على النبى

---

(١) سورة الأنعام ١٠٣ .

– صلى الله عليه وسلم – التى تواتر بها القرآن والسنة جميعا وأجمع عليها المسلمون ؟ .

ثم يسوق د. المدخلى أدلة كثيرة جدا على أن الذى دنا فتدلى هو رب العزة ... ونسأله كما سأل ما رأيك فى رفض الإمام مسلم للحديث، وفيما روى عن السيدة عائشة واتهامها للقائل بهذا بالكذب واستشهادها بالقرآن الكريم . هذه هى القضية الجديرة بالمناقشة وليست آراء الشيخ فى هذا الحديث .

ولقد حاول د. المدخلى التحايل على رواية السيدة عائشة ولكنه سلم بها فى النهاية فقال : إن أهل الحديث يعتقدون أن المراد يقول الله تعالى : " ثم دنا فتدلى " هو جبريل عليه السلام أخذا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى روته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود – رضى الله عنهم .

فى الفقرة السابقة يسلم د . المدخلى بما ذهب إليه الشيخ من أن المقصود جبريل عليه السلام ويسوق إجماع أهل الحديث على ذلك والسؤال الآن إذا كان كذلك فعلام النقد والتجريح لآراء الشيخ . تلك قضية تحتاج إلى مراجعة .

المعارضة الثالثة :

يقول المؤلف : سلمان بن فهد العودة : كثير من القراء الذين أتيح لهم الإطلاع على ما كتبه الشيخ الغزالى أو بعضه يتساءلون : إلى أى مدرسة ينتمى الشيخ الغزالى ؟ ما هى المنطلقات والأسس الفكرية التى ينطلق منها ؟

بهذا الاستهلال بدأ المؤلف كتابه [١] فى معارضة الشيخ الغزالى، وقد ظل المؤلف فى معظم كتابه يحاول البحث عن المدرسة الفكرية التى ينتمى إليها الشيخ الغزالى .

يقول المؤلف : إن من الواضح أنه يحاول ألا يحشر نفسه فى إطار معين ويحاول أن ينتقى من الآراء ما يعتقد أو يرى أنه أحرى بالقبول ، إما لقوة الدليل ، أو لملائمة الواقع ، أو لأى سبب آخر . ومع ذلك فإن من الممكن – من خلال استعراضى ومعايشتى لمعظم ما كتبه الشيخ من كتب – رسم الإطار العام الذى يتحرك فيه .

وبعد أن أعطى المؤلف لنفسه حقَ رسم الإطار العام الذى يتحرك فيه الشيخ أو فكر الشيخ شرع فى بيان ذلك فقال : كثيرون من الناس يعتبرون الغزالى من أتباع المدرسة العقلية .

وبدأ المؤلف فى تعريف المدرسة العقلية فقال : إن المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكرى الذى يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع ، وبين الحضارة الغربية ، والفكر الغربى المعاصر ... وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين ..

وتعريف المؤلف للمدرسة العقلية غير دقيق لأن المدرسة العقلية موجودة فى الفكر الإسلامى قبل أن تكون للغرب حضارة ، والمفكرون يعتبرون المعتزلة هم أئمة هذه المدرسة ، وبعضهم يضيف إليها الفقه الحنفى فى بعض توجهاته ، لكن لا أحد يعلم هذا التعريف للمدرسة العقلية قبل المؤلف وكتابه الحوار الهادئ .

---

(١) سلمان بن فهد العودة حوار هادئ مع محمد الغزالى ط مكتبة نور الإسلام ١٤١٣هـ ص٩ .

ثم يحدد المؤلف سمات المدرسة العقلية كما يلى :-

١- رد السنة النبوية كليا أو جزئيا .

٢- التوسع فى تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه .

٣- التهوين من شأن الإجماع إما برفضه كليا كما نجد عند أحمد خان الهندى ... ومنهم من يقيد الإجماع كما نرى عند محمد عبده وغيره.

٤- الحرية الواسعة فى الاجتهاد مع غض النظر أيضا عن الأطر العامة التى يجب أن تضبط هذا الاجتهاد .

٥- الميل إلى تضييق نطاق الغيبيات ما أمكن وذلك تأثرا بالتيار المادى الذى يسود الحضارة المعاصرة .

٦- تناول الأحكام الشرعية العملية تناولا يستجيب لضغوط الواقع ومتطلباته وذلك كقضايا الربا .

ويعتبر المؤلف معالجة قضايا المرأة سمة مضافة لهذه المدرسة فيقول نجد – مثلا– قضايا المرأة فى فكر " قاسم أمين " الذى يقال إن " محمد عبده " كان وراء ما كتب حول تحرير المرأة .

وبعد هذا الاستعراض يقول المؤلف : يبرز بعد ذلك السؤال المهم ، هل يمكن احتساب الشيخ الغزالى ضمن هذه المدرسة كما يقول البعض ، أم أن الأمر ليس كذلك ؟

وبعد أن يعرض المؤلف لمعظم كتب الشيخ الغزالى ولنقـــاط تلاقيـه واختلافه مع المدرسة العقلية ، يعددها فى نقاط كما يلى :

أولا : **نقاط الاختلاف** .

١- العقل : العقد عند الشيخ الغزالى له مجال يعمل فيه ، وهــو المجــال الكونى والأمور الدنيوية البحتة من زراعة وصناعة وطب ونحوهــا ، أما مجال العلاقات الإنسانية التى تحكم الجنس البشرى فى حياته على الأرض فإن الكلمة فيها لشرائع السماء وحدها ... هذا هــو الإطــار العام الذى يتحرك فيه العقل عند الغزالى .

٢- التأويل : نظرا لهذا الموقع الذى يحتله العقــل عنـد الشـيخ وهــو – إجمالا – أقل من موقع العقــل عنــد أصحــاب المدرســة العقليــة – فيما يبدو – فإن الشيخ يظهر غالبا وكأنه أقل إسرافا فى التأويل من بقية العقلانيين .

٣- الأحكام الشرعية العملية : أما فى مجال الأحكام الشرعية العمليـــة ، فإن الشيخ الغزالى أبرز أهمية النص وضرورة الوقوف عنده ..

ثانيا : **نقاط التلاقى مع المدرسة العقلية** .

١- أحاديث الآحاد : رده الحديث الآحاد إذا خالف إيماءات القرآن الكريم . وكذلك عدم إثباته العقائد بحديث الآحاد ... وهنا يظلم المؤلف الشـيخ لأن عدم إثبات العقائد بحديث الآحاد رأى كثيرين ممن سبقوا الشـيخ وليس رأى الشيخ استقلالا .

٢- الإجماع : شارك الغزالى المدرسة العقلية فى تقييد الإجماع وتحديــد النطاق الذى يعمل فيه على نحو ما رآه الشيخ " محمد عبــده " فــهو يرى أن الإجماع : (هو اتفاق أهل الحل والعقد وهم العلماء والأمراء

والسلاطين والقواد فى منزلتهم على أمـــر مــن الأمــور المتعلقــة بالمصالح العامة ، وهى التى لأولى الأمر سلطة فيها ووقوف عليها).

٣- الغيبيات : تذكر أن الشيخ يضيق ببعض القضايـا الغيبيــة ويســارع لإنكارها تجاوبا مع ما يسمى فى العصر المــاضى بــالعلم التجريبــى ولذلك يقول فى كتاب " هموم داعية ص٤ " : وفى عالم يتبع التجربـة ويحترم البرهان ، تصور الدين كغيبيات مستوردة من عـــالم الجــن وتهاويل مبتوتة الصلة بعالم الشهادة) . وفى هذا النص تبرم وضيــق مع التوسع فى الغيبيات فى مجال الجن وغيرها . ونقول للمؤلـــف : الشيخ لاينكر عالم الجن ولكنه ينكر ابتزاز أموال النـــاس والشــعوذة باسم عالم الجن وهذا موجود فى معظم مؤلفاته ..

٤- الأحكام العملية التفصيلية : فيما يتعلق بالأحكام العملية التفصيليــة ... فقد اعتنق الشيخ عددا غير قليل من الآراء الضعيفـــة والمرجوحــة والشاذة ، وآراء أخرى لم يقل بها أحد من قبل . ومن ذلك :

أ- محاربة الحجاب - أعنى تغطية الوجه - وقد شن الشيخ عليه حملة ضارية مستغربة فى أكثر من سبعين موضعاً ، فى كتبه حتى إن قضية الحجاب وتغطية الوجه من القضايا التى تقلــق الشيخ وتقض مضجعه فهو يحشرها بمناسبة وبغير مناسبة .

ب- ومن الآراء الغريبة التى اعتنقها أن للمرأة حقا فـــى تولــى سائر المناصب بما فى ذلك المناصب العليا بما فى ذلك رئاسة الدولة والوزرات والقضاء .

جـ- وحين يتحدث عن شهادة المرأة يؤكد أن شهادتها فى الحـدود والقصاص مقبولة .

د- وفى هذا الإطار يأتى إصرار الشيخ على ضرورة إخراج المرأة إلى المسجد ، وأن هذا هو السنة إذ كيف يجوز أن نفتى بغير ذلك فى عصر تمكنت فيه المرأة من غزو الفضاء ؟ وصارت تنال الدرجات العليا والجوائز الضخمة . ثم يعلق المؤلف على هذه الفقرة بقوله : إنها الهزيمة النفسية أمام ضغوط الحضارة الغربية المنتصرة ...

والحقيقة أن المؤلف هنا يظلم الشيخ كثيراً ولا يفرق بين النقاب والحجاب _مما يعطي صورة سيئة للقارئ عن الشيخ ، ثم يعلق على مطالبة الشيخ بخروج المرأة للمسجد بأن هذا من ضغط الحضارة الغربية المنتصرة ، ونقول للمؤلف : إن ضغط الحضارة الغربية هو أن تجلس المرأة فى المنزل أمام التلفاز تعبث بجهاز التحكم للبحث عن اللهو الغير برئ - أما أن تخرج للمسجد فهذا هو ضغط الحضارة الإسلامية التى انتصرت والمرأة فى المسجد وليست خارجه .

ه- المسلك الاعتقادى : أقول (المؤلف) هنا لقاء جزئى مع العقلانيين، فإنه يقرر فى غير موضع أنه مع مذهب السلف ... ولكنه يفسر مذهب السلف بأنه التفويض فيقول : لقد درسنا فى الأزهر ونحن طلاب مذهبى السلف والخلف فى آيات الصفات ، أعنى التفويض والتأويل . فاعتبر الشيخ أن التفويض هو مذهب السلف ويقصد بالتفويض أنه لايتدخل فى تأويل الأسماء والصفات لكنه يجزم بأن ظاهرها غير مراد. ولا شك أن هذا ليس مذهب السلف ، بل مذهب السلف إثباتها على حقيقتها دون تأويل ، مع القطع بأن ظاهرها لا يعنى التشبيه .

يلاحظ القارئ أن المؤلف يثبت للشيخ آراء لم يقلها فى تعريف مذهب السلف ، ثم يبنى بعد ذلك أحكاما عليها وهذا بعيد عن منهج البحث العلمى . لأن عبارة الغزالى التى نسبها إليه المؤلف تقول : يجزم بأن ظاهرها غير مراد . وعبارة المؤلف : مع القطع بأن ظاهرها لا يعنى التشبيه . العبارتان متوازيتان تماما . أين القضية إذن .

٦- الوحدة الوطنية : من اطروحات العقلانيين ما يسمى بالوحدة الوطنية ، والتقارب بين الأديان السماوية ولذلك فإن " محمد عبده" أسس جمعية سياسية سرية فى بيروت هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة (الإسلام واليهودية والنصرانية) . وقد انتسب إليها بعض المسلمين وبعض الانجليز وبعض اليهود وينسب المؤلف الشيخ إلى هذا التيار فينقل عن الشيخ قوله : إن اختلاف العرب من مسلمين ومضارى لا يمنع تجمعهم على إعزاز الأمة العربية ورد العدوان عنها مهما كانت ديانة المهاجم . ولا أدرى لماذا يعترض المؤلف على هذا الكلام الذى يجمع أفراد الأمة فى منظومة واحدة للدفاع عنها ولم نسمع للمؤلف صوتا أثناء حرب الخليج الثانية ودخول القوات من ملل عديدة البلاد الإسلامية للقضاء على حاضرها ومستقبلها بحجة القضاء على جيش العراق العربى المسلم ، لا أدرى لماذا لم يعترض المؤلف على هذا .

وبعد أن يعدد المؤلف نقاط التلاقى بين الغزالى والمدرسة العقلية يجد فى نفسه الجرأة لتقييم فكر الغزالى ككل . فيقول : ومما يدركه القارئ العادى لكتب الغزالى : أن الرجل يملك أسلوبا خطابيا عاطفيا أكثر مما يملك فكرا علميا وفقهيا مؤهلا متماسكا ، ولعل هذا أثر من آثار عمله الطويل فى الوعظ . ولذلك برز التناقض فى آرائه ومواقفه بشكل ملفت يجعل من الصعب على

القارئ أن يحدد ملامح فكر الشيخ بدقة وكأن الذى يبحث عن منهج واضح للشيخ يبحث عن شئ غير موجود [١] .

وعن موقف الشيخ من السنة النبوية يقول المؤلف : الشيخ الغزالى يؤمن بالسنة النبوية ، ووجوب الأخذ بها ، ويرد على منكريها ، لذلك عقد فى كتاب (مستقبل الإسلام) فصلا عنوانه (أهل القرآن وأهل الحديث) رد فيه على من يسمون أنفسهم بالقرآنيين ، وهم أولئك الذين يرفضون السنة ، ويوجدون فى عدد من البلاد ، ومن أشهر البلاد التى توجد فيها هذه الطائفة - الهند - فهم لايؤمنون إلا بالقرآن وما ورد فيه ... ويبين الشيخ الغزالى أنه لاغنى لكل مسلم عن السنة النبوية - هكذا يقول المؤلف- ويستحيل أن يقوم الإنسان حتى بشعائر الإسلام العظام كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلا بعد الإيمان بالسنة النبوية لأن القرآن لم يأت بتفاصيل هذه الأشياء .

هذا ما كتبه المؤلف عن علاقة الشيخ محمد الغزالى بالسنة النبوية المطهرة ثم شرع بعد ذلك فى معارضة كتاب - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث - وسوف نختار مواقف معينة من معارضته حتى لا يحدث تكرار بينه وبين المعارضين الآخرين .

يقول المؤلف عن حديث نعى الموتى : يقول الشيخ : ومما يحتاج إلى الفقه السليم تحريم نعى الموتى ، وقد جاءنى بعض الطلاب يقولون إنهم قرأوا أحاديث تفيد ذلك ، ومن ثم فهم يستنكرون الأذان بأخبار الموتى ، قلت إن النعى المكروه ما كان استعراضا للمآثر والمفاخر ، وتنويها بالأفراد والأسر ، أما ماعدا ذلك فلا شائبة فيه ، بل لابد منه ، قالوا ما رواه الترمذى وابن ماجة غير ما تقول فعن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عندما احتضر:

---

(١) سلمان بن فهد العودة حوار هادئ مع محمد الغزالى ص١١ وما بعدها .

(إذا أنـــامت فلا يؤذن على أحد ، فإنى أخاف أن يكون نعيا وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى) . [١]

يقول المؤلف : وهناك أحاديث تجعل النص جائزا منها : عـــن أبـــى هريرة (أن النبى صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى إلى أصحابه فى اليـــوم الذى مات فيه فخرج بهم إلى المصلى وكبر عليه أربعا) [٢] ... وهذا صريـــح فى جواز النعى لأن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ، ولا مانع من حمل كـــل نوع من الأحاديث على حال . والمؤلف هنا يلتقى مع الشيخ تماما لأن الشـيخ يرى الجواز فى حالة عدم المفاخرة ويرى المنع لهذه العلـــة ذاتـــها ولكـــن المؤلف يقول : بعدم جواز رد الحديث طالما أن له محملا ، ويعـــترض علـــى الشيخ فى هذه النقطة بالذات . وعنده حق فى ذلك .

الحديث الثانى : إجبار البكر

يقول المؤلف : قال الغزالى ، اتفق المحدثون علـــــى أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتـــى تستأذن)[٣] ، ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجـــبر الأب ابنتـــه البالغة على الزواج بمن تكره ... ولا نرى وجهة النظر هذه إلا إنسياقا مـــع تقاليد إهانة المرأة وتحقير شخصيتها .

ويقول المؤلف : الصحيح فى مسألة البكر ما قرره ابن القيـــم ومـــا قرره الشيخ – يقصد الغزالى – هنا أنه لايجوز ولا يحق أن تزوج البكر بغـــير

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى كراهية النعى جـ٢ .

(٢) الحديث متفق عليه .

(٣) الحديث : متفق عليه وأخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب لا ينكح الأب .

رضاها ، يقول ابن القيم : (وهذا هو القول الذى ندين الله به ولا نعتقد سواه وهو الموافق لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته

وبعد أن ينتصر المؤلف لرأى الشيخ يقول عن رأى الشافعى : أما قول الشافعى – الذى نسبه إليه الشيخ – فصحيح فى الأم [1] أن للأب أن يزوج ابنته بغير رضاها . وأطال فى ذلك ، وهو اجتهاد يخطئ ويصيب على كل حل .

إذن فالمؤلف يتفق مع الشيخ فيما ذهب إليه بل يأتى بالأدلة التى تؤيد ذلك . ففيم الاعتراض ، ربما من أجل الاعتراض .

الحديث الثالث :"أيما امرأة أنكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل" [2] يعترض الشيخ على هذا الحديث لأن القرآن الكريم أسند عقد الزواج إلى المرأة فقال : (حتى تنكح زوجا غيره) [3]فعقدها المباشر صحيح . وهذا هو رأى الأحناف والشيخ ينقل رأى الأحناف وعدم أخذهم بالحديث ولكن المؤلف يصر على أن الشيخ يرد الحديث ويبدأ فى المناقشة كما يلى :

١- معنى النكاح فى الآية التى استدلوا بها فى قوله تعالى : (حتى تنكح زوجا غيره) . ما المقصود بالنكاح هنا ، هل هو العقد أو الجماع .

المقصود الجماع ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة ؟ حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك) . فباء قوله " حتى

---

(١) الإمام الشافعى الأم جـ٥ صـ ١٨ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن . كتاب النكاح جـ٦ ص١٦٦.

(٣) سورة البقرة ٢٣٠ .

تنكح " أى حتى يجامعها زوج آخر فليست فى مجال العقد فلا حجــة فيــها ، ولذلك لو عقد عليها رجل ثم طلقها قبل أن يجامعها لم تحل للأول .

٢- أن أبا حنيفة فعلا يجيز عقد النكاح بدون ولى ، ولكن خالفه فى ذلــك بعض تلاميذه كأبى يوسف ومحمد وغيرهما . فلهم فى ذلــك أقــوال أخرى مختلفة .

ينقل المؤلف هنا عدم إجماع الأحناف على جواز تزويج المرأة نفسها . والحق أن الأحناف يجمعون على هذا ومن أقوالهم : وأما الاســتدلال فــهو أنها لما بلغت عن عقل وحرية فقد صارت ولية نفسها فى النكاح فــلا تبقــى موليا عليها كالصبى .

ومنه أيضا : وأما ولاية الحتم والإيجاب والاستبداد فشرط ثبوتها على أصل أصحابنا كون المولى عليه صغيرا أو صغيرة أو مجنونا كبيرا أو مجنونا كبيرة ، سواء كانت الصغيرة بكرا أو ثيبا . فلا تثبت هذه الولاية على البــالغ العاقل . (١)

مما تقدم تثبت صحة رأى الشيخ فيما ذهب إليه من إجماع الأحنــاف على جواز تزويج المرأة البالغة العاقلة نفسها . . وقد جانب الصواب المؤلف فيما ذهب إليه من عدم وجود إجماع على ذلك بين الأحناف . وبذلــك يكــون الشيخ قد نقل رأى الأحناف . أى أنه رجح رأيا فى مسألة فقهية وهذا متــاح للجميع وليس موقوفا على الشيخ . المهم أنه لم يبتدع رأيا فى هذه المسألة .

الحديث الرابع : حديث أم حميد لفظه (صلاتك فى بيتك خــير مــن صلاتك فى حجرتك وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى

---

(١) أبو بكر الكاسانى بدائع الصنائع جـ٢ ص٣٦١ ط دار الفكر ١٩٩٦م.

دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ... إلخ) [1] يقول الشيخ عن هذا الحديث : ثم شاع حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها ، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة فى بيتها أن أن تختار المكان الموحش المعزول فصلاتها فى السرداب أفضل من صلاتها فى الغرفة ، وصلاتها فى الظلمة أفضل من صلاتها فى الضوء ، وراوى هذا الحديث يطوح وراء ظهره بالسنة العملية المتواترة عن صاحب الرسالة .

ويتفق المؤلف مع الشيخ فيقول : الواقع أن ما رجحه الشيخ : من أن خروج النساء إلى العيد مستحب ومشروع فى رأيى أنه هو الراجح لأن الحديث صريح فى ذلك . لكن أن تخرج المرأة بعيدة عن التجميل والتطيب والإثارة فهذا أمر لابد منه والأحاديث صريحة فى ذلك .

والقيود التى يضعها المؤلف على خروج المرأة طلبها الشيخ نفسه وقد قدمنا ذلك فى باب المرأة . ولكن المؤلف يتفق مع الشيخ تماما وهذا هو المهم . وإن كان قد حاول الدفاع عن ابن خزيمة وقال : إنه لم يطوح بالسنة العملية . والدفاع عن كل العلماء وإجلالهم أمر مطلوب ومرغوب .

الحديث الخامس : حديث خباب فى البناء ينقل المؤلف عن الشيخ قوله : استغربت ممارواه الشيخان عن خباب بن الأرت قال : (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب) . ثم يقول خباب : " إن المسلم يؤجر فى كل شئ ينفقه إلا فى شئ يجعله فى هذا التراب" . يقول الشيخ وكلام خباب رضى الله عنه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذى اكتوى منه ولايجوز أن نعد البناء رذيلة فقد يكون فريضة .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة . واخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب التشديد فى ذلك (خروج النساء إلى المساجد) جـ١ صـ ١٥٣ ط دار الريان للتراث .

ولم ينكر المؤلف على الشيخ فهمه لهذا الحديث ولكنه اعترض علـــى قوله عن مرض خباب رضى الله عنه : أن هذا القول عليه مســـحة تشـــاؤم لمرضه الذى اكتوى منه ... ويقول المؤلف يتطلب الأدب مع هذا الجيل - جيل الصحابة - ان لايرمى مثل خباب بمثل هذا . [1]

والمؤلف يبنى موقفه هذا على ظن منه أن الشيخ يسخر من خباب بن الأرث وحاشاه أن يفعل ذلك ، ولو قصد ذلك لكان مخطئا لا محالة ، والـــذى يبرئ ساحة الشيخ هو رواية الحديث بتمامه : (عن قيس بن أبى حازم قال : دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال رضـــى الله عنـــه : (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا . مضوا ولم تنقصهم الدنيا وإنا أصبنا مالا نجـد له موضعا إلا التراب ولولا أن النبى صلى الله عليه وســـلم نـــهانا أن ندعـــو بالموت لدعوت به) [2] يتضح من هذا الحديث تصريح الراوى بمرض خبـــاب رضى الله تعالى عنه ويتضح كذلك الحالة النفسيةلمريض همأن يدعـــو علـــى نفسه بالموت لقسوة المرض ولكنه امتنع تلبية لأمر حبيبه صلى الله عليـــه وسلم . إذن فالشيخ كان يحكى واقعا يبرز به معنى معينا من غير أن يتشـــفى أو يسخر كما ظن المؤلف وإن كان المؤلف سليم القصد فى ظنه فهى غـــيرة محمودة على سيرة أعلام الهدى من الصحابة الكرام الأطهار . حتى لو كـــان الشيخ بريئا فى الوقت نفسه وهذا ما نعتقده ولا تسمح معانى الكلمات إلا به .

---

(١) حوار هادئ صــ ١٠٦ وما بعدها .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى النـــهى عـن التمنـــى للموت جــ٢ صــ ٢٩٠ قال أبو عيسى حديث خباب حسن صحيح .

المعارضة الرابعة :

المعارضة الرابعة جاءت تحت عنوان – القول الكريم الغالى فى الدفاع عن الداعية الغزالى – ومن يقرأ العنوان يتصور أنها موافقة وليست معارضة إلا أن من يقرأ الكتاب يشعر أنها معارضة ولكنها تميل إلى التهذيب فى العرض والتناول أكثر من المعارضات السابقة ، وربما تأثر صاحبها ببركة المكان الذى يعمل فيه فهو مدرس واعظ بالمسجد[1] النبوى الشريف ولذلك يبدأ كتابه بقوله عن الشيخ : إنه أحد دعاة الإسلام فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين خاطب وحاضر وحاور وكتب وألف وراسل دعوة إلى الإسلام ونصرة له ولأهله ، ما أصبح به علما من أعلام الإسلام ، فى ديار الإسلام وخارجها ، إنه المصرى مولدا ومنشأ وتعلما وتخرجا ، جاب أقطار العالم شرقا وغربا أقام ردحا من الزمن بغرب جزيرة العرب وبشرقها . وبالجزائر ردحا آخر وأحسبه الآن بديار أهله ، ومربع صباه ، ومسرح دعوته ودعواه أحسن عاقبته وعاقبتى معه – آمين . [2]

ثم يقول المؤلف إن ما أخذ على الداعية الغزالى مما جاء فى كتابه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) . كان معذورا فيه ، ولذا رفعت القلم لأدفع عنه ما هو معذور فيه . لايؤاخذ بين أهل العلم به .

أ- نسبه السلفيون اليوم إلى الجبر وهم براء منه براءته هو منه أو أشد.

---

(١) هو الشيخ جابر أبو بكر الجزائري . ولد بالجزائر عام ١٩٢١م في أسرة صالحة . نشأ يتيماً في بيئة صحراوية يغلب عليها الجد ثم أقبل على طلب العلم وله من المؤلفات : منهاج المسلم ، والدولة في الإسلام ، وعقيدة المؤمن ، ونصيحتي إلى كل أخ شيعي وغيرها كثير . انظر ترجمته في : رجال ومفكرون للشيخ محمد المجذوب ص ٢٧ ط دار الاعتصام .

(٢)أبو بكر الجزائرى الدفاع عن الداعية الغزالى ص٢ ط مكتبة أم القرى ١٤١٠هـ .

وبعد أن يتحدث المؤلف عن الجبر ، معناه ويدلـــل بـــالقران الكريـــم والسنة الشريفة يبدأ فى تناول موضوعات كتاب (السنة النبوية بين اهل الفقه وأهل الحديث) موضوعا موضوعا ، وسنعرض هنا لبعـــض الموضوعـــات خشية التكرار مع المعارضات السابقة ولكنــــه ســيتضح أســلوب المؤلـــف ومنهاجه من خلال هذا العرض بإذن الله تعالى .

١- تلبس الجنى بالأنسى :

يقول المؤلف : لقد أنكر الشيخ الغزالى تلبس الجنى الجنسى بالإنســى تحت عنوان (المس الشيطانى حقيقته وعلاجه) . وهو معـــذور فـــى إنكاره إلا أن ما استشهد به على إنكاره يتعلق بالشيطان الرجيم الـذى هو إبليس وذريته إن إبليس وذريته لاسلطان لـــهم علـــى الإنســـان بحيث يلزمونه بارتكاب المعـــاصى قـــهرا أو جـــبرا ، دون إرادتـــه واختياره .

وخلاصة القول أن الشيخ الغزالى لم يذكر شاهدا واحدا علـــى عـــدم دخول الجنى فى جسم الآدمى ، وإنما تكلم على عدم تأثير الشـــيطان علـــى الإنسان لانعدام سلطانه على الإنسان وهو حق إذ لا يملك الشيطان إلا التزيين للقبائح ، والوسوسة لحمل الإنسان باختياره عليها ... هـــذا ولكـــى تتضـــح الحقيقة ويعلم المسلمون خطأ من ينكر تلبس الجنى بالأنسى نذكر مبينيـــن : أن العوالم أربعة ، وهى عالم الملائكة عليهم السلام ، وعالم الشياطين وهـــم إبليس وذريته ، وعالم الجن وعالم الإنس ...

ويحكم أن الإنسى لايرى الجنى ، فإن الإنسى لايؤذى الجنى إلا بطريق الخطأ كأن يبول عليه ماء حارا ، أو يرمى عليه نجاسة ، أو يجلس عليه ، أو يضع فوقه شيئا ثقيلا .

استدل المؤلف على قوله هذا بأن الإنسى لا يرى الجنى بقوله تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) [(١)]. وهذه الآية لاتعنى الجن بمفهوم المؤلف ، بل تعنى إبليس وذريته . ويقول المؤلف ... أو يصب عليه ماء حارا والماء الحار لايضر الجنى لأنه مخلوق من نار أصلا .

والمؤلف يفرق بين إبليس وذريته وبين الجان وهو محق فى ذلك إلا أنه يرى أن الشياطين مخلوقة من مادة إبليس وهى كمادة مستقلة تشكل عالما قبل المعصية أو أصبحت كذلك بعد المعصية وهو رأى غريب لم أقف له على سابقة .

ويصل المؤلف إلى نتيجة وهى أن الشياطين توسوس وأن الجان -خاصة العصاة منهم- يؤذون الإنسان ويقول : إن من المكابرة أو العناد أن نقول بخلاف ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة بعد ثبوت ذلك بالسنة الصحيحة ومشاهدة وإقرار أئمة الأمة وصلحائها وأفاضلها فى كل زمان ومكان من عهد نزول الوحى إلى اليوم ... ومن قرأ سورتهم فى القرآن (سورة الجن) فإنه لايتردد فى أنهم يؤذون ويظلمون شأنهم شأن الإنس .

يقول المؤلف : هل أنكر الغزالى مس الجنى للإنسى ؟ نعم أنكره فى رسائله ومنها كتابه الأخير " السنة النبوية " وهو معذور فى إنكاره ، وهذا بيان عذره :

١- وجود مشعوذين ودجالين يدعون أنهم يخرجون الجن ويتحكمون فيهم وهم لايقدرون على شئ .

٢- اختلاط الشيخ بالعلمانيين وهم يرفضون ذلك .

---

(١) سورة الأعراف ٢٧ .

إن إنكار الشيخ لأمر مجمع عليه ... لا يصح الالتفات إليه بحال من الأحوال والغزالى معذور وقد قدمنا بيان عذر .[1]

وقد وصل المؤلف إلى هذه النتيجة بعد أن ساق كثيراً من الأدلة الصحيحة وأنا متفق معه فى أن الجنى – الفاسق – يؤذى الإنسى وهذا ثابت بالسنة ، أما مسألة خلق الشياطين من مادة إبليس وخلق الجن من النار فلا أتفق معه فيها ، والأقرب إلى الصواب أن إبليس (كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[2] . وأصبح هو وذريته عصاه يوسوسون للإنسان بالشر والمعصية . وأما باقى أفراد الجن فهم على طبيعتهم التى خلقوا عليها – بعيداً عن إبليس وذريته – منهم المطيع ومنهم العاصى . منهم المسلم ومنهم الفاسق .

المعارضة الخامسة :

تنهج المعارضة الخامسة نهج النقد لكتاب " السنة النبوية " للشيخ إلا أن أسلوبها يتسم بالهجوم من أول سطر ، وليست كالمعارضة السابقة التى كتبها الشيخ أبو بكر الجزائرى ، ولذلك سأقتصر منها على جانب فنى يتعلق بخبر الآحاد يقول المؤلف عن الشيخ : نصب الشباك وجمع الجند ، وأغار على علماء المسلمين باسم الدفاع عن الدين ، وكل ذلك لاستقصاء خبر الآحاد من دين رب العالمين ... والعجيب أنه خالفه فى كتابه فى عشرات المواضع ... ورده لمحض الهوى ، وليوافق عادات وتقاليد أهل الكفر والعصيان شرقا وغربا .

هل نعمل بخبر الآحاد أم لا ؟

---

(١) المرجع السابق ص٢١ وما بعدها .

(٢) سورة الكهف من الآية : ٥٠ .

١- قال تعالى : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين) [١] فى هذه الآية قبل موسى خبر الناصح ، وزكى الله هذا العمل من موسى عليه السلام ، فلو لم يكن خبر الواحد يجوز العمل به ما زكى الله هذا العمل.

٢- قال تعالى : (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ...)[٢] فى هذه الآية قبل موسى عليه السلام خبر المرأة .

وهناك من السنة المطهرة أدلة لا يحصيها إلا البارى عز وجل :

١- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : (بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة)[٣] . وهنا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلوا خبرا عظيما من واحد ، واستداروا إلى الكعبة ما قالوا له : لابد أن تأتينا بكافة حتى نصدقك . كلا بل قالوا بلسان الحال : سمعنا وأطعنا .

٢- أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا إلى الجند وجهات من اليمن وأبا موسى إلى زبيد ، وأبا بكر على الموسم ، وأبا عبيدة إلى

---

(١) سورة القصص ٢٠ .

(٢) سورة القصص ٢٥ .

(٣) الحديث متفق عليه .

نجران ، وعليا إلى اليمن ... وما قال أهل هذه البلدان أذهبوا فأتوا بكافة لنصدقكم فيما تنقلونه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .[١]

وبهذا تنتهى مناقشة المؤلف لخبر الواحد ، أو دفاعه عن حديث الآحاد فى مواجهة الشيخ .

غاب عن المؤلف أو تعمد ذلك ، أن يذكر للقارئ أن العلماء فى الماضى والحاضر اختلفوا فى حديث الآحاد – خاصة – إذا تعلق بالعقائد فمنهم من يرى أنه لا يعمل به فى مجال العقيدة ، ومن يرى وجوب العمل به، والمسألة خلافية ، وإذا انحاز الشيخ لرأى بعض العلماء فليس معنى ذلك أنه يناصب السنة المطهرة العداء ، وقد قدمنا فى الفصل الأول من هذا الباب أنه – أى الشيخ – عاشق للسنة الشريفة وظل فى خدمتها والدفاع عنها حتى لقى ربه سبحانه وتعالى .

المعارضة السادسة :

تأتى المعارضة السادسة مركزة على نقطة واحدة فى موضوع عام وهو تحريم آلات الطرب ، وصاحب هذه المعارضة هو العلامة محمد ناصر الدين الألبانى وقد كان صديقا للشيخ الغزالى ، وخرج له أحاديث كتاب فقه السيرة ولم ير فى منهجه خطا يجعله يعتذر عن تخريج هذه الأحاديث فى هذا الكتاب إلا أنه كغيره – بعد صدور كتاب السنة النبوية – هب للهجوم على الشيخ . وزعم أنه لا يحترم علماء الحديث ، وقال فى كتابه تحريم آلات الطرب : داعية إسلامى لايدرى ما الحديث وما الفقه ، ولا يدرى أصولهما

---

(١) مصطفى سلامة براءة أهل الفقه وأهل الحديث من أوهام من الغزالى صـ ٥١ ، ٥٢ ط مكتبة ابن حجر ١٤١٠هـ

ولا المصادر التى يجب الرجوع إليها ، أو يدرى ولا يتمكن من ذلك لسبب أو لآخر كما قيل .:

وإذا لم تر القمر بازغا فسلم لأناس رؤه بالأبصار

فلا أنت منهم ولا أنت سلمت لهم ، بل نصبت نفسك للرد عليهم مع الاستهزاء بأقوالهم ، والسخرية منهم ، كأنك لم تعلم ، أو علمت ولم تؤمن بمثل قوله صلى الله عليه وسلم (الكبر بطر الحق وغمط الناس) (١) . فأخشى ما أخشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنت من الهالكين ... هذه نصيحة أوجهها لك - والدين النصيحة - وأنت على حافة قبرك مثلى. (٢)

من كلمات العلامة الألبانى يتضح أن مشكلة الشيخ الحقيقة هى مشكلة نقد علماء الحديث وتوجيه اللوم لهم . أما مشكلة الأحاديث التى نقدها الشيخ فقد سبقه غيرها إليها . غير أن نقده لعلماء الحديث وتهكمه عليهم هو الذى أغضبهم عليه ، لدرجة أن صديقا كريما له مثل الشيخ الألبانى - والذى تعاون معه فى تخريج أحاديث كتاب (فقه السيرة) ناصبه العداء وحاول أن ينتقم للجميع منه ، لأنه شعر أن الشيخ قد أهان علماء الحديث جميعا ، واتهمه بتضعيف بعض الأحاديث لعلل فى متنها أو سندها ، وهذا أمر مسلم به لدى علماء الحديث والشيخ الألبانى نفسه ضعف أحاديث كثيرة وكون من ذلك سلسلة كبيرة سماها " الضعيفة " ، وصحح بعض الأحاديث وجمعها فى سلسلة سماها " الصحيحة " ولم يقل أحد أنه - أى الألبانى - ضد السنة ، أو أنه يعمل على هدم الدين ، بل احتفظ له الجميع

---

(١) الألبانى الصحيحة ١٣٤ ، ١٦٣٦ ط مكتبه المعارف الرياض .

(٢) الألبانى تحريم آلات الطرب صـ٣١ ط مكتبة الدليل ١٩٩٧ ط٢ .

بالتقدير الواجب ، والحب الزائد . لكن مشكلة الشيخ أنه تناول علماء الحديث بما لا يليق بهم فألبهم عليه فكرهوه ، وتواصوا به ، وجعل بعضهم من قذفه وسبه علما ومنهجا ، ولو كان - يرحمه الله تعالى - قد رض أفكاره في الحديث مجردة عن الهجوم على علماء الحديث لمكان في ذلك خيرا له ولتراثه الدعوى في آن واحد .

في الفصل الأول في كتاب الشيخ الألباني - في ذكر الأحاديث الصحيحة في تحريم الغناء وآلات الطرب - يقول : أعلم - أخي المسلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا ، فقد جاوز عددها العشرة ، عند ابن حزم وابن القيم ، فهي من الكثرة أن مجموعها يدل الواقف عليها على أن مضمونها الذى اتفقت عليه متونها - وهو التحريم - ثابت عنه صلى الله عليه وسلم يقينا ، حتى ولو فرض أن إسناد كل فرد منها معلول كما زعم ابن حزم ، وذلك بحكم القاعدة المتفق عليها عند المحدثين والعلماء : أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق ، كما هو مفصل في علم مصطلح الحديث .... وإذا نظر المنصف إلى مجموع هذه الطرق علم أن للحديث أصلا ، وأنه ليس مما يطرح ، وقد حسنوا أحاديث كثيرة باعتبار طرق لها دون هذه [١] .

في هذه الفقرة يعترف الشيخ الألباني بصحة ما ذهب إليه ابن حزم ، ومتابعة الشيخ الغزالي له في ضعف الأحاديث الدالة على تحريم الغناء ، يقول الشيخ الألباني : حتى لو فرض أن إسناد كل فرد منها معلول كما زعم ابن حزم - وهو يسلم ضمنا بعلة إفراد هذه الأحاديث ، ثم بعد ذلك يطرح تصورا : أن كثرة الطرق تقوى الحديث الضعيف ، ونحن لا نستطيع الاعتراض على ذلك ، لأن الألباني من علماء الحديث الثقات ، ولكن بوسعنا أن نسأل سؤالا : إذا كانت كثرة الطرق تقوى الحديث الضعيف فهل تجعله صحيحا ؟ إذا كانت

(١) تحريم آلات الطرب ص ٣٦

الإجابة عند أهل علم الحديث بنعم يكون ابن حزم والغزالـــى مخطئيـــن ، وإذا كانت الإجابة : أنها تحسنه فقط فعندها يعذر ابن حزم ومن تبعه على رأيه فى إباحة الغناء ، والأمر متروك لعلماء الحديث لحسم هذا الأمر .

فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب (تحريم آلات الطرب) .يحـــرم المؤلف الغناء والطرب ، ثم يعود فى الفصل السابع من الكتاب نفسه فيقول : ما حكم الغناء بدون آلة ؟ الجواب عليه أقول : لا يصح إطلاقا القول بتحريمه ، لأنه لا دليل على هذا الاطلاق ، كما لا يصح اطلاقا القول بإباحتـــه ، كمـــا يفعل بعض الصوفيين وغيرهم من أهل الأهواء قديما وحديثـــا ، لأن الغنـــاء يكون عادة بالشعر ، وليس هو بالمحرم إطلاقا كيف ، والنبى صلى الله عليـــه وسلم يقول : " إن من الشعر لحكمة " [(١)] . بل إنه كان يتثمل شيئا منه أحيانا كمثل شعر عبدالله بن رواحه رضى الله عنه :(ويأتيك بالأخبار من لم تزود) . والشعر كلام : " حسنه حسن وقبيحه قبيح " [(٢)] .

هذا هو رأى الإمام الألبانى فى الغناء مع ابن حـــزم وابـــن القيـــم ، والشيخ محمد الغزالى ، ولا أدرى لماذا أخذ منهم هذا الموقف الشـــديد فـــى بداية الكتاب ، ووصفهم بأوصاف لا يستحقونها ، ولا تليق به هـــو ، وفـــى النهاية يتفق معهم تماما فى إباحة الغناء ، وعدم تحريمـــه، وكـــان شـــرطه الوحيد أن يكون الغناء بدون آلات ، وهم أيضا لا يشترطون أن يكون الغنـــاء بآلات ، بل هم تكلموا عن الغناء كغناء يدور حكمه بين الحل والحرمة .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى كتاب الأدب مايجوز من الشعر ط١٠ ص ٥٥٣ .
(٢) تحريم آلات الطرب ص ١٢٧ .

– المعارضة السابعة :

والمعارضة السابعة أقرب إلى الموافقة . ولكن هناك بعض النقد لبعض كلمات الشيخ ولذلك أثبتها ضمن المعارضات ، وهى لعالم جليل عم علمه أقطار العالم الإسلامى وهو الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى وجاءت المعارضة فى كتابه : " الشيخ الغزالى كما عرفته ".

فى المبحث السابع وتحت عنوان "الغزالى والسنة النبوية " يقول المؤلف : القرآن الكريم هو المصدر الأول لفكر الشيخ الغزالى الدعوى والإصلاحى ، والسنة هى المصدر الثانى ، فهو يعتبر السنة ضرورة لفهم القرآن ، فهى الشرح النظرى ، والتطبيق العملى له ، وهو يحتفل احتفالا خاصة بالسيرة ، باعتبارها الجانب العملى من السنة ... .

ولهذا وجدنا فى كتبه حشدا كبيرا من الأحاديث الشريفة يسوقها مع آيات القرآن العزيز لتكون نورا على نور ، فيبين بها حقائق الإسلام ، ويرد بها على أباطيل خصومه ، ويصور بها عدله ورحمته..

ومن تأمل فى كتابه " فقه السيرة " ووقفاته العميقة مع الأحداث النبوية طوال الدعوة والمصابرة ، ومرحلة الجهاد والمواجهة ... وجد فيه عقل الباحث المدقق ، يتعانق مع قلب المؤمن المحب ، وروح الداعية المحلق الذى يحيا فى السيرة بل تحيا فيه السيرة ...

أما كتابة الأخر " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث " الذى أهاج عليه خصومات الكثيرين واستثار أقلاما عدة لترد عليه بقسوة وحدة ، فمنطلق فيه الدفاع عن السنة أمام فريق " العقلانيين " . ولو أدى ذلك إلى رد بعض الأحاديث الثابتة فى الصحاح ، إذا ناقضت منطق العقل ، أو منطق العلم ، أو منطق الدين نفسه حسبما يراه ، وهذا المبدأ مقرر لدى علماء

الحديث أنفسهم ، ولكن الخلاف فى التطبيق ، وربما أسرف الشيخ فى رد بعض الأحاديث الثابتة ، وكان يمكن تأويلها ، وحملها على معنى مقبول . وربما قسا كذلك على بعض الفئات ، ووصفهم ببعض العبارات الخشنة والمثير . وربما استعجل الحكم فى بعض مسائل كانت تحتاج إلى بحث أدق وإلى تحقيق أوفى .. ولكن الكتاب ليس كما تصوره الحملة عليه ، كأنه كتاب ضد السنة ، ولا كما تصور مؤلفه وكأنه ينكر السنة المشرف ، وهاجم خصومها بعنف .

وإنكار حديث أو حديثين أو ثلاثة ، وإن ثبتت فى الصحاح ، لايعنى بحال إنكار السنة بوصفها أصلا ثابتا ، ومصدرا تاليا للقرآن ، ولو صح ذلك لأخرجنا أئمة كبارا مثل أبى حنيفة ومالك من زمرة أهل السنة ، لردهما أحاديث صحاحا فى العبارات أو المعاملات لم تثبت عندهما ، بل لو صح ذلك لا تهمنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لأنها ردت على بعض الصحابة أحاديث رووها وسمعوها بآذانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها - فى رأيها - مخالفة لما جاء فى القرآن فاتهمتهم بأنهم لم يحسنوا أن يسمعوا ، أو يحسنوا أن يحفظوا.

وقد نخالف الصديقة بنت الصديق فى فهمها ، وفى موقفها من تلك الأحاديث كما نخالف مالكا وأبا حنيفة فى موقفهما كذلك . وقد نرد بالحجة على ماذهبوا إليه .. ولكن مسلما ذا مسكة من عقل ودين ، لا يستطيع أن يتهم عائشة ، ولا أن يتهم أبا حنيفة أو مالكا بأنه ضد السنة أو مارق من الدين ..

وهذا هو موقفنا من الغزالى ، قد نخالفه فى بعض آرائه فى الكتاب ، ما قل منها أو كثر ، وقد نخطئه فيها ، فليس هو بمعصوم ، ولكننا لا نتهمه

فى دينه ، ولا فى علمه ، ولا نهيل التراب على تاريخه الحـافل ، وكفاحـه المتواصل فى نصرة الإسلام .

وعن السبب الذي أدى إلى هذه الخصومات يقول المؤلف : الواقـع أن معظم ما تضمنه ما تضمنه كتاب الشيخ ليس جديدا على فكـره ، بـل هـو مثبوت فى مختلف كتبه ، ضم شتاته فى هذا الكتاب ، مع بعض أفكار جديـدة وكلمات شديدة ، ولهذا أثار ما أثار من ضجيج [١] .

فى الفقرات السابقة أثبت المؤلف حب الشيخ للسنة وعشـقه لـها ، وبين أن منهجه فى تناول الأحاديث قد سبقه إليه أئمة كبار، وأن أفكار الشيخ نفسها قد سبق وسبق وسجلها فى كتبه ، ثم بين بعد ذلك أن سـبب الثـورة على الشيخ كانت بسب الكلمات الشديدة التى وجهها لعلماء الحديث ، وهو ما أشرت إليه من قبل ، حين قلت : إن هذه الخصومة مع الشيخ ليست بسـبب أفكار الشيخ فى الأحاديث لأنه مسبوق فى معظمها وإنما بسبب هجومه علـى أهل الحديث الشريف .

وعن المشكل الثانية آلت أثارها خصوم الشيخ بالنسبة للسنة النبويـة وهى مشكلة " حديث الآحاد " يقول المؤلف : وإذا تعرضنا لما أخذ على الشيخ فى جانب السنة نجده يتلخص فى أمرين أساسيين أولهما[٢] : أنـه لا يعتمـد أحاديث الآحاد فى إثبات العقائد .

وهذا كما بيناه فى بعض كتبنا[٣] مؤسس على أمرين :

١- أن العقائد لابد أن تبنى على اليقين لا على الظن .

---

(١) د. يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته ص ١٢٢،١٢٣ ط دار الوفـاء ١٩٩٧م

(٢) الأمر الثانى هو رد بعض الأحاديث الصحيحة وقد سبقت الإشارة إليه .

(٣) مثل كتاب المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة نشر مكتبة وهبة .

٢- وأن أحاديث الآحاد - وإن صحت - لا تفيد اليقين بل لا يفيد اليقين إلا المتواتر .

وأقوال جمهور علماء الأصول : أصول الدين وأصول الفقه ، وعلماء الحديث أنفسهم تؤيد ذلك ، واستثنوا ما احتفت به القرائن كأن يكون في الصحيحين وتلقته الأمه بالقبول ، وسلم من المعارض ، ونازع في ذلك بعض المحدثين والحنابلة .

وهذا التوجه في التعامل مع أحاديث الآحاد في العقائد هو الشائع لدى المدارس والجامعات الدينية الشهيرة في العالم الإسلامي ، التي تتبع منهج الأشاعرة والماتريدية في أصول الدين ، مثل الأزهر والزيتونة والقرويين وديوبند وما تفرع منها ..

والقول بأن حديث الآحاد يفيد اليقين - كما يفيد المتواتر - ضرب من المجازفة المرفوضة عقلا ونقلا ..

وتحت عنوان محققو الحنابلة في صف الغزالي يقول المؤلف : وقد وجدت الحنابلة مختلفين في هذه القضية ، نظرا لما روى عن الإمام أحمد بشأنها ، وتبين لي أن معظم الأصوليين المحققين في المذهب يميلون إلى أن حديث الآحاد - أو خبر الواحد - لا يفيد اليقين ، وبتعبير آخر ، لا يقتضي العلم ذكر ذلك القاضي أبو يعلى في (العدة) وأبو الخطاب في التمهيد ، وابن قدامة في "الروضة" وابن تيمية في (المسودة) [٢]

وقد برأ المؤلف ساحة الشيخ من اتهامه بتعمد رفض أحاديث الآحاد ، وبين أنها مقبولة عند الشيخ في غير العقائد وهذا هو مذهب جمهور عريض

---

[٢] الشيخ الغزالي كما عرفته ص ١٢٣ وما بعدها .

من العلماء ، ومدارس وجامعات إسلامية عريقة مثـــل الأزهــر والزيتونـــة والقرويين وغيرهم وما تفرغ عنهم .

ـ تعقيب أول :

تبين لنا من استعراض موقف الشيخ من السنة الشريفة ، أن الشـــيخ محب وناصر للسنة الشريفة ، بعكس ما يعتقد البعض ، حتى فـــى الأحـــاديث التى ردها ، كان يفعل ذلك ليقول لأعداء السنة : إنكم تعترضون على حديثيـن أو ثلاثة ، وهى أحاديث ضعيفة السند ، أو فى متنها علة قادحة ، وعشـــرات الآلاف من الأحاديث صحيحة ومباركة ومعبرة عن صاحب السنة عليه الصلاة والسلام ، وعن الخط العام للإسلام .

وكما يقول د . يوسف القرضاوى : وإنكار حديث أو حديثين أو ثلاثـة – وإن ثبتت فى الصحاح – لا يعنى بحال إنكار السنة بوصفها أصلا ثانيـــا ، ومصدرا تاليا للقرآن ، ولو صح ذلك لأخرجنا أئمة كبارا مثـــل أبـــى حنيفـــة ومالك من زمرة أهل السنة ، لردهمـــا أحـــاديث صحاحـــا فـــى العبـــادات أو المعاملات لم تثبت عندهما ، بل لو صح ذلك لاتـــهمنا أم المؤمنيـــن عائشـــة رضى الله عنها ، لأنها ردت على بعض الصحابة أحاديث رووها وســـمعوها بآذانهم من النبى صلى الله عليه وسلم لأنها – فى رأيها – مخالفة لما جاء فى القرآن فاتهمتهم بأنهم لم يحسنوا أن يسمعوا أو يحسنوا أن يحفظوا ... ولكـن مسلما ذا مسكة من عقل أو دين لا يستطيع أن يتهم عائشة ، ولا أن يتهم أبا حنيفة أو مالكا بأنه ضد السنة أو مارق من الدين (١) .

ورد بعض الأحاديث الثابتة فى الصحاح إذا ناقضت منطق العقـــل أو منطق العلم ، أو منطق الدين نفسه ... مبدأ مقرر لدى علماء الحديث أنفسهم

---

(١) د ز يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته ص ١٢٣ .

ولكن الخلاف فى التطبيق هكذا يقول د. القرضاوى . ولى بعض الملاحظات على منهج الشيخ الغزالى فى كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث:

- **الملاحظة الأولي** :

إن الشيخ لم يرد أحاديث كثيرة منفرداً بذلك ، بل فعل ذلك تبعاً للصحابة والعلماء ولأئمة الفقه ، وإن كنت أتمنى أن يلجأ الشيخ إلى تأويل الحديث والتعرف فى معناه ولا يرده مادام قد ثبت فى الصحاح، لأن تأويل الحديث من الأمور التى جرى عليها العرف بين العلماء ، وهو يعطى بذلك المعنى المطلوب إثباته ، أو المطلوب نفيه عن الحديث ، لأن كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم جامعة وهى تحمل على أوجه عديدة وخير مثال على ذلك ما فعله ابن حجر والنووى وغيرهم من شراح الحديث الشريف . وهم يذكرون فى شرحهم مفاهيم عديدة واختلافات كثيرة ثم يختارون ما تطمئن إليه نفوسهم . وكان الشيخ يستطيع أن يفعل ذلك ، ولا يرد أى حديث طالما أنه ثبت فى كتب الصحاح .

- **الملاحظة الثانية** :

إننى أرى رأيا خاصا أطالب به كل الدعاة وهو عدم رد الأحاديث الصحيحة ، وتأول ما تعسر فهمه منها ، لأن رد الأحاديث الصحيحة يحدث بلبلة وتخبطاً فى فكر متوسطى الثقافة الإسلامية ، ويترك أثراً سيئاً فى نفوس الجماهير التى لا تعلم شيئاً عن العلة القادحة فى متن الحديث ، وقد تلقت الأمة بالقبول صحيحى البخارى ومسلم ، فلا داعى لإثارة المشاكل حول هذين الصحيحين ، والأحاديث الواردة

فيهما ، وعموماً فالوقت ليس وقت خلاف ، بل وقت تجمع ومعاضدة، لأن الأمة كلها تمر بظروف صعبة ، يتربص بها أعداء يملكون القـوة فى شتى مناحى الحياة ولم يبق للأمة إلا دينها وأخلاقها ، وعسـى أن يكونا سبيلاً - مع العمل العمرانى المتقن - إلى التفوق مرة أخـرى فى الحياة ، والوقت لا يسمح بالخلاف قليلا كان أو كثيراً .

• **الملاحظة الثالثة** :

أن الشيخ أسرف فى لوم علماء الحديث ، واتهمـهم بـالحفظ فقـط وتناول ذلك بعبارات شديدة ، أثارت عليه عدداً غـير قليـل منـهم ، وحاول البعض الرد على الشيخ ، وجاء الرد عبـارة عـن رد فعـل متجاوز - لم يلتزم بالمنهج العلمى - لفعل شديد .

وفى الحقيقة فاتهام علماء الحديث بالحفظ ليس منقصة فى حقـهم لأن حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف وسعادة ، والذين يحفظـون الحديث يستضيئون بنو ما حفظوه ، وهم مباركون أينما حلوا أو ارتحلـوا ، وهم لا يحفظون فقط - حتى لو تعمدوا ذلك - بل ينساح نور الحديث الشـريف على إفهامهم فينورها ويجليها ، ولو تغاضى الشيخ عن الهجوم على علمـاء الحديث ، لمر كتابه بسلام ، ولأصبح مرضياً عنه من الجميع . ولو افترضنـا أن بعض علماء الحديث يحفظونه ولا يجيدون فهمه ، فإن حكم هذا البعض لا يندرج على الكل ، لأن هناك من علماء الحديث من هم بحور علـم ، أثـروا بعلمهم ، وبفهمهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سير حركـة الأمة وهى تنساح فى أيامها الخالدة .

الملاحظة الرابعة :

إن كبار علماء الحديث - باستثناء الشيخ الألبانى - لم يـــردوا علـــى الشيخ وحسناً فعلوا ، لأنهم يعرفون أن الذى كتبه الشيخ قـــد ســـبقه إليه غيره ، ولأنهم لايريدون تعميق الخلاف داخل الصف الإســـلامى فى هذه الظروف .

- تعقيب ثان :

برغم المعارضة التى حدثت للشيخ بسبب كتاب (السنة النبويـــة) إلا أن ذلك لا ينقص من قدره ، ولا يجعلنا نغض الطرف عن جهاده فـــى ســـبيل الدعوة لأكثر من خمسين عاماً ، حمل فيها - بحق - لواء الدعـــوة والثقافـــة الإسلامية ، كتب ونشر ، وحاضر وخطب ، فى ظروف قاسية ، لا يستطيع أن يفعل ذك أحد الذين عارضوه .

لقد كتب عن مقاومة الاستعمار ، والاستعمار جـــاثم علـــى أرض الوطـــن ، وتعرض لكثير من المشاكل ، بسب آرائه ، حتى دخل السجن ، وعـــذب فيـــه عذاباً شديداً وخرج من السجن أقوى مما كان ، وعاد يناضل ويجـــاهد فـــى سبيل الله تعالى .

ولما رأى الاستعمار يغير طريقته مـــن الاســـتعمار العســـكرى إلـــى الاستعمار الفكرى جرد سيفه - قلمه - وبدأ يشرح للناس ألاعيب الاســـتعمار وخطر الانسياق وراء عباراته الخادعة المراوغة وألف فى ذلك كثيراً .

ولما أدرك الشيخ - وكان ذلك من بداياته - أن الدين لكى ينتشر نـــوراً بين الأمم ، لابد له من قو تحميه وترعاه ، ولابد له مـــن رجـــال مخلصيـــن

يقومون بأمره ، كتب الشيخ ونوه عن ذلك فى معظم كتبه ، وهو الذى جعل العمل فى الحق ، وفى المصنع وفى الجيش ، وفى كل مهنة نافعة عبادة كالصلاة وسائر عبادات الإسلام ، وبين للناس أن المسلم القوى هو الذى ينجح فى دنياه وفى أخراه على السواء . ولابد من القيام بالعبادات على أحسن ما يكون ، وإتقان العمل العمرانى كذلك حتى تتكون هوية للأمة الإسلامية عمادها القوة المادية والأخلاق الربانية .

وسواء اتفقنا مع الشيخ الغزالى أو عارضناه فسيبقى إمام الدعاة المخلصين ، ونبراساً يضيئ طريقهم فى كل مكان من أرض الإسلام .

لقد عبر الشيخ - بحق - عن الفكر الإسلامى الصحيح المأخوذ من القرآن والسنة الشريفة ، فوجد قبولاً لفكره فى كل بقاع العالم الإسلامى ، وسيبقى كذلك حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا .

إن الذين عارضوا الشيخ الغزالى والذين وافقوه وأحبوه مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل مجموعة من الرجال صعدوا جبلاً عالياً شاهقاً ، فمنهم من أحب الجب لعلوه ورسوه ، ومنهم من خانته عافيته فكره الجبل الأشم لعلوه ولصعوبة الوصول إلى قمته ، ومكثوا - المحب والكاره - فترة ثم انصرفوا وبقى الجبل الأشم مناطحاً قمم السحاب ، منافحاً كل عيب ، هادياً لكل مسافر - يبحث عن الحقيقة - فى ظلمات الليل وفى وسط المحيطات والبحار ، بين شديد الرياح وعتو الأمواج .

ويصدق على المحبين للشيخ والمعترضين عليه قول الشاعر :

وكم من جبال قد علا شرفاتها   رجال فبادوا والجبال جبال

هذا : وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً .

أهم المراجع

= القرآن الكريم .

= الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري - صحيح مسلم) .

[١] أثر الاحتلال البريطاني - د / جرجس سلام - ط مكتبة الأنجلو سنة ١٩٦٦م .

[٢] إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - ط دار الشعب ١٩٧٠م .

[٣] إخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها وضعفها - د / ماجد عرسان الكيلاني - ط أخبار اليوم ١٩٩١م .

[٤] أزمة العرب ومستقبلهم - محمد حسنين هيكل - دار الشروق ١٩٩٦ م .

[٥] أسد الغابة .

[٦] الاتجاهات الوطنية - د / محمد محمد حسين - ط دار الفكر العربي .

[٧] الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية - د / زكريا سليمان بيومي ط مكتبة وهبة .

[٨] الاستعمار أحقاد وأطماع - محمد الغزالي - ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣م .

[٩] الأسرة - د / أحمد حمد - ط دار الكتب الجامعية ١٩٨٦م .

[١٠] الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية – الشيخ محمد الغزالي ط مكتبة وهبة .

[١١] الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة – د / محمد البهي – ط مكتبة وهبة ١٩٧٨م .

[١٢] الإسلام في وجه الزحف الأحمر – الشيخ الغزالي – ط مكتبة وهبة ١٩٩٠م .

[١٣] الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية – محمد البهي – ط دار الكتاب العربي ١٩٥١م .

[١٤] الإسلام والاستيراد السياسي – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٤م .

[١٥] الإسلام والأوضاع الاقتصادية – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الصحوة ١٩٨٧م .

[١٦] الإسلام والطاقات المعطلة – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣ م .

[١٧] الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة – يوسف كمال – ط دار الوفاء ١٩٨٦م .

[١٨] الإسلام والمناهج الاشتراكية – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الكتاب العربي بمصر .

[١٩] الاشتراكية العربية والاشتراكية العالمية – محمد طلعت عيسى – ط مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٥م .

[٢٠] الإمام السرهندي حياته وأعماله – أبو الحسن الندوي – ط دار القلم ١٩٨٣م .

[٢١] البداية والنهاية – الإمام ابن كثير – ط دار المعرفة بيروت ١٩٩٨م .

[٢٢] التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث – د/ علي محمد حسن – ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٨م .

[٢٣] التاريخ الإسلامي – الشيخ محمود شاكر – ط المكتب الإسلامي

[٢٤] التبشير والاستشراق – المستشار محمد عزب إسماعيل الطهطاوي – ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٧م .

[٢٥] التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين – أ. عثمان رسلان .

[٢٦] التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام – محمد الغزالي – ط دار نهضة مصر ١٩٩٧م .

[٢٧] التوراة العبرانية " سفر التكوين " – ط دار الكتاب المقدس .

[٢٨] الجامع الصحيح للإمام مسلم .

[٢٩] الجامع لأحكام القرآن – الإمام القرطبي – ط دار إحياء التراث العربي ١٩٦٤م .

[٣٠] الجانب العاطفي من الإسلام – الشيخ محمد الغزالـــي – ط دار الدعوة ١٩٩٠م .

[٣١] الحركة السياسية في مصر – أ . طارق البشري ط دار الشروق

[٣٢] الحق المر – الشيخ محمد الغزالـــي – ط دار نهضـــة مصـــر ١٩٩٦م .

[٣٣] الحل الإسلامي فريضة وضرورة – د/ يوسف القرضـــاوي – ط دار الصحوة الإسلامية .

[٣٤] الحلول المستوردة وكيف جنـــت علـــى أمتنـــا . د / يوســف القرضاوي ١٩٨٨م .

[٣٥] الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر – الشـــيخ محمـــد الغزالي .

[٣٦] الدعوة والداعية – أ.د/ عبد الرحمن العدوي – الإمـــام محمـــد الغزالي – ط نهضة مصر ١٩٩٧م .

[٣٧] الدفاع عن الداعية – الغزالي – أبو بكر الجزائري – ط مكتبـــة أم القرى ١٤١٠هـــ .

[٣٨] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث – محمد الغزالي – ط دار الشروق ١٩٨٩ .

[٣٩] الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي – أنور الجندي .

[٤٠] الشيخ الغزالي كما عرفته – د/ يوسف القرضاوي – ط دار الوفاء ١٩٩٧م .

[٤١] الشيخان للبلاذري .

[٤٢] سلسلة الأحاديث الصحيحة – الألباني – مكتبة المعارف – الرياض .

[٤٣] الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية – أبو الحسن الندوي – ط دار القلم – الكويت ١٩٨٥م .

[٤٤] الطريق من هنا – الشيخ محمد الغزالي – ط دار البشير ١٩٨٧م .

[٤٥] العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر – د/ مصطفى محمد رمضان – ط مكتبة الجامعة ١٩٨٣م .

[٤٦] الغارة على العالم الإسلامي – محب الدين الخطيب – ط المطبعة السلفية ١٣٩٨هـ .

[٤٧] الغزو الثقافي يمتد في فراغنا – محمد الغزالي – ط دار الشروق ١٩٨٥م .

[٤٨] الفقه على المذاهب الأربعة – عبد الرحمن الجزيري – ط دار الكتب العلمية . بيروت .

[٤٩] الفقه على المذاهب الأربعة – عبد الوهاب خلاف – ط دار الشعب .

[٥٠] الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – د / محمد البهي – ط مكتبة وهبة ١٩٧٥م .

[٥١] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني .

[٥٢] الكشاف للزمخشري .

[٥٣] اللمع – السراج الطوسي – ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠ م .

[٥٤] المحاور الخمسة للقرآن الكريم – محمد القواس – ط دار الصحوة ١٩٨٩م .

[٥٥] المسلمون والأقباط – أ طارق البشري – ط دار الشروق ١٩٨٨

[٥٦] المعجم الوسيط – ط دار المعارف .

[٥٧] المغني – ابن قدامة المقدسي – ط عالم الكتب .

[٥٨] الوزير " اوزمس غو " في رسالة لرئيس الحكومة البريطانية في ١٩/ ١ / ١٩٣٨ .

[٥٩] إمتاع الأسماع – المقريزي .

[٦٠] أوراق في الله من حضارتنا – د/ عبد الحليم عويس – ط دار الوفاء .

[٦١] بحوث وفتاوى – الشيخ جاد الحق على جاد الحق – ط دار التعاون ١٩٩٢م .

[٦٢] بدائع الصنائع – الكاساني الحنفي – ط دار الفكر ١٩٩٦م .

[٦٣] بداية المجتهد ونهاية المقتصد – ابن رشد – ط الحلبي ١٩٨١م

[٦٤] براءة أهل الفقه وأهل الحديث من أوهـــام محمـــد الغزالـــي – مصطفى سلامة – ط مكتبة ابن حجر ١٤١٠هـ .

[٦٥] تاريخ المسألة المصرية – مســـتر بلنـــت – ترجمـــة العبـــاري وبدران .

[٦٦] تأملات في الدين والحياة – محمـــد الغزالـــي – ط دار الدعـــوة ١٩٩٠م .

[٦٧] تحريم آلات الطرب – الألباني – ط مكتبة الدليل ١٩٩٧م .

[٦٨] تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل – محمد الغزالـــــي – ط دار الشروق ١٩٩٢م .

[٦٩] تحذير من دعاة التنصير – الشـــيخ محمـــد الغزالـــي – ط دار الصحوة ١٩٩١ .

[٧٠] تطور الحركة الوطنية في مصر – د. عبد العظيم رمضـــــان ط دار الوطن العربي . بيروت .

[٧١] تفسير ابن جرير الطبري – ط دار الفكر ١٩٩٥م .

[٧٢] تفسير ابن كثير .

[٧٣] تفسير أبي السعود .

[٧٤] تفسير القرآن العظيم – الإمام ابـــن كثـــير – ط دار المعرفـــة بيروت ١٩٦٩م .

[٧٥] تهذيب الآثار – مسند عمر بن الخطاب

[٧٦] تهذيب السنة – ابن القيم

[٧٧] ثورة ١٩١٩ – عبد الرحمن الرافعي – ط دار المعارف .

[٧٨] جناية الشيخ محمد الشيخ على الحديث وأهله – أشرف عبد الرحيم – ط مكتبة الإمام البخاري ١٩٨٩م .

[٧٩] جهاد الدعوة – محمد الغزالي – ط دار الصحوة ١٩٨٧ م .

[٨٠] حصاد الغرور – محمد الغزالي – ط مكتبة وهبة ١٩٨٧م .

[٨١] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة – محمد الغزالي – دار الدعوة ١٩٩٣م .

[٨٢] حوار هادئ مع محمد الغزالي – سلمان بن فهد العودة – ط نور الإسلام ١٤١٣هـ .

[٨٣] خطب الشيخ محمد الغزالي – محمد الغزالي – ط دار الاعتصام ١٩٨٥م .

[٨٤] خطب في شئون الدين والحياء – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الاعتصام ١٩٨٨م .

[٨٥] خلق المسلم – الشيخ الغزالي – ط دار الكتاب العربي ١٩٥٣م

[٨٦] دراسة عن العمل العمراني في القرآن الكريم – د محمد أبو زيد

[٨٧] دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية – د عبد الحليم عويس – ط دار الصحوة ١٩٩٠م .

[٨٨] دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين – محمد الغزالـــي – ط دار الشروق ١٩٩٧م .

[٨٩] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطامع المستشـــرقين – محمـــد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٨م .

[٩٠] دور القصر في الحياة السياسية في مصر – سامي أبو النـــور – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .

[٩١] سر تأخر العرب والمسلمين – الشيخ محمـــد الغزالـــي – ط دار الريان ١٩٨٧م .

[٩٢] سيرة ابن هشام – ط دار التوفيق .

[٩٣] صليبيين للأبد – عبد الفتاح عبد المقصود – ط الهيئة المصريـــة العامة للكتاب ١٩٧٥م .

[٩٤] صيحة تحذير من دعاة التقصير – محمد الغزالي – ط دار ثابت ١٩٨٤م .

[٩٥] ظلال القرآن – ط دار الشروق .

[٩٦] عرس الشهداء – علي الطنطاوي – ط دار المنارة الأولى .

[٩٧] علل وأدوية – محمد الغزالي – ط دار الدعوة ١٩٩١م .

[٩٨] غرائب القرآن – النيسابوري – ط دار الصفوة ١٩٩٥م .

[٩٩] فتاوى معاصرة – د . يوســـف القرضـــاوي – ط دار القلـــم – الكويت ١٩٩٦م .

[١٠٠] فتح الباري – ابن حجر العسقلاني – ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ .

[١٠١] فقه السيرة – محمد الغزالي – ط دار الريان ١٩٨٧ م .

[١٠٢] في ظلال القرآن – أ . سيد قطب – ط دار الشروق ١٩٨٧

[١٠٣] في مواكب الدعوة – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٥م .

[١٠٤] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة – محمد الغزالي – ط دار الشروق ١٩٩٠م .

[١٠٥] كبار ملاك الأراضي – عاصم الدسوقي – ط دار الثقافة الجديدة ١٩٧٥م .

[١٠٦] كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها – د. ربيع بن هادي المدخلي – ط مكتبة ابن القيم ١٤١٠هـ .

[١٠٧] كفاح دين – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٢م .

[١٠٨] كيف نتعامل مع القرآن – محمد الغزالي – ط دار الوفاء ١٩٩٢م .

[١٠٩] كتاب الأنبياء .

[١١٠] كيف نفهم الإسلام – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الدعوة ١٩٩١م .

[١٢٢] ملفات السويس – د. محمد حسنين هيكل – ط مؤسسة الأهـــرام ١٩٨٦م .

[١٢٣] من الذكر والدعاء – الشيخ الغزالي – ط دار الاعتصام ١٩٨٠م

[١٢٤] من هنا نـعلم – محمد الغزالي – ط دار الكتب الحديثة .

[١٢٥] موسوعة التاريخ الإسلامي – د. أحمـــد شـــلبي – ط النهضـــة المصرية .

[١٢٦] موسوعة تاريخ مصر – أحمد حسين – ط دار الشعب .

[١٢٧] نظرات في القرآن – محمد الغزالي – ط دار الكتب الإســـلامية ١٩٨٥م .

[١٢٨] نظرة على واقعنا الإسلامي – د. أحمد شلبي – ط دار النهضـــة المصرية .

[١٢٩] هذا ديننا – الشيخ الغزالي – ط دار الشروق ١٩٨٧م.

[١٣٠] هموم داعية – محمد الغزالي – ط دار الاعتصام ١٩٨٣م .

[١٣١] واقعنا المعاصر – أ . محمد قطب – ط دار الشروق ١٩٨٨م .

[١١١] ليس من الإسلام – محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣م .

[١١٢] مائة سؤال عن الإسلام – الغزالي – ط دار ثابت ١٩٨٤م .

[١١٣] ماهية الحروب الصليبية – د. قاسم عبده قاسم – ط المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت ١٩٩٠م .

[١١٤] مجموعة الرسائل – الشهيد حسن البنا – ط دار الدعوة .

[١١٥] محاضرات في إصلاح الفرد والمجتمع – قطب عبد الحميد قطب – ط دار البشير ١٩٨٩ م .

[١١٦] مذكرات في السياسة المصرية – محمد حسين هيكل – ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١م .

[١١٧] مستقبل الإسلام خارج أرضه – محمد الغزالي – ط دار الشروق ١٩٩٧م .

[١١٨] مشكلات في طريق الحياة الإسلامية – الغزالي – ط دار البشير ١٩٨٩م .

[١١٩] مصر والسودان – للرافعي – ط دار المعارف .

[١٢٠] معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث – محمد الغزالي .

[١٢١] معركة المصحف في العالم الإسلامي : الغزالي – ط دار الكتب الحديثة ١٩٧١م .

الفهرس